

شِرْكُ الْجَاهِلِيَّةِ

بَيْنَ الإِقْرَارِ وَالْإِيْمَانِ

وَبَيَانِ مَوْقِفِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ " تَقْسِيمِ التَّوْحِيدِ وَاعْتِقَادِ الْمُشْرِكِينَ فِيهِ " وَالرَّدِّ عَلَى الْمُخَالِفِينَ

بِقَلَمِ

أَبِي الْيَاسِ

طَهَ ابْنِ إِبرَاهِيمِ الْقَلْمُوشِيِّ

المِصْرِيِّ

عَفَا اللهُ عَنْهُ

إضاءة

على المسلم أن يهتم في حياته بأمر:

أولها العلم ، ويثنى بالعمل بما علم حتى لا يكون علمه وبالاً عليه ثم يزكى عن علمه وعمله بالدعوة إلى الله بقدر مستطاعه ، ولا بد له أن يوطن نفسه على الصبر في كل المراحل السابقة ، فيصبر على مر التعلم ومشقة العمل والأذى في سبيل الدعوة إلى الله .

وإني أهدى كل قارئ كتابي هذه الآيات¹ حبا لله وفي الله :

أخى إليك أنا أهدى	سلاسل ذهب ملفوظة
كتاباً قد حوى دُرّاً	بعين الحُسن ملحوظة
علاه يلتقى من قومي	عقول أناس محظوظة
لذلك قلتُ تنبيهاً	حقوق الطبع محفوظة
لكل امرئ يطبعها	لوجه الله مقروضة
ودعوة غيبٍ تنفعنى	من مثلك أنفع ملفوظة
ونظرة نُصحٍ ترمقنى	بعينك أطف ملحوظة

طه بن إبراهيم القلموشي

¹ قد كتبتها في يوم الثلاثاء 9-3-2010 ، 32 - 3 - 1431 هـ ، بقصد تصدير بها كتي التي لا أرجوا من وراءها نفعاً مادياً.

مُقَدِّمَةٌ¹

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }² { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }³ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }⁴ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }⁵

أَمَّا بَعْدُ ؛ حَمْدًا لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ ، وَجَعَلَ لِلصِّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ ذَلِكَ أَكْثَرَ الْأَنْصِبَاءِ وَأَوْفَرَ الْقَسَمِ ، وَاخْتَصَّهْمُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمَبْعُوثِ بِمَحَاسِنِ الشِّيمِ وَمَجَامِعِ الْحِكْمِ ، وَهَدَاهُمْ بِمَا شَهِدُوا مِنْ أَحْوَالِهِ وَفَهَمُوا مِنْ أَقْوَالِهِ وَشَاهَدُوا مِنْ أَعْمَالِهِ إِلَى أَرْشَدِ لِقَمِ ، فَهَمَّ خَيْرُ الْقُرُونِ بِالْإِجْمَاعِ وَأَوْلَاهَا بِالْإِقْتِدَاءِ وَالِاتِّبَاعِ وَأَهْلِي الْبَأْسِ وَالْكَرَمِ⁵ .

إِنَّ مِنْ مَنْنِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَتَوَافِرَةَ عَلَيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَجَّلَةَ أَنْ اصْطَفَاهَا وَاجْتَبَاهَا لِخْتَمِ الْأُمَمِ ، فَكَانَ مِنْ وَافِرِ حَظِّهَا أَنْ بَعَثَ فِيهَا خَيْرَ أَنْبِيَاءِهَا وَخَاتَمَ رِسَالَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ ، وَزَادَ اللَّهُ فَضْلَهُ عَلَيْهِمْ بِأَنْ حَمَلَهُمْ ذَاتَ الْأَمَانَةِ الَّتِي اصْطَفَاهَا مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لِحَمْلِهَا ، فَصَارَ الْوَاحِدُ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ

¹ (فيها نبذه عن أفضلية هذه الأمة ، وأن الله أمرنا بالتوحيد الكامل ، ونهانا عن الاشرار معه ، ولا يقبل من العمل ما كان فيه ذرة من شرك ، مع الأدلة وأقوال أهل العلم في ذلك ، ثم تعريج على الشبهة وأصل منشأها من رمي التبليغيين بها) .

² سورة آل عمران 102 .

³ سورة النساء 1 .

⁴ سورة الأحزاب 70 71 .

⁵ إجمال الإصابة - العلائي .

يحمل من الأمانة مثلما حمل نبي من الأنبياء ولم تتشرف أمة من الأمم ما تشرفت به تلك الأمة المختارة ولم ينل نبي من الأنبياء لأمته ما ناله النبي الأكرم لتلك الأمة من تشريف وما حظيه من تكريم .

وكان من أعظم مظاهر تلك الملة التي بعث بها مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وسائر إخوانه الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَام - أن جردت التَّوْحِيدَ لَهِ تَعَالَى ، فهي أعظم شعيرة وأهم عبادة بعث بها خاتم الأنبياء والمرسلين ، بل وكل المرسلين لم يبعثوا إلا لهذه المهمة العظيمة ، فلم تجرد السيوف وتبقر البطون وتثلج الرؤوس في القديم والحديث إلا من أجل تلك الغاية ، فقد صحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رواه ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قوله: (بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)¹ ولم يكن الله تَعَالَى ليقبل من عبده عملاً كان له فيه مثقال ذرة من شرك ، فصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أخبر عن رب العزة جل وعلا قوله تَعَالَى : (أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشَرَكَهُ)² وقول الله تَعَالَى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)³ وغير ذلك مما يدل على أن إخلاص العمل لله تَعَالَى وحده وتجريده لوجهه تَعَالَى أهم من العمل ذاته . فهذا الدليل على أنه إذا رافقت النية لله نية أخرى لغيره من بداية العمل أو في أثناءه حبط العمل إلا إن استدرك الإنسان عمله فأخلصه لربه تبارك وتعالى وجرده إليه .

1 (رواه البخاري معلقاً 2757) ، (مسند أحمد 5115) وحسنه الألباني في الإرواء : 1269 ، وصحيح الجامع : 2831 .

2 أخرجه مسلم (46/2965)، وابن ماجه (4202)، وأحمد (2/301، 435) .

3 سورة الكهف 110 .

وحق لمن ءامن بالله تَعَالَى - خالق الكون ومنشئه على غير مثال سابق - أن يجرد كل أعماله إليه سُبْحَانَهُ ، وأن ينقيها من أدران الشرك لغيره جل جلاله .

ولكن الشيطان يقف للانسان بالمرصاد ، يَزِينُ له دنياه ، وَيُشْهِبِي له مخالفة الله ، وَيُصَعِّبُ عليه العبادة ، قَالَ تَعَالَى : (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) ¹ ، فَضَلَّ اللَّعِينُ وَأَضَلَّ فِتْنًا كَثِيرَةً مِنَ النَّاسِ ، فَكَمْ مِنْ عَبْدٍ رَأَى بِعَيْنِهِ عِظَامَ الْآيَاتِ فَكَفَرَهَا ؟ ، وَكَمْ مِنْهُمْ مَنْ هَبَّتْ عَقْلَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ ثُمَّ أَنْكَرَهَا ؟ ، حَتَّى أَقْسَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) ² فَعَلِمَ أَنْ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَمَنْ آمَنَ بِشَيْءٍ مِمَّا بَعَثَ بِهِ وَكَفَرَ بِشَيْءٍ فَهُوَ فِي الْحُكْمِ كَمَنْ كَفَرَ الرَّسَالََةَ بِأَكْلِهَا وَحَمْدِ الْإِسْلَامِ كُلِّهِ . وَلَا أَظْهَرَ مِنْ قِتَالِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمَانِعِي الزَّكَاةِ إِثْرَ وَفَاةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَهَذَا حُكْمٌ كُلٌّ مِنْ يَنْكُرُ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ فِي عَصْرِنَا مَنْ يَعْذُونَهِمْ مَفْكَرِينَ إِسْلَامِيِّينَ .

وَقَدْ رَأَى الْقُرْشِيُّونَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ مَا عَلِيَ مِثْلَهُ يُؤْمِنُ الْبَشَرُ ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) ³ وَلَكِنَّهُمْ اسْتَكْبَرُوا وَعَانَدُوا وَحَارَبُوا الدَّعْوَةَ الْوَالِدَةَ حِفْظًا لِمَكَاتِبِهِمْ بَيْنَ الْعَرَبِ وَجَاهِهِمْ فِي الْجَزِيرَةِ - زَعَمُوا - وَمَا عَلِمَ الْجُهَلَاءُ أَنَّهُ بِإِسْلَامِهِمْ يَزْدَادُ عِزَّهُمْ وَتَقْوَى شَوْكَتِهِمْ وَيَسْتَجْلِبُونَ مَعِيَّةَ رَبِّهِمْ ! فَيَالَهُمْ مِنْ أَعْيَاءِ حَمَقِي .

¹ سورة الأعراف 16 ، 17 .

² صحيح مسلم 153 ، صحيح الجامع 7063 .

³ سورة القمر 4 .

فَقَدْ كَانَ الْقُرَشِيُّونَ وَتَثِيُونًا ، يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ وَيَسْجُدُونَ لَهَا ، وَيَجْعَلُونَهَا وَسَائِطَ بَيْنِهِمْ وَيَبِينُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَأَنْكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْعِبَادَةَ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، بَلْ وَحَارَبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ وَقَاتَلُوهُ . حَتَّى أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ظَافِرًا مُنْتَصِرًا عَزِيزًا .

وقد ثارت بين طلاب العلم شائعة صارت من المسلمّات والقواعد عند كثير من أهل السنّة والجماعة - إلا من رحم الله - بأن هؤلاء المشركين عليهم لعنة الله قد ءامنوا بالله تعالى ربا وأشركوا به إلهًا!¹ حتى أصبحت تلك الجملة علي عمومها مشتهرة بين أوساط حديثي سلوك طريق الهداية - وَقَفَّهْمُ اللَّهُ - وذلك من غير تفصيل ولا ضبط لمعني الإيمان المقصود ، وهذا غير صحيح البتة ، ومخالف لصريح القرآن وصحيح السنّة وما كان عليه صدر هذه الأمة .

فكلهم - أعني علماء السف - متفقون علي أن القرشيين كفرة بالله تعالى ، ولم يفصلوا تفصيلات اقتحمها من بعدهم فوقعوا في تناقضات - سنسردها ونبينها إن شاء الله - عجبية .

وما بعث في نفسي الرغبة في بيان المخالفة في هذه المسألة ما رأيته من بعض عوام - ومساكين - الإخوة حديثي التمسك بالدين ، وما يشيعونه بين عوام المسلمين عن بعض المسلمين بأنهم مشركون بالله في الألوهية كإشراك كفار قريش في الألوهية ، وأن إيمانهم بالرُّبُوبِيَّة لا يدخلهم في الإسلام كما لم يدخل القرشيون إيمانهم بالرُّبُوبِيَّة في الإسلام ! فواحسرتها .

فانظر أيها البصير كم جلب التقليد الأعمى لشيوخ ، حينما رأوا أنفسهم متبعين فجزوا في الخصومة وأشاعوا عن فئام من المسلمين كفرا ، ورموهم بالشرك الصريح والخروج من الملة جحرا دون أن يتثبتوا من لوازم كلامهم ! ويأني الله تعالى إلا أن يظهر عوارهم وكذبهم وإفكهم وزرورهم عيانا أمام الناس !

¹ وهناك من أهل العلم من يقول بإقرارهم في الربوبية وليس إيمانهم به ، ومحل بحثنا في الرد علي من يزعم أنهم ءامنوا بالرب وكفروا بالإله .

ووجدتني ملزما بقول الحق الذي أعرفه وأدين الله تعالى به ولا أكتمه ، فإن كتمته فلا خير في ، ولا بارك الله لي فيه.

فاستعنت بالله تعالى ربي وخالقي ومعبودي وإلهي ، وسألته المدد والتوفيق والرشاد والسداد ، كي أؤدي حق بعض إخواني المسلمين الذين ما رأيت منهم ذلك الكفر البواح الذي رُموا به - يشهد الله عليّ - ، ولا رأيت الشرك الصراح الذي اتهموا به من بعض من لا يخاف الله من خصومهم ، وكذا طمعا في ردّ الله تعالى عن عرضي ووجهي النار يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا صاحبة ولا ولد مصدقا قول حبيبي عليه الصلاة والسلام : (مَنْ رَدَّ عَن عَرَضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ)¹ . فَكَانَتْ هَذِهِ الْوَرِيقَاتِ الَّتِي أَسْمَيْتُهَا : (شِرْكُ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَ الْإِقْرَارِ وَالْإِيمَانِ ، وَبَيَانِ مَوْقِفِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ تَقْسِيمِ التَّوْحِيدِ وَاعْتِقَادِ الْمُشْرِكِينَ فِيهِ وَالرَّدِّ عَلَى الْمُخَالِفِينَ) وبيئت فيها بفضل الله تعالى منهج أهل السنة - بالدليل - في تقسيم التوحيد إلى أقسام اصطلاحية واعتقاد المشركين في أفراد مسائل التوحيد بالتفصيل ثم رددت علي من يزعم إيمانهم في قسم من التوحيد ، سائلا المولى جل وعلا أن ينشر ما فيه من الخير وأن لا يوفق نشر ما فيه من شر لم أقصده - يعلم الله ذلك - وأن يبصرنا بالحق ويأخذ بنواصينا إليه إنه جواد كريم .

وإني علي يقين بأنني سألاقي شدة وعنتا² من أفراخ كثير من خالفتم الرأي في تلك المسألة ، وأعلم أيضا أنهم لن يأتوا بدليل يردوا به ما ذهبوا إليه إلا ما تواتر عنهم من قال فلان وقال فلان من مشايخهم ، ظانين بأن رأي العالم يستدل به مجردا وهو ظن سييء وأسوأ منه من يظن منهم أن اجتماع بضعة شيوخ من شيوخهم علي رأي - في مسألة خلافية محضة اختلف فيها أهل السنة

¹ الجامع الصحيح للترمذي 1931 ، مسند الإمام أحمد 27583 ، انظر صحيح الجامع : 6262 ، صحيح الترغيب والترهيب : 2848 .

² فضلا عن سلسلة التبديع والتضليل والزندقة المنتظرة . ناهيك عن الرمي بالتعاليم ومناطقة العلماء الأكابر وحب الظهور والمشيخة ، وأنا منتظرون وإياهم يوم التناد .

¹ - هو إجماع أهل العلم وبعضهم يجعله في مرتبة إجماع الأمة ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويعلم الله أنني ما خالفت أحدا من مشايخنا ومشايخهم رغبة في مخالفته ولا تكبرا عن حق أظهره وبينه وعرضه بالدليل ولكن لما خلا الكلام من الدليل الشرعي وصار بالرأي وتقليد الشيوخ في اجتهاداتهم من غير حجة صار الأمر إلي ما صار إليه من إحكام عقل المباحثة العلمية بضوابط وأصول أهل السنة والجماعة والحديث والأثر ولا جرم علي النتيجة بعد أيأ ما كانت .

² فَخَذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - وَتَفَهَّمَهُ بِفَهْمِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ ³ وَلَا تَلِجْ بَابًا مَّا وَاجِبُهُ ! ، فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي اتِّبَاعِ مَنْهَجِهِمْ وَتَلَمُّسِ طَرِيقِهِمْ ، وَالشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ فِي اسْتِحْسَانِ طَرِيقِ مُخَالَفِ لَطَرِيقِهِمْ ! وَلَيْسَ كُلُّ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ حَائِزُهُ . فَالزَّمْ عَرَزَهُمْ تَفْلَحْ . وَلَا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ جَهْلُكَ بِقَائِلِهِ ⁴ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكَ عَلَى أَخْذِ الْخَطَا عِلْمُكَ بِصَاحِبِهِ أَوْ ذُبُوعِ صَيْتِهِ وَشُهْرَتِهِ ⁵ ، فَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَيُوقِعَكَ فِي حَبَائِلِهِ ⁶ .

وَكْتَبَهُ

الراجي من الله تعالى بلوغ الأمانى

أبو إلياس طه ابن إبراهيم القلموشي المصري

¹ أعني أهل السنة حقا وهم المتبعون للكتاب والسنة بفهم صالح سلف الأمة وليس من يزعم أنه من أهل السنة وليس منها .

² أي خذ ما وافق الكتاب والسنة من كتابي هذا بقوة ولا تردد في قبوله والصدع به فهو دينك .

³ ومن سار على مناهجه واقتفى أثره من صالح التابعين ومن تبعهم من المسلمين والعلماء العاملين إلي يوم الدين ، فهذا هو المنهج الواجب الاتباع ، وما دونه فباطل لمخالفته هذا المنهج المختار من الله تعالى .

⁴ فالحق بغية كل ناصح لله تعالى ، والحكمة ضالة المؤمن أي وجدها فهو أحق بها ، فإن وجدها عند من هو دونه قبلها دون تردد ، والتوقف في قبول الحق من الغير دليل حرمان وعلامة نقصان في الايمان ، جعلنا الله تعالى وإياكم من الواقفين عند حدوده المتبعين لدينه وشرعه السائرين علي مناهج نبيه صلي الله عليه وسلم .

⁵ فكل يؤخذ من قوله ويترك ، والمعصوم من عصمه الله تعالى ، ومن زعم أن شيخه لا يخطيء فقد ادعى له ما ليس لبشر حي علي وجه الأرض ، فأنزل شيخك منزلته ولا ترفعه فوقها ولا تقطع عنقه ولا تكثر عليه حجج الله تعالى فسوف يؤاخذ بجريرة كل من تبعه في قوله الخاطيء المخالف للسنة ، فإن أحببته اقبل منه الحق ورد عليه الباطل ولا تقبله .

⁶ بتزيين الخطأ لك وإضلالك بأن شيخك أدق نظرة وأوثق قولاً من غيره ، وتلك ثغرة ينفذ منها الشيطان للتغريب بالشبهة المسلمة فيضلون عن سواء السبيل من حيث يريدون أن يحسنون صنعا .

عَامَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِعَفْوِهِ وَأُطْفِئِهِ

الثلاثاء

17 - 3 - 2015 م

26 جمادي الأول 1436 هـ

فصل في بيان حرمة تقديس آراء الرجال وتقديم أفهامهم على الدليل الصريح والسنة الصحيحة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله مقررًا تجريد الاتباع لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو ما كان علي هديه ومنهجه : (والمقصود أن من نصب إماماً فأوجب طاعته مطلقاً ، اعتقاداً أو حالاً ، فقد ضل في ذلك ، كأئمة الضلال الرافضة الإمامية ... وكذلك : من دعا لاتباع شيخ من مشايخ الدين في كل طريق من غير تخصيص ولا استثناء ... وكذلك : من دعا إلى اتباع إمام من أئمة العلم فيما قاله وأمر به ونهى عنه مطلقاً ، كالأئمة الأربعة ، وكذلك : من أمر بطاعة الملوك والأمراء والقضاة في كل ما يأمر به وينهى عنه من غير تخصيص ولا استثناء) ¹.

فما لاجدال فيه ، ولا يحتاج إلى استدلال أن لأقوال أهل العلم المتبعين للسنة السائرين عليها قيمة ومكانة في ديننا ، ولا أدل على ذلك من أنك لا تقر لأحد من المعتبرين في مسألة من المسائل إلا وتراه يثني على اختياره قولاً من الأقوال ، في الإشارة إلى من قال بهذا القول من أهل العلم . لكن هذا شيء ، واعتبار أقوالهم وآرائهم حجة شرعية ومصدراً للتلقي شيء آخر . وفي ميدان التقرير النظري : فلن تجد أحداً من أهل السنة يعتقد العصمة لرجل من الرجال ، أو يرى أن قوله حجة ملزمة للأمة كلها ، لكنك حين تنتقل إلى ميدان العمل والتطبيق : فسترى الكثير ممن يتحدث عن قضايا كبرى تتعلق بالمنهج ينطلق من رأي فلان وفلان من الناس ²

قال في رسالة التوحيد أولاً ، - ما معناه - : ومن المسائل التي تتعلق بالتوحيد هو ما نراه من تعصب لأقوال الرجال إذا كانت تلك الأقوال مخالفة للسنة عن اجتهاد أو مخالفة للأصح أو كانت المسألة فيها متسع وكذلك نرى الغلو في العلماء وتقديم أقوالهم على الكتاب والسنة.

¹ الفتاوى ، ج 19 ص 69 70 .² أخطاء في فهم المنهج للشيخ - مجلة البيان ، مُحَمَّد بن عبد الله الدويش .بتصرف .

وهذه مسألة خطيرة جداً، ما وُجِدَتْ في قوم إلا أهلكتهم، وهي تنافي كمال التوحيد، وقد تصل ببعض الأفراد إلى الكفر إذا خرجت عن حد الشرع وخالفته - وهذا المسلك عرضة لهذه النتيجة - كما أخبر ربنا تبارك وتعالى عن الأمم السابقة "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً"¹.

وقد حذر ابن عباس من عاقبة هذا الأمر، فقال: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقولون: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"² وكذلك نبه الإمام أحمد رحمه الله علي هذه المسألة بقوله: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله -تعالى- يقول: "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"³، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك).

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (والأئمة -رحمهم الله- لم يقصروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السُّنَّة؛ لعلمهم أن من السُّنَّة شيئاً لم يعلموه وقد يبلغ غيرهم، وذلك كثير كما لا يخفى على من نظر في أقوال العلماء)⁴.

والمقصود أن هذه مسألة مهمة يَجِبُ أن يوليها العلماء وطلاب العلم عناية خاصة، بأن يربوا طلابهم على اتباع الدليل لا تقليد⁵ الأشخاص والتعصب لهم والانتصار لآرائهم، فقد عانت الأمة من الحزبية والتعصب والغلو، وآثار هذا الأمر غير خافية.⁶ انتهى بتصرف.

ولا يظن عاقل أن دعوي اتباع السُّنَّة والدليل بفهم سلف الأمة دعوة إلى نبد آراء العلماء وإسقاط اجتهاداتهم إنما هو رجوع إلى السُّنَّة للعمل بما دلت عليه من أحكام شرعية، فما كان واجباً من

¹ (سورة التوبة 31)

² انظر فتح المجيد ص 393 وص 395.

³ (سورة النور 63)

⁴ فتح المجيد ص 398.

⁵ التقليد منه جائز ومذموم.

⁶ رسالة التوحيد أولاً للشيخ ناصر بن سليمان بن عمر بتقديم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله.

أحكامها التزمنا به ، وما كان مستحباً فالأولى الالتزام به ، وما كان محرماً اجتنبناه ، وما كان مكروهاً فالأولى اجتنابه ، وما كان مباحاً فلنا الاختيار بين الفعل والترك ، وقد دل القرآن على وجوب الالتزام بالسنة في آيات كثيرة ، وما ثبت من تقديم آراء العلماء فهو فيما اجتهدوا فيه لفهم النصوص ومع ذلك فهمهم هذا حين الاختلاف غير ملزم بل فيه سعة والله الحمد .

ولا يجهل متبع للسنة مقدر للعلماء حرمة لحومهم وعظم إثم الوقوع فيهم وعاقبة هذا ، فإذا كان إيذاء المؤمنين الطيبين بغير ما اكتسبوا بهتانا وإثماً مبيناً كما قال _ تعالى _ : "وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً"¹ . فإن إيذاء الخاصة أشد إثماً، ولهذا جاء في أحاديث الأولياء "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب"² ، وإيذاء أهل العلم والدعاة منهم أشد حرمة لأنهم داخلون ضمن المؤمنين المعنيين بالآية الأولى ودخلون ضمن الحديث القدسي وفوق ذلك هم الموقعون عن رب العالمين جل جلاله ، فهم أعلم الخلق بالله تعالى وأعرفهم به وأكثرهم له خشية قال تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)³ حتى تواتر عن السلف جيلاً بعد جيل تقديم فهم السلف المتوافق مع السنة ، ولذلك قرر علماء السنة هذا الأصل من ديننا فقال الإمام الطحاوي⁴ رَحِمَهُ اللَّهُ : "وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكَرون إلا بالجميل، ومن ذكروهم بسوء فهو على غير السبيل".

وقال الإمام أحمد ابن حنبل⁵ رحمه الله عن العلماء : "هم خلفاء الرسول في أمته، وورثة النبي في حكمته، والمحيون لما مات من سنته، فبهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا" ..
قيضهم الله لحفظ الدين، ولولا ذلك لبطلت الشريعة، وتعطلت أحكامها، وهم في كل زمان الأصل

¹ [سورة الأحزاب: 58]

² صحيح البخاري (6137 ، 6502). الجمع بين الصحيحين 2508 لمحمد بن فتوح الحميدي .

³ سورة فاطر 28

⁴ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي المجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ)

⁵ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلالاندهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي (241 هـ)

في أهل الحل والعقد، وهم المعنيون مع الأمراء في قوله تعالى: (وأولي الأمر) [النساء:] ولذلك كان الوقوع فيهم من أكبر الذنوب وفاعله لا يفلح أبداً.

وقال ابن المبارك¹ رَحِمَهُ اللهُ : من استخف بالعلماء ذهب آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهب ديناه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته.

قال ابن الأذري رَحِمَهُ اللهُ : الوقعة في أهل العلم لا سيما أكبرهم من كبائر الذنوب.

وقال أبو سنان الأسدي رَحِمَهُ اللهُ : إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقعة في الناس متى يفلح.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ : لحوم العلماء مسمومة من شمها مرض ومن أكلها مات.

وقال الحسن ابن ذكوان رَحِمَهُ اللهُ لرجلٍ تكلم عنده على أحد الناس: مه.. لا تذكر العلماء بشيء

فيميت الله قلبك.² وقال الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ اللهُ -: (اعلم وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق ثقاته أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك منتقصيهم معلومة وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب.)

وقد أشار ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - إلى قاعدة جليظة عجيبه قلَّ من ينتبه لها في التحذير من آفة اللسان

إذ يقول: ((من العجيب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم،

والربا، والزنا، وشرب الخمر، ومن النظر إلى المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة

لسانه، حتى يري الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة في سخط الله لا

يلقي لها بالاً ينزل بها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم تري من رجل تورع عن الفواحش والظلم،

ولسانه يفري في أعراض الناس الأحياء والأموات لا يبالي ما يقول))³

¹ عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي القمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي (118 - 181 هـ)

² بتصرف من " الفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى " (2 / 90) لعلي بن نايف الشحود.

³ تقويم الرجال، أحمد الصوبان: (ص9)، نقلا عن العلماء والميثاق للشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطريفي .

فإن كان المتورع عن المحرم الصريح يقع في محرم آخر بدعوى تحذير الناس من مبتدع أو مخالف للسنة ، دعوي ظاهرها الحسن وباطنها الهلكة ، فوقع في شرك إبليس وهو يظن أنه يحسن صنعا ، فتحرز من ذلك حبيبي في الله تفلح .

ولتضع نصب عينيك - أخي - قول الحكيم :

وما من كاتب إلا سيلقى كتابته وإن فنيت يده
فلا تكتب بحضك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

فتجهز ليوم اللقاء وأعد للسؤال جوابا .

وخلاصة القول علي عجل أن كل بشر يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، ولا يقبل ما يقبل إلا ما كان علي طريقته وهديه ولا يرد ما يرد إلا ما كان مفارقا لمنهجه أو مخالفا لهديه ، وكتاب الله بين ينطق بيننا بالحق وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ظاهرة ، فاتبع الحق ولا تتعصب لغيره ، فالحق لا يعرف بالرجال وإنما الرجال هم الذين يعرفون بالحق . والله المستعان .

فصل في ذكر التوحيد والإيمان الذي كان عليه خير القرون¹ .

إعلم رحمك الله أن الله تعالى خلق الخلق لإغاية عظيمه ، بينها سبحانه في كتابه وفصلها رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته وقام بها عليه الصلاة والسلام وأصحابه خير قيام ، فلم يخلق الله تعالى الكون عبثا ولا لعبا قال تعالى : (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ)² وقال سبحانه : (وَمَا

1 (فيه تبين بالدليل النصي القرآني لجميع أنواع التوحيد الثلاثة المشتهرة بين الناس من غير تطرق الي تسميتها ، وتبين ذلك كله بتعريفات تلك الاقسام والاستدلال عليها ، حتي يفهم القارىء أن تلك التسميات لا علاقة لها بالاصل إن استغينا عنها ولا تؤثر في توحيدك إن اعتقدته) .

² سورة آل عمران 191.

خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ¹
 وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ² . بل خلقهم لغاية بينها ، قَالَ تَعَالَى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)
³

فالتوحيد هو أساس دعوة الرسل جميعاً ، وما بعثوا إلا ليقرروا هذا الأمر العظيم الذي ضلّت عنه
 أم كثيرة من لدن نبينا نوح عليه السلام إلى نبينا مُحَمَّد خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه
 عليهم أجمعين .

فبين سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ هَذَا الْكَوْنِ بِمَا فِيهِ وَبَارئُهُ وَمُنشئُهُ وَالْمُتَصَرِّفُ
 فِيهِ وَحده ليس معه شريك ولا له نديد ، فله جل جلاله الخلق والملك والتدبير والرزق والحكم
 والإحياء والإماتة والإفناء والإبقاء والمنع والإعطاء والضر والنفع وتعاقب الليل والنهار وإنزال الغيث
 والرفع والحفض والبسط والقبض وسماع الخلق وإبصارهم ، فلا منازع له في سلطانه ولا شريك له
 في أكوانه ، ولا يستطيع الخلق أجمعون استنقاذ شيء سلبه منهم أصغر مخلوقاته فضلا عما هو فوقها
 فضلا عن مضاهاته تبارك وتعالى في خلق شيء منها ، قَالَ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
 الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ) ⁴ ، ثم استشهد الله تعالى لعباده بما يخلق لهم من مخلوقات يرونها ليربهم قدرته
 ويبرهن لهم بما يعقلون ويدركون ، وأكثر سُبْحَانَهُ في كتابه من الاستشهاد بمظاهر مخلوقاته
 استدلالا بها على استحقاها العبادة وحده دون ما سواه ، وإذا سبرت آيات القرآن وجدتها تكثر

¹ سورة ص 27 .

² سورة الدخان 38 ، 39 .

³ سورة الزريات 56 .

⁴ سورة الحج 73 .

من ذكر ذلك ، قَالَ تَعَالَى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } ¹ . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ } ² وَقَالَ سُبْحَانَهُ : { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ } ³ . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } ⁴ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) ⁵ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) ⁶ ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) ⁷ ، وَقَالَ تَعَالَى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ، يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ

1 سورة الأنعام: 1-3 .

2 سورة الحج: 73 .

3 سورة الطارق: 5-7 .

4 سورة الذاريات: 21 .

5 سورة الغاشية 17 - 20 .

6 سورة إبراهيم 19 - 20 .

7 سورة الحج 63 - 66 .

، وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ¹ ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ، أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ، وَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ، وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ، فَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ، وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ، وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا) ² وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ، وَإِذَا عَشِيتُمْ مَوْجٌ كَالظَّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ³ ، وَقَالَ

¹ سورة النور 43 - 45.² سورة الفرقان 44 - 55.³ سورة لقان 29 - 34.

سُبْحَانَهُ : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ ، وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)¹ ، والآيات في بيان عظمة الله تعالى وقدرته وتصرفه في خلقه وواحيائه وإمامته أكثر من أن تحصر في بحث مختصر كهذا .

وبين سُبْحَانَهُ أنه يَجِبُ إفراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكل عبادة وتجريد الاخلاص له دون ما سواه ، وإفراده تَعَالَى بالعبادة ، وتنزيهه عن الشركاء والأنداد مع ما يتطلبه القلب ويستيقنه من التوكل على الله ، والإنابة إليه ، والخوف منه ، والرجاء فيما عنده ، وإخلاص الدين له ثم أعمال الجوارح من أنواع العبادات؛ من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وأداء الأمانات ، والوفاء بالعهود ، وبذل وجوه الإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل ، وكل محتاج من بني آدم حتى البهائم ، وأعمال اللسان من تلاوة القرآن العزيز ، والذكر من تسبيح وتهليل وتحميد وتكبير ، وقول الحق ، وحسن الحديث ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتعلم والتعليم ، ومراقبة الله تَعَالَى في السر والعلن ، ومحبة تَعَالَى ومحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الْمُؤْمِنِينَ وتقديم أمره على كل أمر ونهيه على نهْيٍ ومحبة على كل محبة ، ومولاة الْمُؤْمِنِينَ ومعاداة الكفار والمشركين ، وإقامة الدين ، والخوف والرجاء والذبح والنذر فلا قيام ولا ركوع ولا سجود ولا ذبح ولا نذر إلا له وحده تعالى. فلا يُدْعَى في السراء والضراء واليسر والعسر والفرح والغم إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ولا يُسْتَمَدُّ ولا يُسْتَنْصَرُ ولا يُسْتَعَاثُ إلا به. ولا يطاف إلا ببينته العتيق.

ولا حلف إلا به ، ولا حكم إلا له. والشرع ما شرع والدين ما أنزل ، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والكف عن المحرمات ، والبعد عن الكبر والرياء ، والعجب والحسد والنفاق ، والغيبة والنميمة ، وكل ما نهى الله عنه.

¹ سورة فاطر 27 - 28.

واعلم أنه ما جاء الأنبياء ليقولوا للناس إن الله موجود خالق رازق لأن غالب الناس يعرفون ذلك ؛ بل جاءوا ليدعوا الناس إلى عبادة الله وحده، كما قال تعالى: { اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } ¹ ، قَالَهَا: نوح، وصالح، وهود، وشعيب، ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاهد الناس عليها ثلاث عشرة سنة، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى هَذَا التَّوْحِيدِ وإلى شهادة أن لا إله إلا الله. وبين سُبْحَانَهُ أنه لا يقبل عملاً دخله ذرة من شركٍ بغيره ، قال: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَه) ²

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي) ³

والآيات التي تدل على أن جميع الأنبياء ما جاءوا إلا لدلالة الخلق على عبادة الله تعالى وحده كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال ، قول الله تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) ⁴ وقوله تعالى : (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) ⁵ وقوله تعالى : (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) ⁶ وقوله تعالى : (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) ⁷ ، وحكي الله تعالى

1 سورة الأعراف: 59.

² أخرجه مسلم (46/2965)، وابن ماجه (4202)، وأحمد (2/301، 435).

³ أخرجه البخاري (11/416 - فتح)، ومسلم (51/2805)، وأحمد (3/127، 129)، وأبو يعلى (ج 7/ رقم 4186)، وابن أبي عاصم في "السنة" (99).

⁴ سورة الأعراف: 59.

⁵ سورة الأعراف: 65.

⁶ سورة الأعراف: 73.

⁷ سورة الأعراف: 85.

عن عيس عليه السلام تبليغه للأمانة كما أمر بها ، فقال سبحانه : (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ)¹ ، وبين سبحانه أن هذه هي مهمة كل الأنبياء والمرسلين وأتباعهم ، فقال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ)² . وقال سبحانه : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)³ وقال سبحانه : (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)⁴ وقال سبحانه : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)⁵ وقال سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)⁶ وقال سبحانه : (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ)⁷ وكذلك في السنة أحاديث كثيرة تدل على وجوب أداء العبادة لله تعالى ، بل السنة كلها ما سيقت إلا لهذا الغرض ، فعن أبي هريرة ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَبِي ، قَالُوا : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي)⁸ . وعن أبي سعيد الخدري: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلَّا مَنْ أَبِي وَشَرَّدَ عَلَى اللَّهِ كَشِرَادِ الْبَعِيرِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَا أَبِي أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي)⁹ وعن سليم

¹ سورة المائدة 115 .

² سورة النحل 36 .

³ سورة آل عمران 31 ، 32 .

⁴ سورة الأعراف 158 .

⁵ سورة النور 63 .

⁶ سورة الأنفال 24 .

⁷ سورة الشورى 47 .

⁸ البخاري (رقم 7280 - فتح)، وأحمد (361/2) .

⁹ ابن حبان (2306) ، (الصحيفة) (2044) .

ابن عامر قال: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَخَطَبَنَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْجَدْعَاءِ وَتَطَاوَلَ فِي غَزَزِ الرَّحْلِ - فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ) فَقَالَ رَجُلٌ فِي آخِرِ النَّاسِ: مَا تَقُولُ - أَوْ مَا تُرِيدُ - فَقَالَ: (أَلَا تَسْمَعُونَ أَطِيعُوا رَبَّكُمْ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا أَمْرًاكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ) فَقُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: ابْنُ كَمْ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ حِينَ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: سَمِعْتُ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً.¹ وَغَيْرَ ذَلِكَ الْكَثِيرِ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وكذلك بين ربنا جل وعلا أن ليس له شريك في حكمه ، وَهُوَ مِنْ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا : (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)² وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ)³ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)⁴ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)⁵ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)⁶ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)⁷ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)⁸ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)⁹ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)¹⁰

وكذلك بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَبِيهِ وَلَا مِثِيلٌ فِي اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ أَوْ فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِهِ ، قَالَ تَعَالَى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)¹¹ فَيَجِبُ تَوْحِيدَ اللَّهِ تَعَالَى

1 (السلسلة الصحيحة 867) .

2 سورة يوسف 40 .

3 سورة الأنعام 62 .

4 سورة القصص 70 .

5 سورة المائدة 1 .

6 سورة المائدة 44 .

7 سورة المائدة 45 .

8 سورة المائدة 46 .

9 سورة الرعد 41 .

10 سورة الممتحنة 10 .

11 سورة الشورى 11 .

بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونؤمن بكل الغيب الذي أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفات الله تَعَالَى وأسمائه وأفعاله لأن هَذَا طريق معرفتها ، ولا مدخل للعقل في الاجتهاد فيها . فنثبت ما أثبتته الله تَعَالَى لنفسه وما أثبتته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وننفي عنه تَعَالَى كل نقص وما نفاه عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل .

ومن خلال ما سبق يتضح أن الإيمان كله شيء واحد لا يتجزأ من حيث القبول أى أن الله تعالى لا يقبل الإيمان إلا إذا كان كاملاً من كل جوانبه ، وأما تقسيمه فلا يكون على أرض الواقع أبداً ، أى لا يقال فلان مؤمن بكذا وغير مؤمن بكذا فهو في النهاية غير مؤمن ، أو فلان مؤمن بجزئية كذا وغير مؤمن بجزئية كذا فهو غير مؤمن أيضاً ، إن هذا أمراً نظرياً فقط ، يقسم في العقول والأذهان ، ومن فرق بين مسألة ومسألة فقد نقض الإيمان وفارق الإسلام .

قال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق وَفَّقَهُ اللهُ : (الإيمان قضية واحدة) ¹ وقال : (ولا شك أن الكفر بجزئية واحدة من أجزاء هذا الإيمان هو كفر بالله جل وعلا) ² وقال : (ولا يكون العبد مؤمناً بالله حقاً إلا إذا اعتقد وحدانيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَحْدَهُ ، وَإِلَّا إِذَا عَبَدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ) ³ والله المستعان .

¹ رسالة (أقسام التوحيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حَفِظَهُ اللهُ .

² المصدر السابق .

³ المصدر السابق .

**فَصَلِّ فِي ذِكْرِ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ الْإِيمَانَ وَالتَّوْحِيدِ ، وَبَيَانِ الطَّرِيقِ الْمُضَاهِيَةِ لَطَرِيقَتِهِ ، وَبَيَانِ أَنْ أَكْمَلَ
الْهَدْيِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .¹**

ومن الحكمة أن يبين أهل العلم للعامة وللخاصة المنهاج النبوي في تعليم الإيمان للأمة ، وبخاصة إذا عظمت بسبب الأهواء في ذلك البلوي ، فكل يستحب طريقة يزعم أنها أنفع لنشر التوحيد والإيمان ! وليس ذلك بمستقبح إذا ضبط بضابط الشرع ووزن بميزانه ، وتعظم به البلوي إذا زاد عن حده الشرعي وخرج عن كونه اجتهاد في فهم نص أو تحت أصل شرعي ، وقد رأينا بعض الإخوة يغفلون في طرقهم الدعوية حتى صارت عندهم شرعا متبعا لا يقبل تغيرا ولا نقدا ، وجملوا - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - أن وسائلهم الدعوية جائزة لهم ولغيرهم وغير واجبة عليهم ولا علي غيرهم إلا إذا أوجبها الشرع وإذا أخرجوها عن هذا الحد فقد جرحوها من الحل والإباحة إلى الكراهة ثم التحريم عمدا منهم وجهلا بآثار معاملتهم السلبية .

وحتى لا يكون الكلام فتنة علي بعض العقول أو بابا للقدح في منهج وعقيدة الكاتب أو ضح المقال بمثال ، فأقول :

الدعوة إلى الله تَعَالَى بوسيلة حديثة كالانترنت - مثلا - ، هو أمر جائز لنشر الدين وتبصير الأمة به ، بالضوابط الشرعية ، فإن كان في استعماله مخالفة شرعية من مشاهدة محرمات أو التعرض لشبهات غلب علي الظن تأثيرها في المسلم أو انتقاص دين أو الوقوع في فتنة إلى غير ذلك من المحاذير الواجب علي المسلم البعد عنها وعدم التعرض لها فلا يُجوز استعماله في شيء مطلقا حتي ولو كانت الدعوة إلى الله ونشر الدين والعلم ، فإن الله تَعَالَى لا يطلب فضله بمعصية ! وهذا أمر

¹ (فيه تبين لطريقة النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم وتلقين الصحابة الإيمان والتوحيد وبيان بأن تلك الطريقة أفضل الطرق وأتبعها للمنهاج النبوي ، ثم توضيح للمأساة التي وقعنا فيها من عدم سلوك هذا السبيل ثم بيان مناسبة الفصل للبحث ثم عتاب للإخوة بالتحكم بالدليل وتنحية الشخصية جانبا)

متفق عليه بين علماء أهل السنة ولم يشذ في ذلك إلا من اتخذ إلهه هواه وأضله الله فزين لنفسه وللمؤمنين سوء عمله وزعم أن فعله هذا محمود موفق مطلوب لدعوة الناس !

والشاهد من المثال السابق ، ما يقوم به البعض - فرضا وجدلا - من اعتقاد - أي بالقلب ويترتب عليه العمل - أن سلوك هذه الوسيلة واجبة علي كل مسلم ومسلمة ومن لم يتخذها فقد خالف السنة وهو مذنب .

أقول : فهنا قد أخرج هذا الرجل المسألة عن نطاقها واعتبرها سنة شرعية متبعه ! وبدع وأثم من تخلف عنها أو خالفه الرأي فيها ! وهذا هو المحذور الذي حذرنا منه سابقا ، بأن أخرج المسألة عن نطاقها وأصبحت عنده دينا بدلا من مسألة نازلة اجتهادية ، ويصير حكم استعماله هو لهذه الوسيلة المباحة - في الأصل - محرم ، لأنه يتخذها عبادة ويعتقد فيها دينا بذاتها وليس لما فيها من النفع فقط ، وهذا يدخل في باب البدعة في الدين التي حذرنا منها الشرع ، فقد قال الله تعالى مبينا تمام الدين وكماله : (الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...)¹ وقال صلى الله عليه وسلم : (وَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ...)² وأطبق العلماء المعتد بأقوالهم علي كمال الدين وتمامه وحرمة الاستحسان فيه من وجه الزيادة علي شريعة أو إدخال فيه ما ليس منه ، فقالوا : (من استحسَن فقد شرع)³ وقالوا : (من أحدث في هذا الدين حدثاً يرى أنه حسناً فقد زعم أن مُحَمَّدًا خان الرسالة)⁴ وقالوا : (من ابتدَع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن مُحَمَّدًا خان الرسالة)⁵ وكل هذا داخل في حديث

¹ سورة المائدة 3

² سنن بن ماجه ، 43 ، مسند أحمد 17182 ، صحيح الجامع 4369

³ الشافعي في الأم

⁴ مالك رحمه الله

⁵ سفيان الثوري رحمه الله

المصطفي : (مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ)¹ ، وهنا قد جرَّ الأخ مسأله بعصبيته أو بجهله من الحل أو الإباحة - حينما كانت في نصابها - إلى الكراهة والتحريم - حينما غلا فيها واعتقد ما ليس من الدين - حسب اعتقاده في المسألة . وعلي هذا فقس وفقك الله .

مبحث في ذكر السنّة الثابتة في تعليم الإيمان ونشر التوحيد :

وقد ثبتت السنّة في ديننا ، وذلك بما لا يدع مجالاً لاجتهاد أو فلسفة في ابتداع طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بها زيادة التعبد لله تعالى ،

فقد روي عن جندب ابن عبد الله - رضي الله عنه - قال : (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا .)²

، وتصريح الصحابي بهذا اللفظ له معني في غاية الروعة والدقة والأهمية ، وهو سلوك الطريقة النبوية في تلقي العلوم الشرعية أو تعلم الدين ، وكذلك³ ما رواه عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال : (لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدْنَا يُؤْتِي الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ ، وَتَنْزِيلِ السُّورَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا ، وَحَرَامَهَا ، وَأَمْرَهَا ، وَزَجْرَهَا ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا . كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتِي أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَجْرُهُ وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ فَيَنْتَرُهُ نَثْرَ الدَّقْلِ)⁴ وفيه تصريح من ابن عمر رضي الله عنهما بمنهاج النبوة في تعلم الدين وتنشئة الجيل ، فيبدأ بما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوقف علي ما وقف عليه عليه الصلاة والسلام .

¹ اللؤلؤ والمرجان 1120 ، البخاري (2697)، ومسلم (1718)، وأبو داود (4606).

² سنن بن ماجه 61 ، وصححه الألباني.

³ هذه الإلماحة من زوائد الأخ الفاضل الشيخ المحدث أبي الحسن المنصوري حفظه الله .

⁴ السنن الكبرى للبيهقي (3 / 170) رقم 5290 ، مستدرک الحاكم (1 / 91) رقم 101 ، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا .

وصريح كهذا في بيان التدرج الفعلي بالمدعوين بتعليمهم الإيمان واليقين علي الله تعالى والخوف من ناره ورجاء جنته ، ما أخرجه البخاري رحمه الله بسنده عن يوسف ابن ماهك، قال: (إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، إذ جاءها عراقي، فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك؟ " قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك؟ قالت: لم؟ قال: لعلي أولف القرآن عليه، فإنه يُقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل؟ " إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم واني لجارية أعب: {بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر} ¹ وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده " ، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي (السور) ²

فمن بدأ بما بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم فقد أفلح وأنجح ، ومن تنكب طريقه الواضح واستحسن غير هديه وأعمل عقله في مناقضة منهجه ضل وأضل ، فهنا قد بانت السنة الصريحة في تعليم التوحيد والإيمان ، وهي بالمحاكاة والأفعال أولا ثم بالكلمات والأقوال ، وليس العكس ، فمن عايش السنة سهلت عليه عند التطبيق ، أما من تعلم ألفاظ السنة من غير معايشة فقد - في غالب الأحيان - يصعب عليه الفعل ويتنكب طريق التطبيق ، وهذا هو المشاهد في وقتنا هذا ، ومع أن هذا الأمر ليس بجديد غير أنه في عصرنا قد فاق كل وصف وتصور ، فتجد علماء كثر يحفظون السنة أو قاربوها ثم تجدهم أشد من السيوف علي أهلها ! - فقط - لأنهم حفظوا الألفاظ

¹ سورة القمر: 46

² صحيح البخاري (4 / 185) رقم 4707 ، 4993 ، مصنف عبد الرزاق (3 / 352) حديث 5943 ، السنن الكبرى للبيهقي (10 / 283) رقم 11494 ، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي 3362 .

ولم يتعلموا السُّنَّةَ بالمعايشة حقا ! فحُقَّ لهم أن تسعرَ بهم النار وأن لا يكونوا وهم بهذه الصفة من أهل العلم الذين هم أهل الله وخاصته .

وقد وردت بما قلنا السُّنَّةَ عن السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ ، فقد روي عن ابن عباس قَالَ : قدم علي عمر رجل ، فجعل عمر يسأله عن الناس فَقَالَ : يا أمير المؤمنين ! قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا ، فقلت : والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة ، قَالَ : فزبرني عمر ثم قَالَ : مه ، فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا فقلت : قد كنت نزلت من هذا بمنزلة ، ولا أراني إلا قد سقطت من نفسه ، فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع ، فبينما أنا على ذلك قيل لي : أحب أمير المؤمنين ، فخرجت فإذا هو قائم على الباب ينتظرني ، فأخذ بيدي ثم خلا بي فَقَالَ : ما الذي كرهت مما قَالَ الرجل انفا ؟ قلت : يا أمير المؤمنين إن كنت أسأت فإني أستغفر الله وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت ، قَالَ : لتخبرني ؟ قلت : متى ما يسارعوا هذه المسارعة يحتقوا ، ومتى ما يحتقوا يختصموا ، ومتى ما اختصموا يختلفوا ومتى ما يختلفوا يقتتلوا ، قَالَ : لله أبوك لقد كنت أكتمها الناس حتى جئت بها)¹ ، فانظر رَحِمَكَ اللهُ بعين البصيرة في ذلك الموقف الفريد الذي قلما تفهمه طالب علم أو ركز عليه شيخ متصدر ، إذ كيف يعترض ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا علي محاسن في مجلس أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟! ولا يكون ذاك إلا لمنكر رآه ابن عباس فأنكره ، ثم أقره علي ذلك عمر في خلوتها ، ومن هذا يتبين للبصير الحاذق المحقق المتبع بأن مَنهج السَّلَفِ وَمَنهاج النُّبُوَّةِ في تعلم ونشر العَقِيدَةِ هو التعليم العَمَلِي قبل التفقه النظري ، فهو أجدي للمتعلم وأنفع له ولمعلمه² و أولي بالتقديم لأن السُّنَّةَ به قد ثبتت وأسرع في نشر العَمَلِ .

¹ مصنف عبد الرزاق رقم 20368 ، المعرفة والتاريخ للفوسوي (1 / 516 - 517) ، سير أعلام النبلاء (3 / 348) .

² لاتباعه للسنة واقتفائه للأثر ، وتهذيب طالبه والوقاية من شره بعد التعلم .

وقد كان هذا هو منهج الصحابة رضي الله تعالى عنهم في تعلم العلم والإيمان ، فقد روي الإمام البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان وابن عساكر في تاريخ دمشق عن مالك ابن أنس ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: " تعلم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه البقرة في اثنتي عشرة سنة ، فلما ختمها نحر جزورا " ^{1 2} ، فاللهم أقمنا علي السنة حتي نلقاك .

مبحث في ذكر مغبة تنكب هذه السنة :

ومن أعظم الفتن التي حلت بالأمة أن تخلف جمع من علماء أهل السنة - وخاصة المتأخرين - عن هذه السنة الواضحة ، فاخترعوا لتعلم وتعليم العقيدة طرقا أكاديمية ، يظهر منها الحسن ويمكن بداخلها الشر والفساد وإن كانت لا تخلوا من خير ولكنها علي أكثر الناس فتنة وشر عظيم ، فمع كثرة الكتابة وانتشار الكتب انتشر معه التعالم من كل من هب ودب ، وتذنب من لم يتحصرم ، وتكلم من لا يعلم ، فلم يحفظ لعالم حقه ولا لتقديم سبقه ولا لمتكلم عرضه ولا لعابد دينه . وعلا الأصغر الأكبر ووقعوا فيهم بالسلب ، فابتلاهم الله تعالى بموت القلب ، فأطلقوا عليهم ألفاظا شنيعة ورموهم بكل نقيصة وحذروا منهم العوام وأوقعوا بينهم وبين إخوانهم من أهل العلم الفضلاء وكثرت الكتابة وزاد الأمر سوءا يسر الوسائل الموصلة إلي ذلك من تحصيل العلم ونشره وبثه ، فإلي الله المشتكي .

فانتشرت فتنة القوم كانتشار النار في الهشيم ، وصارت الفتنة بين العوام أكثر منها بين الخواص من طلبة العلم ، وصار كل متحذلق يكتب : (التبيان بضلال - فلان - ...) وآخر يكتب : (السعي الخبيث في التحذير من فتنة - المارق الخبيث -) وثالث : (اللباب في فساد عقيدة - نبج الكلاب - ...) وغير ذلك من أشباه ما ذكرنا ، وما دري الكاتب عفا الله عنه أنه بذلك يزيد

¹ شعب الإيمان للبيهقي (3 / 346) رقم 1805 وكذا 1957 ، بتحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد بإشراف مختار أحمد الندوي ، تاريخ دمشق لابن عساكر (44 / 286) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (6 / 26) .

² هذه الإلماحة من إضافات الأخ الفاضل الشيخ أبي الحسن المنصوري حفظه الله .

الخرق علي الراقع ، فلا هو أصلح الفساد ولا نشر المفيد ، بل زادت الردود واشتغل الإخوة بالرد عليها ، ثم تحزب - بجهل - لكل فريق من العوام جماعة ، فحلفهم جماعات فلما فني زعيمهم الأول وقعوا في بعضهم ، ففرقت الأمة أحزابا وشيعا ، كلهم يزعم منهاج النبوة والسير علي السنته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فكل يدعي وصلاً بليلى *** وليلى لا تُقر لهم بذاك

ولكن يتبين الصادق من الكاذب حينما تأتي علي منهاج العملي ، فتجدهم يتفرقون ويختلفون ، إذا اشتبكت دموع في جفون *** تبين من بكى ممن تباكى

ومنشأ هذه الفتنة ، هي في أصل تعليمهم وتلقيهم ، فلم يرعهم معلموهم اهتماما بتأصيل ما أصله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أصحابه ، بل اغتروا بمن اللتف حولهم من الأصاغر وفتنوا بهم ، فأثر ذلك طلبة يحفظون الكثير من الأقوال ولا يحفظون لمسلم حرمة ولا لعالم عرضا . وما أشبههم حينما يقعوا في أعراض علماء المسلمين من غير خوف من مغبة الكلمة بمن ذكرهم الله تَعَالَى في قوله : (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ)¹ .

مبحث في بيان كيف نتعلم الإيمان؟!

والمقصود بتعلمنا الإيمان بين واضح ، أى تعلمنا التواضع لله تَعَالَى ولسوله وللدليل وللعلماء وتعلمنا اليقين الكامل علي الله تَعَالَى في كل صغيرة وكبيرة و تعلمنا الاخلاص و الإيثار و الصدق و الوفاء و التضحية و الولاء و البراء و العمل و التبليغ و الاتفاق و الخشوع و السكينة و الصمت و الخشية و البكاء و الخوف و الرجاء و المراقبة لله تعالى و حب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و توقير السنته و حب الصحابة و المسئولة عن هذا الدين و بر الوالدين و اللين و الرحمة علي

¹ سورة التوبة 10

المخالفين و بذل المهج لهذا الدين و الجهاد و مجالسة المساكين وغير ذلك من أعمال القلوب والجوارح

تعلمنا ذلك بالمحاكاة والمعاشة والمشاهدة وليس من الكتب فقط! فمن يزعم أو يظن أنه قد يتعلم هذا الإيمان ويحصله بعدما يتعلم المسائل فقد استحسن أمرا مخالفا - لأن الترتيب شرع¹ - صراحة لما أوحى إلى النبي وسار عليه سلف الأمة. ومن ظن أن طلب العلم قبل التزكية أنفع فقد استحسن أمرا لم يكن عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ . كل هذا من معاني تعلمنا الإيمان وكل هذا يتعلم كما تتعلم الآية من القرآن الكريم .
وبيت القصيد :

قصدت بهذه المقدمة - والتي يراها البعض غير مناسبة لموضوع البحث - أن أوضح لإخواني بأن التقسيم الذي سار عليه جموع من فضلاء وعلماء أهل السنة تقسيم اجتهادي يؤجر من اجتهاد فيه ولا يؤزر بإذن الله تعالى ، غير أنه قد يغلوا البعض في ذلك التقسيم ويقومون حروبا شعواء علي آخرين من إخوانهم لم يتبعوا طريقتهم في التعليم ولا في التقسيم ، وهذا ما قصدت التنبيه عليه ، من أن هذا الاجتهاد قد يخرج المسألة عن نصابها وقدرها فتصبح شرعا متبعا - أقصد ذات التقسيم وليس مضمونه وإلا فالاختلاف في مضمونه معلوم حكم مخالفه - متبعا يوالي ويعادي عليه ، ويجرح ويعدل بسببه ، ويفسق ويبعد علي أساسه ، وهذه هي الفتنه التي لا تبقي ولا تذر ، من كون الأخوين - السنين - يختصمان في مسألة هم في الأصل متفقون فيها ، غير أن هناك اجتهاد في مسألة فرعية منها أشعلت القلوب غيرة وأوقدت فيها نارا ففرقتها وجرحتها ، وكل جرح له اللتئام ولا يلتئم ما جرح اللسان .

¹ فلا يجوز أن ترجى أداء الصلاة من حديث الدخول في الإسلام حتى يتعلم أركان الصلاة وسنها وواجباتها! هذا مخالف للسنة وتارك للفرصة ، بل يجب عليه فور إسلامه أن يتعلم هيئة الصلاة وما يقوله فيها كما شرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابي صفة الصلاة .

فندبر أيها البصير في مرام كلامي ، ولا تحملنك الغيرة أو دافع الرد المجرد أن ترد السنّة التي أتيتك بها واضحة جلية ، ولا يحملنك شخص القائل علي أن ترد ما تبين لك من الدين ، فخذ القول واعرضه علي السنّة ، فإن أقره فهو وإلا فاضرب عنه صفحا وترفق بقائله فوالله ما قاله إلا شفقة عليك وحبا لك في الله . والله عليم بما في الصدر رقيب عليها .

فصل في ذكر استقراء العلماء لأدلة الإيمان من الكتاب والسنة وتسميته وتفريعه وتقسيمه¹.

وقد من الله تعالى على الأمة بمن يحمل الأمانة اقتداءً بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم تخلوا الأمة من العلماء العاملين القائمين لله بحجة المبلغين دين الله تعالى . وهذه من اعظم المنن وأجزل العطايا من الله تعالى لهذه الأمة ، فقام العلماء باستقراء آيات القرآن والأحاديث النبوية وسبروها وفصلوها وشرحوها وأصلوها ، فقتلوها بحثا وفكرا ومدارسة وعلمًا وفهما ، فسهلوا - رَحِمَهُمُ اللهُ - العلوم الشرعية على الناس بتبويبات وتقسيمات وتفريعات مختلفة وذلك حتى يكمل الفهم ويتم الاستيعاب ، وتعبد الأمة ربها على علم وبصيرة .

فنشأت بفضل الله تعالى على أيديهم علوم منظمة كثيرة ، منها علم أصول الفقه والتجويد والفقه وأصول الحديث (مصطلح الحديث) وعلم العقيدة الذي هو الفقه الأكبر أو أصول الإيمان وهو أجل العلوم وأعظمها وأهمها ، وكل تلك العلوم خادمة لهذا العلم لتحقيقه في الناس ، لأنه العلم الذي يترتب عليه معرفة الخالق سبحانه وتعالى وما يجب له تعالى وما يجوز وما يستحيل وما يمنع ، وما يوصف به وما لا يوصف .

وليس معني نشأة ذلك العلم أنه لم يكن موجودا قبل ذلك أو أن من كتب فيه أضاف جديدا ولو ذرة ! فوالله الذي لا إله غيره لم يزيدوا في الإيمان كلمة واحدة ولم يخترعوا فيه حرفا ، مهما صنفوا وألفوا وكتبوا ونقحوا وشرحوا !

قال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله : (جاء علماء الإسلام فقسّموا علم الدين إلى علوم كثيرة، وكل علم متفرقة وكل فرع من فروع العلوم إلى أبواب وكل باب إلى فصول ومباحث، ومسائل، فنشأت علوم خاصة بالقرآن الكريم كالقراءات والتفسير وأسباب النزول، والمحكم

¹ (تبيين لأول من استعمل هذه التسميات وكيف صارت مشتهرة ، وبيان حكمها والموقف ممن لم يعترف بها ومن يشنع على من استعملها)

والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفصل... الخ ، ونشأت علوم خاصة بالسنة كمصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل والكتب الخاصة بالصحيح والكتب الخاصة بالضعيف والموضوع. ونشأ كذلك علم التوحيد الذي بدأ بالردود على المنحرفين في العقائد، ومسائل الإيمان كالخروج علي الحكم ، وكذلك تحريف أسماء الله وصفاته، والشرك به، ثم أفردت الكتب لجمع مسائل الإيمان الاعتقادية وتبويبها وتصنيفها. وكذلك سائر العلوم من السيرة والتاريخ والأخلاق والتهديب.. الخ ، وأصبح كل علم من هذه العلوم تقسيماته ومصطلحاته ورجاله وكتبه.¹

وقام العلماء باستقراء أدلة الكتاب والسنة المتعلقة بمسائل الإيمان ثم رتبوها ليسهل فهمها من العامة وتدريسها للطلبة وبذلها للناس ، وهذا من واجهم الذي أخذه الله تعالى عليهم ، واجتهاد مقبول فجزاهم الله خيرا قال ربنا تبارك وتعالى مخبرا عن حال الأمم السابقة ومحدرا أمتنا من السير علي درهم : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ)² ، ولم يثبت دليل شرعي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه بإثبات أو إطلاق تلك التسميات التي تعارف عليها المتأخرون واصطلح عليها من بعدهم ! فغاية الأمر أن اجتهاد العلماء في تقديم تلك المسائل مقبول ما وافق الكتاب والسنة ولم تخالف فهم سلف الأمة من الصدر الأول وما تلاه من قرون أهل الصلاح والإتباع والسنة . ولا بد أن نعلم أن القاعدة الأصولية تقول " لا مشاحة في الاصطلاح " أي لا تنازع **قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -** " والاصطلاحات لامشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة . "³

¹ رسالة (أقسام التوحيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله .

² سورة آل عمران 187

³ مدارج السالكين " (3 / 306) .

فقد ثبت في ديننا أصل الأصول وقاعدة القواعد وعليها مدار الدين كله وبدونه فلا إسلام ولا دين وهي كمال الشريعة وتامها بل وحفظها من الزيادة والنقصان منذ عصر النبوة وإلي يومنا هذا بحمد الله تعالى وإلي قيام الساعة بمشيئة الله تعالى ، قَالَ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)¹ فلا يزعم عاقل منتم للإسلام استخراج كلمة جديدة لم يقلها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا شعيرة لم يسبق إليها ، وكل اجتهادات المجتهدين وأقوال العلماء العارفين في فهم ما ثبت من أبواب ومسائل الدين وتقريبه للناس وليس لابتدائه أو زعم السابق إليه ، وفي ذلك كل من بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء ، لا فضل لصحابي علي آخر ولا لصحابي علي من بعده إلا في الفهم والقرب من فهم النبوة ومنهاجها ، وفي ضوء هذا الفهم نفهم قول نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي)² وَقَالَ سُبْحَانَهُ : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)³ فدل ذلك علي حفظ الشريعة إلي قيام الساعة إخبارا وتحقيقا لا ادعاء أو تعليقا .

¹ سورة المائدة 3

² أخرجه أبو داود [611 / 2] ، حديث [4607] ، والترمذي [44 / 5] ، حديث [2676] ، وابن ماجه [15 - 16 / 1] ، حديث [4] 126 - 127 ، وابن أبي عاصم في السنة [28 : 33] ، والآجري في "الشريعة" ص [46]

³ سورة الحجر 9

فصل في ذكر شيء من تسميات العلماء للتوحيد واختلافهم في استقراءهم النصوص :

بعض العلماء يقسم التوحيد إلى قسمين وبعضهم إلى ثلاثة وبعضهم إلى أربعة أقسام . وبعضهم لا يقسمونه ويأخذونه جملة واحدة .

فمن قال بأن التوحيد ينقسم إلى قسمين جعلوا القسم الأول : توحيد المعرفة والإثبات وهو يشمل الإيمان بوجود الله والإيمان بربوبيته والإيمان بأسمائه وصفاته . والثاني : توحيد القصد والطلب وهو يشمل الإيمان بالوهية الله تعالى¹ ،

وبعضهم قال القسم الأول : التوحيد العلمي الخبري ويتضمن توحيد الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ والثاني : التوحيد الإرادي الطلبي ويتضمن الألوهية . وهو الأشهر بين المتقدمين .

وبعضهم يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول² : القسم الأول: التوحيد القولي ، والمراد به توحيد الرُّبُوبِيَّةِ وتوحيد الأسماء والصِّفَاتِ ، وسمي بالقولي لأنه في مقابل توحيد الألوهية الذي يشكل الجانب العلمي من التوحيد، وأما هذا الجانب فهو مختص بالجانب القولي العلمي .
القسم الثاني: التوحيد العملي ، والمراد به توحيد الألوهية ، وسمي بالعملي؛ لأنه يشمل كلاً من عمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح التي تشكل مجموعها جانب العمل من التوحيد، فالتوحيد له جانبان: جانب تصديقي علمي، وجانب انقيادي عملي.

ومنهم من يقسمه إلى قسمين فيقول:

القسم الأول: توحيد السيادة ، ويعنى بذلك توحيد الرُّبُوبِيَّةِ ، وتوحيد الأسماء والصِّفَاتِ ، وسمي بذلك لأن تفرد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته يوجب له السيادة المطلقة، والتصرف التام في هذا

¹ انظر مجموع الفتاوى (164/15) والفتاوى الكبرى (250/5) لشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله . وقال بذلك الشيخ حافظ بن أحمد آل حكي في معارج القبول .

² من ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية: انظر: ((مجموع الفتاوى)) (1/ 367) .

الكون خلقاً، ورزقاً، وإحياء، وإماتة، وتصرفاً وتدبيراً، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فمن واجب الموحد أن يفرد الله بذلك.

والقسم الثاني: توحيد العبادة ، وَالمُرَاد به توحيد الأُلُوهِيَّة .¹

ومن قَالَ بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام فصل التقسيم السابق زيادة في تسهيل الفهم والمعرفة ، فجعل التَّوْحِيد ينقسم إلى توحيد ألوهية ويدخل فيه توحيد الحاكمية والولاء والبراء وتوحيد ربوبية ويدخل فيه الإيمان بوجود الله وتوحيد الأَسْمَاء وَالصِّفَات ، وَهُوَ أشهر تلك التقسيمات بين المتأخرين ،

ومن قسمه إلى أربعة أقسام جعلوها : توحيد الرُّبُوبِيَّة ويدخل فيه الإيمان بوجود الله وتوحيد الأُلُوهِيَّة ويدخل فيه توحيد الحاكمية والولاء والبراء وتوحيد الأَسْمَاء وَالصِّفَات وتوحيد المتابعة² ،

وبعضهم قسم التَّوْحِيد إلى أربعة أقسام جعلها : توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات وتوحيد حاكمية³ ،

وبعضهم قسم التَّوْحِيد إلى أربعة أقسام جعلها : الأول : الإيمان بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. الثاني : الإيمان بربوبيته، أي: الانفراد بالرُّبُوبِيَّة. الثالث : الإيمان بانفراده بالأُلُوهِيَّة. الرابع : الإيمان بأسمائه وصفاته .⁴ وهكذا .

¹ لمزيد من الاطلاع (معتقد أهل السُنَّة والجماعة في توحيد الأَسْمَاء وَالصِّفَات لمُحَمَّد بن خليفة التيمي -بصرف- ص: 37) نقلا عن الدرر السنية للشيخ لعلي السقاف

² توحيد المتابعة ؛ يعني متابعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يقصدون بهذا التقسيم ما دلَّت عليه الشهادتان فإذا قالوا (توحيد الله) قالوا ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، وإذا قالوا (التَّوْحِيد) بدون الإضافة إلى الله - عز وجل -، جعلوه أربعة أقسام؛ ثلاثة مختصة بالله - عز وجل -، والرابع هو توحيد المتابعة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن لا يُتَّبَع في التشريع غير المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقول الشيخ صالح الفوزان حَفَظَهُ اللهُ : ليس هناك ما يُسمى بتوحيد المتابعة .

³ قال الشيخ صالح آل الشيخ حَفَظَهُ اللهُ في شرح العقيدة الطحاوية : (توحيد الحاكمية داخل إما في توحيد الرُّبُوبِيَّة أو في توحيد الإلهية أو فيها معاً) وقال الشيخ باسر برهاني وَفَقَهُ اللهُ محبياً علي سؤال : (توحيد الحكم هو من توحيد الأَسْمَاء وَالصِّفَات وتوحيد الرُّبُوبِيَّة وتوحيد الأُلُوهِيَّة، ولو أفرد بعنوان لتوضيحه مع بيان دخوله ضمن الأنواع المذكورة لم يكن بذلك بأس.) وقال الشيخ الحوييني حَفَظَهُ اللهُ : (إن توحيد الحاكمية هو أخص خصائص أو من أخص خصائص توحيد الأُلُوهِيَّة .)

⁴ قال بذلك الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في شرح الواسطية وقال : الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور ... - وذكرها ، ثم قال - (لا يمكن أن يتحقق الإيمان إلا بذلك) و لكن الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ يجعل الإيمان بوجود الله والرُّبُوبِيَّة قسم واحد .

فكما تري - أيها البصير اختلافات العلماء في اتخاذ اصطلاحات لاستقراءاتهم حسب ما يروونه أكثر أهمية أو أولوية في عصره ، ولكل عصر أقواله واجتهاداته وآرائه التي - ربما - لا تصلح لأهل عصر آخر ، فذلك تلقي العلماء اجتهادات إخوانهم بالقبول وحملوها علي أحسن المحامل إن كان فيها اللتباس . وتوالت أقوال العلماء في تقرير قبول هذه المسألة وسعة الصدر فيها كما وسعت صدور سلفنا رَحِمَهُمُ اللهُ .

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدِالْفَتْاحِ أَبُو غَدَةَ رَحِمَهُ اللهُ وَعَفَا عَنْهُ : (وأما تقسيم التَّوْحِيدِ إِلَى مَا ذَكَرَهُ هُوَآءِ الأئمة شيخ الإسلام ابن تيمية و تلميذه ابن القيم و الشَّيْخُ مُحَمَّدُ ابْنِ عَبْدِ الوَهَابِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَى تَوْحِيدِ الأُلُوْهِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ فَهَذَا تَقْسِيمُ اصْطِلَاحِيٍّ اسْتَقَاهُ العُلَمَاءُ مِمَّا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهُ تَعَالَى فِي الكِتَابِ وَ السُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ لَا تَحْصَى وَمِمَّا رَدَّ اللهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى المُشْرِكِينَ)¹

وَقَالَ الشَّيْخُ الحَوِينِي وَفَّقَهُ اللهُ : (التَّوْحِيدُ كُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى الأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ المَعْرُوفَةِ الَّتِي اصْطَلَحَ عَلَيْهَا أَهْلُ العِلْمِ وَ لَا مَشَاحَةَ فِي الإِصْطِلَاحِ تَوْحِيدِ الأُلُوْهِيَّةِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ تَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ كُلِّ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ تَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الكَبِيرَةِ)

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ المُنْجِدُ وَفَّقَهُ اللهُ : (إن للعلماء من قديم الزمان تقسيمات للأحكام الشرعية ، وهذا التقسيم إنما هو للتيسير وتسهيل الفهم للنصوص والأحكام الشرعية وخصوصا مع تأخر الزمان وضعف المعرفة باللغة العربية واختلاط اللسان العربي بالأعجمي . فرأى العلماء أن وضع قواعد ومَسَائِلٍ وتقسيمات لتسهيل وتيسير الفهم لا مشاحة فيه بل ذلك من الأمور المستحسنة لما يترتب عليه من تقريب العلم للمسلمين ، فهذا الشافعي² رَحِمَهُ اللهُ واضع علم الأصول في الفقه الإسلامي

¹ كلمات من كشف الأباطيل 37 المطبوعة مستقلة و المطبوعة في آخر جواب المنذري عن أسئلة الجرح و التعديل باعتناء أبي غدة .

² محمد بن إدريس الشافعي .

وقد لاقت تقسيماته قبولا حسنا وعليه درج الأصوليون مع إضافات وتعقب على ما ذكره ، وهكذا جميع العلوم الشرعية كعلم التجويد وتقسيماته وترتيباته وعلوم القرآن وغيرها ومنها علم التوحيد . (وغير ذلك من أقوال العلماء - المتكاثرة - في بيان أن المسألة استقرائية اصطلاحية لا يترتب علي مجرد تلك التسميات عمل أو اعتقاد لخلوها من الدليل والسلف ، وقد وردت أقاويل لعلماء آخر تعصبوا لتلك المسميات وجعلوها دينا منزلا وشرعا متبعا فوالوا وعادوا عليها ورموا من لم يصطلح عليها بالبدعة مخالفين بذلك صدر هذه الأمة من خيرة السلف فالله المستعان ، ولا يحملن أحد - لشيء في قلبه - أن يغبر علينا ويكذب بأننا ننكر التوحيد ! فإني لمسلم أن ينكر مسألة شرعية ثبتت بالدليل وسار عليها السلف فضلا عن أصول الدين والإيمان ؟! فافهم ذلك رُعييت .

فصل في ذكر التفرقة بين التقسيم الاصطلاحي والمضمون الشرعي، ورفع الإلتباس عن يخلط بينهما :

اعلم رَحِمَكَ اللهُ أن جل كلامنا في - هذا الفصل - تلك المسألة حول تَبَيُّن بعض العلماء تقسيمات اجتهادية في مسائل شرعية ، وليس مدار الحديث عن مضمون المسألة التي يجتهدون فيها ، ففرق بين هَذَا وذاك يَرَحِمَكَ اللهُ .

فمن أقر بالتوحيد جملة وتفصيلا ولم يرد مسألة من هذه المسائل فهو علي السُنَّة سائر وبالشرعية قائم ولمنْهَج السلف متبع ولا يضره قبل كلام عالم في عرض مسألة أو رده ، ومن زعم وجوب قبول تقسيمه هَذَا فليئتنا بدليل يوجب اللتزام هَذَا التقسيم ، فإن أتى بالدليل من كلام الله تَعَالَى ومن كلام النبي صلي الله علي وسلم أو من كلام صحبه الكرام فقد أدي ما عليه ووجب علينا التسليم والقبول ، وإلا فلا يَجُوزُ له أن يثير المسألة ويوالي ويعادي عليها ، فافهم بارك الله فيك الحق بدليله فقد زلت في مسائل كثيرة أقدام وضلت علي إثرها فئام من الناس .

قال الشيخ محمد صالح المنجد وفقه الله¹: (لا إشكال في هذا التقسيم ما دام أنه لا يدل على شيء باطل ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، وهذا التفصيل إنما هو لتسهيل الفهم فكما بعد العهد : قلّ الفهم واحتاج العلماء إلى التبسيط والتسهيل والتفصيل .

والخلاصة أنه لا إشكال فيما ذكره السائل لأن من قسم التوحيد إلى قسمين قد جمع في هذين القسمين ما فصله الآخرون ، ومن قسمه إلى ثلاثة أقسام أو أربعة فصل فيما أجمله الآخرون . والجميع متفقون على أن التوحيد يشمل كل ما ذكره . وهذه التقسيمات اصطلاحية لا مانع منها بشرط أن لا يحصل من ذلك مفسدة ، كما لو أخرج من معاني التوحيد بعض ما يدخل فيه ، أو يدخل فيها ما ليس منه . وقد يأتي زمان نحتاج فيه إلى تفصيل أكثر فيفصل العلماء ويقسموا ليسهلوا الفهم .)²

وحتى لا يكون للشيطان مدخل لقلوب إخواني أوضح المقال بمثال : إذا أقر مسلم بالله تعالي رباً ووصفه بكل ما وصف به نفسه وتعبده كما تكون العبادة ولم يقع في مخالفة في الإيمان اعتقاداً وقولاً وعملاً ، ولكنه لا يقبل الإلزام بالتقسيم القائل بأن التوحيد ثلاثة أقسام ربوبية وألوهية وأسماء وصفات ويزعم أنه يسعه ترك هذا التقسيم لأنه نظري بحت وليس مطلباً شرعياً من الله أو من رسوله ، فما حكمه ؟

الجواب : لا شيء عليه طالما استكمل الإيمان ولم يخالف الدليل في مسألة ، وأما مسألة التقسيمات فهي اجتهادية وغير ملزمة للناس . والله اعلم .

¹ من موقع الإسلام سؤال وجواب بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد .

² (1 / 159) بتقييم الشاملة .

ولا يفوتني هنا أن انوه أن الحق أحق أن يتبع وبالذليل نقول لا بأقوال الرجال المجردة من الدليل ، وعليه فمن قالَ حقا قبلناه منه وإن كان ضالا مضلا أو شيطانا رجيا ، ومن قالَ باطلا رددناه عليه وإن كان عالما كبيرا أو صحابيا جليلا - مع حفظ مقام كل وحبه في الله تعالى وموالاته وحفظ كرامته ودينه ومعرفة قدره - فلا محابة لإنسان علي حساب شرع الله تعالى . وعليه فإذا قالَ بالحق الذي نراه في تلك المسألة عالم فاستشهدنا بكلامه هنا ، لا يدل ذلك علي تزكية خطأ وقع فيه إلا إذا تكلمنا صراحة عن خطئة وزكيناها ، فضع كل شيء في نصابه ياطالب العلم وخذ الحق متي لاح ولا عليك بالقاتل فإنما أنت مسئول عن الحق لا عن حامله ، فرب حامل فقه إلي من هو أفقه ورب حامل فقه ليس بفقير¹ .

وقد أجاد الأخ الفاضل أبو إبراهيم الجنوبي² وفقه الله في توصيف القضية وجمع الأقوال فيها بأبسط كلمة وألين عبارة حيث قال : (أكثر كلمات الإخوة فيها خلط بين دليل التقسيم ودليل الأقسام ، فدليل التقسيم هو الاستقراء التام كما تفضل به الأخ الكريم ، وأما دليل الأقسام فهو النص من الكتاب والسنة ، ، وأما الإشارات الواردة بشأن التقسيم في كلمات السلف فقد سبقها إشارات في القرآن الكريم)³ والتقسيم هو الأنواع من اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة إلخ والأقسام أي المضمون ذاته ، وهذه خلاصة المسألة والله الحمد .

ومن خلال ما قدمناه يتبين خطأ من كَفَرَ من لم يؤمن بالتقسيم الاصطلاحي⁴ ، وقال : (وما يؤمن بالتوحيد من لم يؤمن بهذه الأقسام الثلاثة المستمدة من نصوص الشرع ، إذ التوحيد المطلوب شرعاً هو الإيمان بوحداية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، ومن لم يأت بهذا جميعه فليس

¹ قال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : 6763 في صحيح الجامع

² أحد إخواننا أعضاء ملتقي أهل الحديث .

³ مشاركة له في موضوع (ما الفائدة من تقسيم التوحيد إلي ثلاثة أقسام ؟) بملتقي أهل الحديث .

⁴ تكلم بذلك الشيخ الدكتور عبدالرازق بن عبدالمحسن البدر وفقه الله في بحثه (القول السديد) فعفا الله عنه .

موحداً.¹ فإن كان يقصد التقسيم ذاته فقد كفر الناس بما - هو اجتهاد بشري - ليس محلاً للتكفير ، وإن كان يقصد المضمون فهو على الجادة ولا إشكال في كلامه وهذا قول أهل السنة قاطبة لا مخالف في ذلك² فلا مناسبة - إذن - لأن يذكره عند إنكار اصطلاحية التقسيم، ثم نقول له : ما قولك فيما لو استكمل مسلم التوحيد الذي جاء به نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يخرم منه مسألة ولكنه لم يقبل التقسيم الذي لم يظهر إلا بعد قرون من عهد النبوة ، هل هو مؤمن بالتوحيد أم غير مؤمن؟! فإن قال مؤمن فقد قال بما رضيه لنا نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ديناً ومات عليه ، وإن قال لا يؤمن فقد كفر المسلم بغير مكفر وعتذر إلى الله من فعله ، فتنبه لذلك يرحمك الله .

ومن أجمل وأوفي الردود علي مثل هذه النقطة قول الدكتور عبد الله ابن حسين الموجان وفقه الله: (فما كان جواباً لك عن اصطلاحك كان جواباً لِمُنَازِعِكَ، فالاصطلاح على تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات هو للبيان والفهم لا للحكم على أهل القبلة بالشرك، وإلا فلو لم نقل بهذا التقسيم، فهل عدم قولنا يمنع الحكم على المشرك أو من فعل الشرك بما هو أهله، ليس الحكم فرعاً عن الاصطلاح، ولا سيما وقضية التكفير تستلزم استيفاء الشروط ونفي الموانع.³)

1 القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (1 / 29) لعبدالرازق البدر وفقه الله.

² قال الشيخ عبدالرحمن عبدالحق حفظه الله : (وكان من مقاصد هذا التقسيم الثلاثي لمعاني التوحيد، وقضية الإيمان بالله، تعلم الناس أنه لا يكون مؤمناً إلا من جمع هذه الأقسام الثلاثة، وأن من آمن ببعض صفات الله وكفر ببعضها فهو كافر، فمن آمن بالله خالقاً ورازقاً ومالكاً، ولم يؤمن به إلهاً ولكنه حمد بعض ما وصف به نفسه كالاستواء، والتزول إلى سماء الدنيا، ورؤية المؤمنين له في الآخرة، أو نفي كلامه، أو رحمته أو غضبه، فهو كافر لأنه حمد بعض ما وصف به نفسه سبحانه وتعالى.) رسالة (أقسام التوحيد، الاصطلاح والمضمون)

³ الرد الشامل على عمر كامل (16 / 17) بترقيم الشاملة للشيخ عبدالله الموجان حفظه الله . (نقد علمي موثق لكتاب الدكتور عمر عبد الله كامل الموسوم بـ "كفى تفريقاً للأمة باسم السلف" وهو الكتاب الذي زعم أنه مناقشة علمية لكتاب الدكتور/سفر الحوالي: "نقد مذهب الأشاعرة في العقيدة")

فصل في ذكر الموقف الشرعي من ذلك التقسيم الاستقرائي الاصطلاحي .

يَجِبُ علي المنصف - شرعا وعقلا - أن يضع كل شيء في نصابه ، وأن لا يغفلوا في أحد ولا يجفوه ، فليس بواجب الالتزام هَذَا التقسيم الذي تعارف عليه جملة من علماء العصر - أو بعض العصور - أو أن يحكم ببدعيته ! لأن هَذَا إلزامٌ بما لا يلزم ، وهَذَا الإلزام حق للمشرع فقط ، وأما ما اجتهد فيه العلماء فهو سعة ورحمة من الله تَعَالَى لعباده ، وما نَاسَبَ فِتْنَةً من الناس ربما لا يناسب فِتْنَةً أُخْرَى وما لم يناسب فِتْنَةً ربما ناسب فِتْنَةً أُخْرَى ، وهذه طبائع البشر وسنة الله الكونية ، وبغيرها لما استقامت الحياة علي هذه الأرض ، فَيَجِبُ علي من يأخذ بالقول بتقسيم التَّوْحِيدِ اصْطِلَاحِيًّا إلي أقسام أن لا ينكر علي من لم يأخذ بذلك التقسيم - مع اعترافه بالمضمون طبعاً - فإن أنكر علي صاحبه وشنع عليه فقد خالف السُّنَّةَ القاضية بالإبقاء علي ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن لم يأخذ بذلك التقسيم يَجِبُ عليه أن لا يبدع أو يشنع علي من قسم هَذَا التقسيم وأخذ به ، فإن أنكر عليه فقد خالف السُّنَّةَ القاضية بالاجتهاد في فهم النصوص وفق فهم سلف الأمة وكذلك خالف السُّنَّةَ القاضية بفتح أبواب المصالح الدعوية ما لم تخالف السُّنَّةَ ، وهَذَا هو فهم سلف الأمة في تلك المسألة . والخير كل الخير فيما مات عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والسلامة لا يعدلها شيء .

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول الدكتور صلاح الصاوي حَفِظَهُ اللهُ : ("فإنَّ هَذَا التقسيم اصْطِلَاحِيًّا، الهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلح أهل العلم على أسماء اصْطِلَاحِيَّةٍ للعلوم ... وعلى هَذَا فلا مشاحة في الاصطلاح، وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّةِ، وبين ما يدخل في توحيد الأُلُوهِيَّةِ، وبين ما يدخل في توحيد الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، بل إنَّ هَذَا التقسيم ابتداءً على هَذَا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سُنَّةٌ متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني، هَذَا وإن كان تتابع أهل العلم على

استخدام هذا التقسيم واستقراره عبر قرون طويلة يجعله جزءاً من التراث السلفي، فينبغي قبوله على أن لا يكون في ذاته معقد ولاء وبراء¹ (").¹ فقد أجاد في توصيف التقسيم وأفاد وتوسط في الحكم عليه واعتدل فجزاه الله خيراً. ولا تستمع إلي من خطاه في كلامه، فقد خطاه بدافع الهوي ولا دليل علي تخطئه البتة.

فصل في ذكر ورود مضمون أقسام التوحيد - الاصطلاحية - في القرآن والسنة، وعدم وجود التسميات المصطلح عليها.

اعلم رحمك الله أن التوحيد الذي أمرنا الله تعالى به ورد موفوراً في القرآن والسنة، بل كل آيات القرآن وأحاديث سيد الأنام تتكلم صراحة عن التوحيد أو حوله، إذ التوحيد هو غاية الخلق والخلقة.

وعليه فلا يزعم مسلم أن مسألة - صريحة أو مضمونها - واحدة موجودة بيننا من مسائل التوحيد الذي أراد الله تعالى لم تكن موجودة علي عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام أو خفيت عليهم، فإن كان زعمه صحيحاً فلا تكون المسألة من التوحيد، لأن مسائل التوحيد كلها توقيفية لا مجال للعقل فيها.

وعليه: فما ثبت في الشرع بألفاظه ومعانيه يجب علي كل مسلم إثباته واعتقاده، وإن كان يحل له أن يجتهد في فهم النصوص وتقريبها إلي الناس فلا يحل له أن يجعل فهمه للنصوص شرعاً متبعاً وديناً منتشراً.

1 الثواب والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر د. صلاح الصاوي، نقل عن (القول السديد في الرد على من أنكروا تقسيم التوحيد)

والخلاف في مسألة تقسيم التوحيد خلاف علي الألفاظ المحدثه التي تكلم بها العلماء بعد عهد النبوة والصحابة ، هل هذا مقبول أم مردود؟! وما الموقف من قبله أو رده؟! هل هو مبتدع أم لا؟! وقد فصلنا القول في ذلك سابقا .

ولاحظ أننا نقول (ألفاظ التقسيم المحدثه بعد عهد النبوة) ، وليس (مضمونها) ، ففرق بين الاثنين يَرْجَمَكَ اللهُ .

قال الأخ الفاضل عمرو بسيوني وفقه الله : (معنى هذه الأقسام لا ريب أنه منصوص عليه وموجود في كلام الشارع ثم كلام الصحابة والتابعين ، و المجادل في هذا ضال زائع بلا ريب ، وإلا فلا معنى لأحقيقته في نفسه إن لم يكن موجودا في كلام السلف ، بل اخترع اختراعا .)

وقد قال الدكتور عبدالرازق البدر وفقه الله راداً علي من يزعم أن (التقسيم ليس توقيفي وأنه لم يرد في كتاب الله) : (وتأمل - يا رعاك الله - قول ابن بطه رَحْمَةُ اللهِ : " ولأننا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها " . ففيه أبلغ ردّ على من يزعم أن هذا التقسيم لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وتأمل قوله في بداية كلامه: (وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يَجِبُ على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء) . فقد نص رَحْمَةُ اللهِ على أن أقسام التوحيد الثلاثة هي أصل الإيمان الذي يَجِبُ على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان بالله ، ومعنى ذلك أنه لا إيمان لمن لم يأت بهذه الأمور الثلاثة ولا توحيد؛ إذ الإيمان والتوحيد هو أفراد الله وحده بهذه الأمور الثلاثة ، فمن لم يأت بتوحيد الربوبية فهو معطل للخالق مشرك في ربوبية الله ، ومن لم يأت بتوحيد الألوهية فهو مشرك في ألوهية الله وعبادته كالمشركين عبدة الأصنام ، ومن لم يأت بتوحيد الأسماء والصفات فهو كافر ملحد في أسماء

الله وصفاته)¹ فظن الرجل أن دعاء الله تَعَالَى عباده بتوحيده في كل واحدة من الثلاث دليل علي وجود التسميات المحدثه ! ولا أدري كيف أسي هذا !؟

قول : يا شيخ ، هل قال الله تَعَالَى أو قال رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قال أحد الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ (التَّوْحِيدِ قَسْمِينَ ؟! أو التَّوْحِيدِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ ؟! أو التَّوْحِيدِ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ ؟!)

نريد جوابا صريحا ، هل ورد ذلك بهذه التقسيمات أم لا ؟! بالطبع لم يرد ولن تستطيع إثباته ولو تملأ معك الثقلان ، فقد كمل الدين وارتضاه رب العالمين قبل أن يذكر العلماء تلك التقسيمات .

واعلم أننا لا نسأل عن المضمون ، فالمضمون كلنا متفقون عليه ولا ينكره مسلم . ومن أنكر مضمون مسألة منه فقد نقض إيمانه وتوحيده بقدر مسأله ، فهذا كلام متفق عليه ولا جديد فيه .

بل نحن نتكلم عن التقسيم بهذا الشكل ، إن كان ورد فعليك بالآية أو الحديث أو قول الصحابي التي ورد فيه أن التَّوْحِيدِ قَسْمِينَ أو ثلاثة أو أربعة ! ولا تحدثني عن دليل يذكر المضمون ، فكل آية - علي سبيل العموم - من القرآن تدور حول التَّوْحِيدِ ولا يختلف في ذلك أحد كما ثبت : (عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِرَجُلٍ « كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ ». قَالَ أَتَشْهَدُ وَأَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ أَمَا إِنِّي لَا أَحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « حَوْلَهَا نُدْنِدُنُ »).²

بل لم يصرح ابن بطه رَحِمَهُ اللهُ بأن هذا التقسيم توقيفي ، وغاية ما قاله أن مضمون هذا التَّوْحِيدِ بأقسامه الثلاثة موجود في القرآن ، وهذا ما نقول به ولم يخالف في ذلك أحد ، ولكن النزاع في كون التسميات الثلاثة أو الأربعة للتوحيد موجودة بهذا الشكل في القرآن أم لا ؟!

¹ القول السديد (1 / 33) بترقيم الشاملة .

² صحيح بن حبان (3 / 149) رقم 868 بتحقيق شعيب الأرنؤوط ، سنن أبي داود (1 / 292) رقم 792 ، سنن بن ماجه (1 / 295) رقم 910 وكذا 3847 بتحقيق مُحَمَّدُ فَوَّادِ عَبْدِ الْبَاقِي وَصَحِيحُ بَنِ خَزِيمَةَ 725 ، والسسن الصغري للبيهقي (1 / 282) رقم 467 بتحقيق د. مُحَمَّدُ ضِيَاءِ الرَّحْمَنِ الْأَعْظَمِيِّ .

فإن قدرت علي الجواب فأسمعنا إياه لنرفع الجهل بما ستقول عن ألوف من علماء المسلمين - فضلا عن الملايين التي تتبعهم - الذين يقولون بأن هذه التسميات غير موجودة في القرآن ، وجزاك الله خيرا .

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ بَعْضِ أَقْوَالٍ مِنْ اسْتَعْمَلَتْ تِلْكَ التَّسْمِيَّاتِ الْإِصْطِلَاحِيَّةَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ ¹ .

قال الشيخ محمد بن الحسن وفقه الله :- أما أول من استعمل هذه المصطلحات: فهذه المصطلحات ذكرها عدد من علماء القرن الرابع، ومنهم: الأشعري ، و الصابوني ، وآخرون بعدهما؛ لكن أول من ذكرها - حسب ما أعلم - الصابوني في رسالته لأهل نيسابور، وقد تبعهم عليها شيخ الإسلام ابن تيمية و ابن أبي العز وغيرهما. ²

قال الدكتور عبدالرازق البدر وفقه الله رادا علي من رمي القائلين بهذا التقسيم بالبدعة - يقصد به حسن السقاف - : (من هم المبتدعة الخراصون الذين يهدون بهذا التقسيم؟ أهم الإمام أبو حنيفة ³ ، والقاضي أبو يوسف ⁴ ، والطحاوي ⁵ ، وابن جرير الطبري ⁶ ، وابن بطة ⁷ ، وابن مندة ⁸ ، وأبو إسماعيل التيمي ⁹ ، وابن حبان ¹⁰ ، وابن أبي زيد القيرواني ¹¹ ، وابن تيمية ¹² ، وابن القيم ¹³ ، وابن كثير ¹ ،

1 تلك النقولات بتصرف من بحث للأخ الفاضل أبو عبد الله المليباري بعنوان : (دفع الإيهام عن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام) .

2 دروس صوتية للشيخ مُحَمَّد بن الحسن ولد الددوق بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية " 11 / 41 " . بترقيم الشاملة .

3 الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي مولى بني تيم الله بن ثعلبة (المتوفى : 150هـ)

4 الإمام القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حُبَيْش بن سعد بن مُجَيْر بن معاوية الأنصاري الكوفي صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة 182هـ .

5 الإمام أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) وصاحب العقيدة الطحاوية .

6 الإمام مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)

7 أبو عبد الله عبيد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حمدان العكبري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: 387هـ)

8 أبو عبد الله مُحَمَّد بن إِسْحَاق بن مُحَمَّد بن يحيى بن مَنْدَه (المتوفى: 395 هـ).

9 أبو القاسم إسماعيل ابن مُحَمَّد بن الفضل التيمي الأصبهاني (المتوفى: 535 هـ) .

10 مُحَمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن مُعَاذ بن مُعَبَّد بن سَهيد بن هَدِيَّة بن مُرَّة بن سعد بن يزيد بن مُرَّة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن حَنْظَلَة بن مالك بن زيد مائة

بن تميم، أبو حاتم التميمي البُستِي [المتوفى: 354 هـ] .

11 ابن أبي زيد القيرواني المالكي المتوفى سنة 386 هـ

12 أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم واسمه الخضر بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الله الحراني ثم الدمشقي الشَّيخ تقي الدين أبو العباس ابن

الشَّيخ شهاب الدين ابن الشَّيخ مجد الدين المعروف بابن تيمية الملقب بشيخ الإسلام (المتوفى: 728 هـ) .

13 مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : 751هـ)

والذهبي²، والصنعاني³، والشوكاني⁴، والمقرزي⁵، وابن أبي العز⁶، ومُحمَّد ابن عبد الوهاب⁷، وجميع تلاميذهم، وملا علي القاري⁸؟!)⁹ وغيرهم ممن قالوا بأقوالهم ولم نقف عليها أو من هم في مرتبتهم في العلم والقدر وأقروهم علي ذلك وقبلوا منهم .

قال الشيخ بكر أبو زيد¹⁰ رَحْمَةُ اللَّهِ: (هَذَا التَّقْسِيمُ الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي¹¹ في (تاج العروس) وشيخنا الشنقيطي¹² في (أضواء البيان) وآخرين رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء)¹³ .

ومن المناسب أن أقتبس - بتصرف يسير - بعض النقولات المتتالية من كتاب القول السديد للشيخ الدكتور عبدالرازق البدر وَفَقَهُ اللَّهُ .

¹ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)

² شمس الدين مُحمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: 748 هـ).

³ مُحمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن مُحمَّد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير(المتوفى: 1182 هـ) .

⁴ مُحمَّد بن علي بن مُحمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) .

⁵ أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس تقي الدين الحسيني العبيدي، البجلي الأصل، القاهري المقرزي (845 المتوفى: هـ) .

⁶ الإمام العلامة صدر الدين، أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن مُحمَّد، المعروف بابن أبي العز، الأذري الأصل، الدمشقي الصالحي الحنفي (792 المتوفى: هـ).

⁷ الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التيمي الحنبلي النجدي (المتوفى: 1206هـ) .

⁸ نور الدين علي بن سلطان بن مُحمَّد الهروي المكي الحنفي، وقد عرف بالقاري لأنه كان إماما في القراءات (المتوفى: 1014 هـ) .

⁹ القول السديد في الرد علي من أنكر تقسيم التوحيد (83) بترقيم الشاملة .

¹⁰ بكر بن عبد الله أبو زيد .

¹¹ مُحمَّد بن مُحمَّد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب (1205 المتوفى: هـ) .

¹² مُحمَّد الأمين بن مُحمَّد بن المختار الحكني الشنقيطي(المتوفى: 1393 هـ) .

¹³ التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص: 30) ، وص 21 بترقيم الشاملة.

قَالَ الإمام أبو حنيفة النعمان ابن ثابت¹ رَحِمَهُ اللهُ (يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلٍ؛ لِأَنَّ الْأَسْفَلَ لَيْسَ الْأَوْسَطُ وَصِفَ الرَّبُّوبِيَّةِ وَالْأُلُوْهِيَّةِ فِي شَيْءٍ) . فقوله: " يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلٍ " إثبات العلو لله، وَهُوَ مِنْ تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وفيه رد على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم من نفاة العلو. وقوله: " مِنْ وَصِفَ الرَّبُّوبِيَّةِ " فيه إثبات توحيد الربوبية. وقوله: " وَالْأُلُوْهِيَّةِ " فيه إثبات توحيد الألوهية.²

قَالَ ابن منده في كتابه "التَّوْحِيدُ": أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ السَّرْحَسِيُّ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمَةَ الْبَلْخِيُّ ثَنَا بَشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْقَاضِي عَنْ أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي³ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ التَّوْحِيدُ بِالْقِيَاسِ الْمِثْلِ تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَاتِ الَّتِي يَصِفُ بِهَا نَفْسَهُ أَنََّّهُ عَالِمٌ قَادِرٌ قَوِيٌّ مَالِكٌ وَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي عَالِمٌ قَادِرٌ لَعَلَّةٌ كَذَا أَقْدَرُ، بِسَبَبِ كَذَا أَعْلَمُ، وَبِهَذَا الْمَعْنَى أَمْلِكُ، فَلِذَلِكَ لَا يُجُوزُ الْقِيَاسُ فِي التَّوْحِيدِ، وَلَا يَعْرِفُ إِلَّا بِأَسْمَائِهِ، وَلَا يُوصَفُ إِلَّا بِصِفَاتِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ⁴ الآية، وَقَالَ: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} ⁵، وَقَالَ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ} ⁶ الآية.

قَالَ أبو يوسف: لَمْ يَقُلِ اللَّهُ: انظُرْ كَيْفَ أَنَا الْعَالِمُ وَكَيْفَ أَنَا الْقَادِرُ وَكَيْفَ أَنَا الْخَالِقُ، وَلَكِنْ قَالَ: انظُرْ كَيْفَ خَلَقْتَ ثُمَّ قَالَ: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ} ⁷، وَقَالَ: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} ⁸ أي: تعلم أن هذه الأشياء لها ربُّ يخلقها ويبيدها ويعيدها وأنتُ مَكُونٌ وَلَكِ مِنْ كَوْنِكَ. وإنما دلَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

1 أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي مولى بنى تيم الله بن ثعلبة (المتوفى : 150هـ) .

2 كتابه الفقه الأيسر (ص51) نقلًا عن (القول السديد) ص 42 بترقيم الشاملة .

3 الإمام القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة 182هـ.

4 سورة البقرة، الآية 21.

5 سورة الأعراف، الآية 185.

6 سورة البقرة، الآية 164.

7 سورة النحل، الآية 70.

8 سورة الناريات، الآية 21.

خلقه بخلقه ليعرفوا أنّ لهم رباً يعبدوه ويطيعوه ويوحده، ليعلموا أنه مكونهم، لا هم كانوا، ثم تسمى فقال: أنا الرحمن وأنا الرحيم وأنا الخالق وأنا القادر وأنا المالك، أي: هذا الذي كونكم يسمى المالك القادر الله الرحمن الرحيم بها يوصف.

ثم قال أبو يوسف: يعرف الله بآياته وبخلقه ويوصف بصفاته ويسمى بأسمائه كما وصف في كتابه، وبما أدى إلى الخلق رسوله.

ثم قال أبو يوسف: إن الله عز وجل خلقك وجعل فيك آلات وجوارح عجز جوارحك عن بعض وهو ينقلك من حال إلى حال لتعرف أنّ لك رباً وجعل فيك نفسك عليك حجة بمعرفته تتعرف بخلقه، ثم وصف نفسه فقال: أنا الرب وأنا الرحمن وأنا الله وأنا القادر وأنا المالك فهو يوصف بصفاته ويسمى بأسمائه، قال الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} ¹، وقال: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} ²، وقال: {لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ³، فقد أمرنا الله أن نوحده، وليس التوحيد بالقياس؛ لأنّ القياس يكون في شيء له شبه ومثل، فالله تعالى وتقدس لا شبه له ولا مثل له تبارك الله أحسن الخالقين.

ثم قال: وكيف يدرك التوحيد بالقياس وهو خالق الخلق بخلاف الخلق ليس كمثل شيء تبارك وتعالى. وقد أمرك الله عز وجل أن تؤمن بكل ما أتى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ⁴، فقد أمرك الله عز وجل بأن تكون تابعا سامعا مطيعا ولو يوسع على الأمة التماس التوحيد وابتغاء الإيمان برأيه وقياسه

¹ سورة الإسراء، الآية 110.

² سورة الأعراف، الآية 180.

³ سورة الحشر، الآية 24.

⁴ سورة الأعراف، الآية 158.

وَهُوَ إِذَا لَضَلُّوا، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} ¹، فافهم ما فسر به ذلك" ².

ورواه أيضاً الإمام الحافظ قوام السُّنَّة أبو القاسم إسماعيل التيمي الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ المتوفى سنة 535 هـ في كتابه "الحجة في بيان المحجة وشرح التَّوْحِيد ومذهب أهل السُّنَّة" ولأهميته عنده خصه بفصل مستقل فقال: "فصل في النهي عن طلب كيفية صفات الله عز وجل" وذكره بإسناده من طريق السرخسي به ³.

وأثر أبي يوسف هذا الذي رواه هَذَانُ الإِمَامَانِ عَظِيمِ القَدْرِ مشتمل على أقسام التَّوْحِيدِ الثلاثة: توحيد الرُّبُوبِيَّةِ وتوحيد الأُلُوهِيَّةِ وتوحيد الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. ⁴

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ الطَّحَاوِيِّ ⁵ رَحِمَهُ اللهُ فِي مَقْدَمَةِ مَتْنِهِ فِي العَقِيدَةِ المَشْهُورِ بِالطَّحَاوِيَّةِ: (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره).

فقوله: "إن الله واحد لا شريك له" شامل لأقسام التَّوْحِيدِ الثلاثة، فهو سُبْحَانَهُ واحد لا شريك له في ربوبيته، وواحد لا شريك له في ألوهيته، وواحد لا شريك له في أسمائه وصفاته. وقوله: "ولا شيء مثله"، هذا من توحيد الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. وقوله: "ولا شيء يعجزه" هذا من توحيد الرُّبُوبِيَّةِ.

6

¹ سورة المؤمنون، الآية 71.

² التَّوْحِيد لابن مندة (306 304/3).

³ انظر: الحجة للتيمي (111/1، 113).

⁴ القول السديد (1 / 40) بترقيم الشاملة.

⁵ أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك، الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي المتوفى سنة 321 هـ

⁶ القول السديد (1 / 42) بترقيم الشاملة.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمِ البُسْتِي ¹ رَحِمَهُ اللهُ مشيراً إلى الأقسام الثلاثة للتوحيد ، الألوهية والرُبُوبية والأسماء وَالصِّفَات .

: (الحمد لله المتفرد بوحداية الألوهية، المتعزز بعظمة الرُبُوبية، القائم على نفوس العالم بأجلها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيهه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته) ² .

وَقَالَ ابن أبي زيد القيرواني ³ رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة عقيدته : (من ذلك: الإيمان بالقلب والنطق باللسان بأن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيهه له، ولا نظير، ولا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له ولا شريك له، ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون...إلى أن قَالَ: تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غنى، خالق لكل شيء، ألا هو رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم).

وَقَالَ أبو بكر الطرطوشي ⁴ رَحِمَهُ اللهُ : (وأشهد له بالرُبُوبية والوحدانية، وبما شهد به لنفسه من الأسماء الحسنی والصفات العلی والنعوت الأوفى) ⁵ .

وَقَالَ ابن بطة العكبري ⁶ رَحِمَهُ اللهُ : ((وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يَجِبُ على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانئته؛ ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صناعاً.

¹ مُحَمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن مُعَاذ بن مُعَبَّد بن سَهيد بن هَدِيَّة بن مُرَّة بن سعد بن يزيد بن مُرَّة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن حَنْظَلَة بن مالك بن زيد مَنَاء بن تميم، أبو حاتم التميمي البُستِي [المتوفى: 354 هـ] .

² مقدمة كتاب (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) لأبي حاتم البستي

³ ابن أبي زيد القيرواني المالكي المتوفى سنة 386 هـ

⁴ أبو بكر مُحَمَّد بن الوليد بن مُحَمَّد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي المتوفى 520 هـ .

⁵ كتاب "سراج الملوك" (7/1) لأبي بكر الطرطوشي .

⁶ أبو عبد الله عبيد الله بن مُحَمَّد بن بطة العكبري المتوفى سنة 387 هـ

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون بذلك مابيناً لأهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقد موصوفاً بالصفات التي لا يَجُوزُ إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه. إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إحداه في صفاته قادحاً في توحيدِهِ. ولأننا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها. فأما دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هَذَا هاهنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأن الجهمي يدعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان جمده للصفات قد أبطل دعواه لهما))¹.

ثم أخذ يورد ما يدل على بطلان قول الجهمية في نفي الصفات، وهَذَا نص غاية الوضوح في ذكرِ أقسام التَّوْحِيدِ الثلاثة.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ أَبِي العَزِّ الحَنَفِيِّ² رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ عَلَى العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ : (التَّوْحِيدُ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَ أَنْوَاعٍ : أَحَدُهُمَا : الكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ وَالثَّانِي : تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ وَبَيَانُ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَالثَّلَاثُ : تَوْحِيدَ الأُلُوهِيَّةِ ، وَهُوَ اسْتِحْقَاقُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)³

وَقَالَ الإِمَامُ الطَّبْرِيُّ⁴ رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَ لَهُ أَسْمَاءٌ مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ..)⁵ يَقُولُ : (وَ لَهُ خَشَعٌ مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، فَخَضَعُ لَهُ بِالْعِبَادَةِ وَأَقْرَبُ لَهُ بِأَفْرَادِ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَانْقَادُ لَهُ بِإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ وَالأُلُوهِيَّةِ طَوْعًا وَكَرْهًا)⁶ وَفِيهِ تَفْرِيقٌ وَاضِحٌ بَيْنَ تَوْحِيدِ

¹ كتاب (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة) لابن بطة رَحِمَهُ اللهُ (693 ، 694) من النسخة الخطية، وفي مختصره (ق 150). نقلا عن القول السديد (1 / 32) بترقيم الشاملة .

² صدر الدين، أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن مُحَمَّد، المعروف بابن أبي العز، الأذري الأصل، الدمشقي الصالح الحنفي (المتوفي 792 هـ)

³ شرح ابن أبي العز (78)

⁴ مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفي: 310 هـ)

⁵ سورة آل عمران 83

⁶ 336/3 الطبري

الرُّبُوبِيَّةُ التي هي الإقرار بوحداية الله وإفراده وتوحيد الألوهية التي هي الخضوع لله بالعبادة ، وليس هَذَا عن كفار قريش بل هو حكاية علي سبيل العموم .

وقال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ كذلك عند تفسير قوله تعالى : (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ..) ¹ : (يعني بذلك جل ثناؤه : وذُلُّوا لله بالطاعة و خضعُوا له بها وأفردوه بالرُّبُوبِيَّةِ وأخلصوا له الخضوع والذلة بالانتهاء إلى أمره والانزجار عن نهيه ولا تجعلوا له في الرُّبُوبِيَّةِ والعبادة شريكاً تعظّمونه تعظيمكم إياه) . وفي هذه العبارة أيضاً تفریق بين الرُّبُوبِيَّةِ والعبادة أي الألوهية وتصريح بتلك المصطلحات .

وقال - أيضا - رَحِمَهُ اللهُ أيضا في تفسير قوله تعالى : (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) ² يقول : فليخلص له العبادة وليفرد له الرُّبُوبِيَّةِ) والعبارة واضحة في تقسيم التوحيد بهذه المصطلحات .

وقال - أيضا - رَحِمَهُ اللهُ أيضا عند تفسير قوله تعالى : (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) ³ : (يقول : وما من معبودٍ تصلح له العبادة وتنبغي له الرُّبُوبِيَّةِ إلا الله الذي يدين له كلُّ شيءٍ ويعبده كلُّ خلقٍ)

وقال الإمام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ ⁴ في تفسير قوله تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) ⁵ : (هَذَا المقام في إثبات الرُّبُوبِيَّةِ وتوحيد الألوهية) أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) أي أوجدوا من غير موجد أم هم أوجدوا أنفسهم ؟

¹ سورة النساء 36

² سورة الكهف 110

³ سورة ص 65

⁴ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)

⁵ سورة الطور 35

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى : فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك: "فاعلم يا مُحَمَّد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهية، ويجوز لك وللخلق عبادته إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء يدين له بالرُّبُوبِيَّة كل ما دونه"¹.

ومن هذه النقول يتبين للبصير بأن هذه التقسيمات اجتهد في استخراجها جهابذة العلماء من أهل السنة رَحِمَهُمُ اللهُ ، وسار عليها من تبعهم .

فصل في الرد علي من زعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ - أو الشيخ مُحَمَّد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ - أول من قسم هذه التقسيمات.

ويأيراد النقول السابقة - علي سبيل المثال لا الحصر - تسقط فرية أخري شُئِت علي الشيخ مُحَمَّد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ ومن قبله علي شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله بأنه أول من اخترع هذه التقسيمات ولم يسبقه أحد إليها ! ، ذكروا ذلك ذمًا له - رَحِمَهُ اللهُ - وقدحا في سنته واتباعه للسنة واقتفائه للأثر ! يشتمون مُذَمِّمًا وَهُوَ مُحَمَّدًا !

مدحوه من حيث أرادوا ذمه من غير قصد ، وشهدوا له بالاتباع من حيث أرادوا رميه بالابتداع . فالشيخ سائر علي الدليل بفهم خير القرون وليس فعله من البدعة في شيء .

ومن أولئك الذين رموه بذلك الشيخ حسن المالكي² حيث قال (والتفريق نفسه تفريق مبتدع، ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولم يُقَل بهذا التفريق أحد من الصحابة ولا التابعين؛ فالتوحيد شأنه واحد)³ ! وليس قوله بالصحيح ، لأن اجتهاد العالم في جمع الآيات والأحاديث في الباب وتيسيرها للمسلمين ليست مذمومة بل هي ممدوحة ، والتقسيم ما دام لم يخالف شيئًا من الكتاب والسنة

¹ جامع البيان في تأويل القرآن (22 / 173) للطبري رَحِمَهُ اللهُ .

² هو الشيخ حسن بن فرحان المالكي نسبة إلى بني مالك في جنوب المملكة العربية السعودية .

³ " قراءة في كتب العقائد ، المذهب الحنبلي نموذجًا " لحسن المالكي .

فليس مبتدع ، ونقول فيه بأنه اصطلاح مفيد لا شرع جديد ، ويسوغ الخلاف في ذلك التقسيم ويمنع التبديع علي أساسه !فليس مبتدع من قسم التوحيد إلى قسمين عند من يقول بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام أو أربعة ! وليس من يقول بالتقسيم مبتدع عند من لا يقول به ما دام لا يخالف في مضمونه ! وليس من لا يقول بالتقسيم مبتدع عند من يقول به ما دام متفق معهم علي مضمون التوحيد الذي أوجهه الله تعالى علي العبيد ، تلك هي سعة الدين التي رحم الله تعالى بها الناس . وهب - مثلا - أن دعواهم صحيحة بأنه أول من قسم هذه التقسيمات - وإن كان هو من أكثر من استعملها وروجها - ، فهل من عاقل يذم الورود بلونها الأحمر ؟! وهل من عاقل يذم عابدا لكثرة عبادته - أي علي السنّة - ؟! أم هو سقم العقول الذي أنتجته قلوب سقيمة ؟!

أليست منقبة له ومُحَمَّدَة أن اجتهد في فهم النصوص الشرعية علي منهاج سلف الأمة ووفق قواعدهم فيسّر للمسلمين أمر دينهم وقربه إلى أفهامهم ؟! بلي والله . فله دره من عالم جهبذ نحير . وقد كان الكلام عن ابن تيمية هل هو أول من قسم هَذَا التقسيم أو أنه مسبق ، فبذلك تسقط دعوي من زعم ان ابن عبد الوهاب أول من قسمها ، قَالَ الشَّيْخُ الألباني رَحِمَهُ اللهُ : (مع أن شيخ الإسلام مسبق بهذا بابن مندة، ابن منده في كتاب التَّوْحِيدِ له مثل هَذَا التقسيم)¹ وكذلك يسقط بما ذكرناه قول من قَالَ - وَهُوَ حسن السقاف - : (وخصوصاً أَنَّ هَذَا التقسيم لايعرف عند السَّلَفِ البتة وإنما اخترع هَذَا التقسيم وانتشر بعد القرن السابع الهجري)² . وقول من قَالَ : (بل إنَّ هَذَا التقسيم بدعة خلفية مذمومة حدثت في القرن الثامن الهجري، أي بعد زمن

¹ موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 70) بتزقيم الشاملة . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعان .

² التنديد بمن عَدَد التَّوْحِيد (3) ، والرّد عليه في القول السديد (31) .

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنحو ثمانمائة سنة ولم يقل بهذا التقسيم أحد من قبل...¹ وقول من قَالَ : (ابن تيمية الذي اخترع تقسيم التَّوْحِيدِ إلى ألوهية وربوبية ..)² .

فذلك أحسن الرد الشيخ أبا خالد السلمي وَفَقَهُ اللهُ حين قَالَ : (وحتى لو سلمنا جدلا أنه أول من قَالَ به لم يضر ذلك إذا كان المضمون صحيحا موافقا للكتاب و السُّنَّةِ ثم إن هؤلاء المنكرين على شيخ الإسلام يقسمون التَّوْحِيدِ باعتبارات أخرى إلى توحيد الذات و توحيد الصفات و توحيد الأفعال ، وما دافعوا به عن تقسيمهم القاصر دافعنا به عن تقسيمنا الصحيح .)

ومن خلال ما سبق يتبين أن التَّوْحِيدِ راسخ في الأمة منذ عهد النَّبُوَّةِ ، لم يُزد فيه مسألة ولم ينقص منه ، بل هو علي ما تركنا عليه نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تحقيقا لكلام ربنا جل وعلا لا تعليقا : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)³ .

وعليه فأقسام التَّوْحِيدِ موجودة مضمانيها في النصوص الشرعية قديما وقد قَالَ ببعض ألفاظها علماء قبل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ، ولكن لما كثرت البدع والأهواء وضعفت السُّنَّةِ وقل المتمسكون بها علي منهاج النَّبُوَّةِ ورفع السيف وأنشئ الحكم ليحمي المبتدعة انتصب شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ لهذه المسألة يجليها ويبينها ، فأكثر من ذكر تلك التقسيمات وتفرعاتها وتبيينها فظن الناس أنه مبتدئها ومنشئها ولعلمهم لم يتفطنوا إلي من سبقه من أهل العلم رَحِمَهُمُ اللهُ جميعا .

قَالَ الشَّيْخُ عَبْد الرَّحْمَنِ عَبْد الخَالِقِ حَفِظَهُ اللهُ : (ولعل أول من ذكر هذا التقسيم بالتفصيل والتعريف هو شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ، وذلك لانتصابه رَحِمَهُ اللهُ للرد على جميع المخالفين في التَّوْحِيدِ من أهل الكلام والفلسفة ، ومن أهل التصوف ووحدة الوجود ، ومن القدرية -نفاة

¹ التنديد بمن عدَّ التَّوْحِيدِ (6) ، والرد عليه في القول السديد (31) .

² التنديد بمن عدَّ التَّوْحِيدِ (10) ، والرد عليه في القول السديد (31) .

³ سورة الحجر 9 .

القدر- والجبرية، ومن الذين وقعوا في شرك الألوهية فإن كل فريق من هؤلاء أقر بنوع من التوحيد وكذب بالآخر، وكثير منهم تصور التوحيد الذي ينادي به على وجه مغلوط، فانتصب شيخ الإسلام رحمه الله لتفصيل هذا الأمر وإعطاءه حدوده وضوابطه ¹

وقال (انتصاب شيخ الإسلام للرد على هذه الفرق ومخالفتها للدين الحق هو الذي حتم تقسيم التوحيد على هذا النحو الذي قسمه ليبين للمخالفين أن ما أقروا به من التوحيد والإيمان لا يكفي للعبد ليكون موحدًا). ²

¹ رسالة (أقسام التوحيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله .

² رسالة (أقسام التوحيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله .

فصل في الرد علي من زعم أن هذا التقسيم الاصطلاحي غير محدث .

قال الشيخ أحمد الحازمي في معرض الانتصار لفكرة أن التقسيم قديم : (قال ابن البطة العكبري رحمه الله تعالى متوفى سنة سبع وتسعين وثلاث مائة يعني : من الأئمة المشهورين قبل ابن تيمية هذا المراد ، هو قبل ابن تيمية رحمه الله تعالى ، ولئلا ينسب إلى أن هذا التقسيم محدث)¹ ولا أدري ما هو الزمن الذي يعتبره الشيخ حدا فاصلا بين الاتباع وإحداث في دين الله شيئا؟! أيعد الأمر الذي قال به بن بطة المتوفى سنة ثلاثمائة وسبعة وتسعين ليس محدثا؟! فعلي ماذا كان توحيد تلك العقود البالغة تسعة وثلاثين عقدا من الزمان؟! هل كانوا علي سنة أم أن كانت السنة عنهم خافية حتي يسمي الشيخ ما قاله بن بطة ليس محدثا؟!

ونحن - وإن كنا- لا نخطيء بن بطة رحمه الله في قوله غير أننا نخطيء قول الشيخ بأن قوله ليس بمحدث ، ونقول بل قول بن بطة محدث لم يسبق إليه في استقراءه هذا فهو من أول من استقرأ وجمع تلك النصوص التي تتناول التوحيد وقسمها بتلك الطريقة ، وقوله موافق لمضمون القرآن والسنة.

ثم قال الشيخ : (ابن تيمية ليس ممن أتى بهذا التقسيم هو مسبوق ، مسبوق بابن بطة ، وابن بطة مسبوق بابن عباس وقتادة ، وهم مسبقون بظاهر القرآن والسنة ، تلطمه على وجهه ،) فقوله "بن تيمية مسبوق بابن بطة " صحيح لأن بينهما أكثر من مئتا سنة! ، وقوله " وابن بطة مسبوق بابن عباس وقتادة " ولا أدري هل كلما قال أحد من السلف كلاما قريبا من تقسيمنا هذا صار قائلا بتقسيمنا؟! والجواب لا ننكر قولهم بأنه قريب المضمون من تقسيمنا الحالي ، ولكنه ليس هو! لأننا زدنا في التقسيمات والحواشي وليس هذا بماخذ علي أهل العلم ، بل المأخذ هو إلزام الناس

¹ شرح كشف الشبهات للحازمي ، الشريط الثاني صفحة 6 بترقيم الشاملة .، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي .

بذلك التقسيم ، وتصنيف الناس علي أساس القول به من عدمه وإنكار من اختار تقسيما يري أنه أشمل أو أصح !

واما قوله عفا الله عنه " تلطمه علي وجهه " فردود عليه ، وهو ليس إلا زلة لسان من الشيخ ونحسن الظن بأنه لا يقصد مخالفة السنة بلطم وجه مسلم وإن كان علي سبيل المجاز .

ثم قال الشيخ أيضا: (فإنكار التقسيم مكابرة ومعاندة وليس مع من أنكر أي مستند شرعي ولا نقل سلفي) نقول ليست مكابرة ولا معاندة ! بل هي مما يسوغ الخلاف فيها، ما دام المسلم يعتقد مضمونها ، فإن خالف شيء من مضمونها نخطئه ونحكم عليه حينئذ ، لكن مجرد هذا التقسيم الاصطلاحي الاستقرائي يتم تصنيف الناس وذمهم ! هذا مسلك غير سوي .

فصل في ذكر بعض¹ من قال من أهل العلم باصطلاحية تقسيم التوحيد ، وبيان جواز قبوله وعدمه إذا كان راده متفقا علي مضمونه الشرعي²

ولعلنا نستعرض بعض أقوال أهل العلم في بيان أن تقسيم التوحيد أمر اجتهادي استقرائي جائز ما دام أنه دائر في دائرة الأدلة الشرعية ، وأنه أصبح اصطلاحا مشهورا بين أهل العلم ، ولا مشاحة في ذلك الاصطلاح ما لم يخالف كتابا ولا سنة ولا إجماع الأمة . وعليه فإن استقراء العلماء ونظرهم في أدلة الكتاب والسنة أخرج لنا تقسيما نظريا لمفهوم التوحيد ، هذا التقسيم النظري المحض قد اختلف فيه العلماء قبولاً ورداً ، فمنهم من قال به ومنهم من رد التقسيم وترك الأمر علي المشاع كما كان علي عهد النبوة . وعلي كل فالمسألة ظاهرية ولا مدخل منها لصميم الاعتقاد ، فمن آمن بالتوحيد كما أنزله الله تعالي وطبقه النبي صلي الله عليه وسلم كاملا من غير نقصان فهو مؤمن سني متبع ، ولا يضره رده لاجتهاد بعض العلماء في تقسيم التوحيد .

قال الشيخ الشنقيطي³ رحمه الله ما ملخصه : (وَقَدْ دَلَّ اسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَى أَنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، الثَّانِي: تَوْحِيدُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي عِبَادَتِهِ، وَضَابِطُ هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّوْحِيدِ هُوَ تَحْقِيقُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَهِيَ مُتَرَكِّبَةٌ مِنْ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، النَّوعُ الثَّلَاثُ: تَوْحِيدُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.)⁴ فعلم من صريح كلام الشيخ رحمه الله أن مجرد التقسيم أصله استقرائي ، والشيء الاستقرائي له زمان محدد ولم يكن في صدر الأمة الإسلامية إذ لو كان في صدر الأمة لنقل إلينا مع توفر إمكانية نقله ، فإن أوجبه البعض وألزم به المسلمين لزمه القول بأن

¹ أعلم أن القائلين بذلك كثر ، ولكننا سنذكر علي سبيل المثال بعضا منهم حتي لا يطول بنا المقام ، وفي شهرة المسألة غنية عن استقصائها ، فنتبه .
² أما من يخالف في أصل التوحيد ول في مسألة واحدة من مسأله فليس داخلنا ضمن كلامنا ، فكلامنا هذا علي من أقر واعترف وآمن بالتوحيد الكامل والايان الذي عناه نبي الرحمة صلي الله عليه وسلم وليس عنمن يخالف في مسائل التوحيد كلقبورية أو غيرهم .

³ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)

⁴ وذلك عند تفسير الآية التاسعة من سورة الإسراء (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (17/3) للشنقيطي .

من مات قبل استخراج ذلك التقسيم الاستقرائي مات علي نقصان التوحيد ، وهذا باطل ومحال لا يقول به عاقل فضلا عن عالم من علماء السنة ، أو أن من مات مات علي التوحيد الكامل ، فإن كان يقول بالأول فقد نقض إيمان الصحابة واتهمهم بنقصان التوحيد بل ونقض قول الله تعالى : - (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) ¹ وهذا كفر لأنه رمي للصحابة بالكفر ونقصان الدين ، وإن كان يقول بالثاني - أي أن الصحابة ماتوا علي كمال التوحيد وهو الواقع فعلا لا يراجع فيه عاقل - بطل إيجابه الأخذ بذلك التقسيم وتبديع من يرده - إلا إن كان راده راد لمضمونه فهذا أمر آخر غير ما ناقشه - إذ الدين كامل وقد مات عليه الصحابة ولم يقولوا فيه بهذا التقسيم ، وخلاصته أن هذا التقسيم اجتهادي لا يجوز إلزام المسلمين به ، بل الإلزام يكون بمضمونه ، وكذلك لا يجوز تبديع وتفسيق من رأي تقسيما غيره يؤدي نفس المقصود ويحتوي مضمون التوحيد كله لا ينتقص منه شيء .

قَالَ الشَّيْخُ بَكْرُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو زَيْدٍ ² رَحِمَهُ اللَّهُ : (هَذَا التَّقْسِيمُ الْإِسْتِقْرَائِيُّ لَدِي مُتَقَدِّمِي عُلَمَاءِ السَّلَفِ ، أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ مِنْدَةَ وَابْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ وَغَيْرُهُمَا ، وَقَرَّرَهُ شَيْخَا الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَابْنُ الْقَيْمِ ، وَقَرَّرَهُ الزَّبِيدِيُّ فِي تَارِحِ الْعُرُوسِ وَشَيْخَنَا الشَّنْقِيطِيُّ فِي أَضْوَاءِ الْبَيَانِ فِي آخِرِينَ رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ ، وَهُوَ اسْتِقْرَاءٌ تَامٌ لِنُصُوصِ الشَّرْعِ ، وَهُوَ مُطْرَدٌ لَدَى أَهْلِ كُلِّ فَنٍ ، كَمَا فِي اسْتِقْرَاءِ النَّحَاةِ كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَى اسْمٍ وَفِعْلٍ وَحَرْفٍ ، وَالْعَرَبُ لَمْ تَفْهَمْ بِهِذَا ، وَلَمْ يَعْتَبْ عَلَى النَّحَاةِ فِي ذَلِكَ عَاتِبٌ ، وَهَكَذَا مِنْ أَنْوَاعِ الْاسْتِقْرَاءِ) فَوْضِحَ أَنَّ التَّقْسِيمَ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا ثُمَّ وَجَدَ وَهُوَ اصْطِلَاحٌ حَادِثٌ كَاصْطِلَاحَاتِ أَهْلِ كُلِّ فَنٍ ، وَعَلَيْهِ فَمَا لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَيَّ خَيْرَ الْقُرُونِ فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيَّ مِنْ بَعْدِهِمْ - حَتَّى - وَلَوْ كَانَ اسْتِقْرَاءً تَامًا .

1 شورة المائدة (3) .

2 بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو زَيْدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ غَيْبٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقُضَاعِيِّ الْمَنْوُفِيِّ 1429 هـ

قَالَ الشَّيْخُ الدُّكْتُورُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَفْغَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ¹ : (وأما تقسيم التَّوْحِيدِ إِلَى مَا ذَكَرَهُ هُوَ لِأَيِّ الْأُمَّةِ: شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ وَتَلْمِيذُهُ ابْنُ الْقَيْمِ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى تَوْحِيدِ الْأَلُوْهِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ - فَهَذَا تَقْسِيمٌ اصْطِلَاحِيٌّ اسْتَقْبَاهُ الْعُلَمَاءُ مِمَّا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ لَا تَحْصَى)²

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْمَحْسَنِ الْعِبَادِ حَفِظَهُ اللَّهُ : (وَهَذَا التَّقْسِيمُ لِأَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ عُرِفَ بِالِاسْتِقْرَاءِ مِنْ نِصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ بِأَوَّلِ سُورَةِ فِي الْقُرْآنِ وَآخِرِ سُورَةٍ؛ فَإِنَّ كِلَيْهِمَا مَشْتَمَلَةٌ عَلَى أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ.)³

قَالَ الشَّيْخُ نَاصِرُ الْعَقْلِ حَفِظَهُ اللَّهُ : " تَقْسِيمُ التَّوْحِيدِ، أَوْ غَيْرِهِ مِنَ التَّقْسِيمَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي أَحْتَاكُمُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَدَى التَّارِيخِ، هَذِهِ أُمُورٌ رَاجِعَةٌ إِلَى تَطَوُّرِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ عِبْرَ التَّارِيخِ، تَطَوُّرِ وَسَائِلِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، يَعْنِي: تَقْسِيمَاتِ الْعِلْمِ يَعْنِي: أَنْمَاطِهِ، وَمَوْضُوعَاتِهِ، فَمَثَلًا فِي عَهْدِ التَّابِعِينَ، جَاءَ تَسْمِيَةُ النِّصُوصِ إِلَى حَدِيثٍ، وَأَثَارٍ، وَقُرْآنٍ، وَسُنَّةٍ، وَعِلْمِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْمَاضِيَةِ، قَسَمَ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ إِلَى فِقْهِ، وَكَذَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى فِقْهِ، وَأَصُولِ فِقْهِ، هَذِهِ التَّقْسِيمَاتُ الْعِلْمِيَّةُ، تَقْسِيمَاتٌ فَنِيَّةٌ، عِلْمِيَّةٌ، مَوْضُوعِيَّةٌ، تَرْجِعُ إِلَى تَقْرِيْبِ الْعِلْمِ لِلنَّاسِ، مِنْ ذَلِكَ تَقْسِيمُ التَّوْحِيدِ، تَقْسِيمُ التَّوْحِيدِ لَيْسَ تَوْقِيفًا، وَلَا ضَرْورِيًّا، وَلَا أَيْضًا مَشَاحَةً فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يُجُوزُ تَقْسِيمُ التَّوْحِيدِ إِلَى ثَلَاثَةٍ، أَوْ إِلَى خَمْسَةٍ، مِمَّا نَقُولُ: تَوْحِيدَ الذَّاتِ، تَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ، تَوْحِيدَ الصِّفَاتِ، تَوْحِيدَ الْأَفْعَالِ، تَوْحِيدَ الْأَخْلَاقِ، مَا فِيهِ مَانِعٌ، هَذَا شَيْءٌ، الشَّيْءُ الْآخَرُ: أَنَّهُ هُنَاكَ مِنْ لَمَحٍ إِلَى تَقْسِيمِ التَّوْحِيدِ قَبْلَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ، تَلْمِيحَاتٌ وَاضِحَةٌ، لَكِنَّمَا مَا جَعَلُوا لَهُ التَّقْسِيمَ

1 أبو عبد الله شمس الدين السلطاني بن مُحَمَّد بن أَشْرَف بن قَيْصَرِ الْأَفْغَانِي السَّلْفِي الْمَدِينِي (المتوفى: 1420هـ)

2 محمود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (1 / 118) بترقيم الشاملة .

3 الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي 181 .

الموضوعي، الفني، كما فعل هو؛ لأنه هو احتاج إلى تقسيم التوحيد نظراً لكثرة الخلل في هذا الجانب عند المخالفين، فوضع ما كان عليه السلف. فإذا القضية لا تحتاج إلى مثل هذه الحساسية من بعض الذين أنكروا على شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا أيضاً إلى التعصب عليها عند الذين جعلوها وكأنها توقيفية، فالأمر لا هذا، ولا ذاك، التقسيم: تقسيم علمي بالصبر، والاستقراء، علمي واضح دقيق، لا مشاحة عليه، ولا مشاحة في الاصطلاح .

وقال الشيخ ناصر العقل حفظه الله أيضاً : (فمسألة التقسيم هذه أمور اصطلاحية ترجع إلى استقراء المعاني واستقراء الألفاظ، والتوحيد أصلاً هو توحيد الله عز وجل لا ينقسم، لكن من الناحية العلمية النظرية لا شك أننا نجد أقساماً عديدة، فالخبر عن أسماء الله عز وجل هو توحيد الأسماء، والخبر عن صفات الله هو توحيد الصفات، والخبر عن أفعال الله هو توحيد الأفعال، وما يتعلق بالرؤية هو توحيد الرؤية، وما يتعلق بالعبادة لله عز وجل يسمى توحيد العبادة أو الألوهية، ويمكن أن تقسم التوحيد إلى أكثر من ذلك أيضاً، وقد يصل إلى عشرة أقسام أو أكثر؛ لأنك إذا أخذت مفردات العبادة فستجد كلها توحيداً، فتوحيد التوكل معناه: وحدت التوكل على الله عز وجل، وتوحيد الإنابة واليقين هو توحيد توجه الإنسان إلى الله عز وجل، وتوحيد الرؤية يمكن أن نقول: هو توحيد الخلق، توحيد التدبير لله عز وجل، فهو خالق الخلق، توحيد الرزق؛ لأنه لا رازق إلا الله وهكذا ليس هناك مانع في التقسيم، فتقسيم التوحيد تقسيم اصطلاحى علمي فني، وهو نتيجة لاستقراء نصوص التوحيد، فتجد أن هناك أشياء تتعلق بإثبات الرؤية، ويمكن أن هذا يسمى بتوحيد الرؤية، وأشياء تتعلق بالصفات الإلهية يمكن أن تسمى بتوحيد الإلهية، ونصوص تتعلق بإثبات صفات الله عز وجل يمكن أن نسميها بتوحيد الصفات، وأسماء الله يمكن أن نسميها بتوحيد الأسماء، وأفعال الله عز وجل يمكن أن نسميها بتوحيد الأفعال، لكن الأقسام الرئيسية للتوحيد ثلاثة: الرؤية، وهذا واضح جداً، الإلهية، وهذا واضح جداً، الأسماء

وَالصِّفَاتِ وَهَذَا وَاضِحٌ جَدًّا، يُمْكِنُ أَيْضًا اخْتِصَارُ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ إِلَى اثْنَيْنِ: الرَّبُّوبِيَّةِ، وَالإِلَهِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الرَّبُّوبِيَّةِ مِنْ وَجْهِهِ، وَفِي تَوْحِيدِ الإِلَهِيَّةِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وَأَغْلَبَ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتِ تَدخُلُ فِي تَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ. ¹

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْخَضِيرِ ² حَفِظَهُ اللهُ فِي مَسْأَلَةِ تَقْسِيمِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ : (أَمَّا تَقْسِيمُ الْأَخْبَارِ إِلَى مُتَوَاتِرٍ وَآحَادٍ فَهُوَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْإِصْطِلَاحَاتِ، الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ وَالْحَسَنِ، بِالنِّسْبَةِ لِعُلُومِ الْحَدِيثِ، وَالْعَامِّ وَالْخَاصِّ وَالْمَطْلُوقِ وَالْمَقْيَدِ وَالْمَنْطُوقِ وَالْمَفْهُومِ بِالنِّسْبَةِ لِأَصُولِ الْفِقْهِ، وَكَذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِقَوَاعِدِ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ الْقُرْآنِ، الْمِصْطَلِحَاتِ بِهَذِهِ التَّسْمِيَّاتِ كُلِّهَا حَادِثَةٌ، لَا تَوْجَدُ فِي عَصْرِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَمَّا كَوْنُهُ مَنْسُوبًا إِلَى الْمُعْتَزَلَةِ فَشَيْخُ الْإِسْلَامِ يَقُولُ بِهِ، وَيُقْسَمُ الْأَخْبَارُ إِلَى مُتَوَاتِرٍ وَآحَادٍ، وَيُقْسَمُ الْمُتَوَاتِرُ إِلَى لَفْظِيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ، وَيُمَثَّلُ لِلْمُتَوَاتِرِ اللَّفْظِيِّ بِحَدِيثٍ: (مَنْ كَذَبَ ..) كَمَا يُمَثَّلُ بِهِ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَيُمَثَّلُ لِلتَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ فِي كُلِّ كِتَابٍ مِنْ كِتَابِهِ بِمَا يَنْسَبُ الْمَقَامَ، مِثْلَ لِلتَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ فِي مِنْهَاجِ السُّنَّةِ بِفَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ، وَفِي كُلِّ كِتَابٍ مِنْ كِتَابِهِ يُمَثَّلُ بِمَا يَلِيْقُ بِالْمَقَامِ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا إِصْطِلَاحٌ لَا يَوْجَدُ عِنْدَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَكِنَّهُ مَجْرَدُ إِصْطِلَاحٍ يُوضِحُ وَيُقْرِبُ لِلطَّالِبِ الْمَشْهُورِ وَالْعَزِيزِ وَ.. ، كُلِّهَا لَيْسَتْ مَوْجُودَةً عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَّةِ.

المقصود أن هذه الاصطلاحات وإن وجدت أسماؤها فحقائقها موجودة؛ إذ لا يختلف اثنان أن الأخبار متفاوتة في دلالاتها، والرواة متفاوتون في الثقة والضبط والإتقان والحفظ والعدالة، وتبعاً لتفاوتهم في ذلك تتفاوت أخبارهم، فلا نقول: إن خبر زيد يساوي مائة بالمائة لخبر عمرو؛ الأخبار

¹ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية للشيخ ناصر العقل (3 / 19) .

² عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير.

متفاوتة، وهذا التفاوت يتطلب أسماء لهذه الأخبار المتفاوتة، واصطلاح أهل العلم على هذه التسمية ولا مشاحة في الاصطلاح.

اللوازم التي يلتزمها المبتدعة لهذا التقسيم لا نلتزم بها، ولذا الشيخ أحمد شاكر لما قسم هذا التقسيم وأقره قال بعد ذلك: لا يغرنك ما يقوله المبتدعة من لوازم لهذا التقسيم، هم يقصدون بخبر الواحد وأنه لا يفيد إلا الظن أنه لا يحتج به في العقائد، ونحن نقول: لا فرق بين العقائد والأحكام، ما تثبت به الأحكام تثبت به العقائد والكل شرع، وهذا مبسوط في شرح النخبة كما ذكرنا آنفاً.¹

ومن أقواله حَفِظَهُ اللهُ في الإصطلاحات الحادثة التي لا يعقد عليها ولاء وبراء: (هذه التعاريف حادثة، نعم قد يحتاج إليها مع تأخر الزمان، ومع طول العهد؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره فلا بد أن يتصور، لكن ما يتصور بهذه الحدود المعقدة، ما يمكن أن يتصور بهذه الحدود المعقدة، ولذا سلف هذا الأمة ما يوجد عندهم تعاريف، ما تجد تعريفاً لا لغويا ولا اصطلاحياً، يعني حينما يؤلفون في العلوم ما تجد واحدا منهم يقول: تعريف هذا لغة واصطلاحاً على ما جرى عليه المتأخرون، لكن الحاجة دعت إلى ذلك بسبب اختلاط العرب بغيرهم، وصعب عليهم فهم الحقائق اللغوية، والشريعة، والتمييز بينها فاعتنى العلماء ثنوا بهذا، لكن مع ذلك يجتنب التعقيد بقدر الإمكان، نعم يجب أن تكون الحدود جامعة مانعة، سهلة واضحة لا تعقيد فيها.)²

وقال حَفِظَهُ اللهُ: (فأهل العلم قسموا المتعلمين إلى طبقات: المبتدئين، المتوسطين، المنتهين المحصلين، ولكل طبقة كتب في كل فن، والشوكاني له كتاب في آداب الطلب وطبقات المتعلمين أشار إلى شيء من ذلك. وهذه المتون وهذا التدرج أمر عرفي اصطلاحياً يختلف في كل بلد عن

¹ شرح الورقات في أصول الفقه (4 / 4) دروس مفرغة .

² شرح صحيح البخاري ، دروس صوتية مفرغة للشيخ عبد الكريم الحضير (6 / 15) بتقييم الشاملة ، بتصرف يسير .

البلد الآخر، فكل أهل بلد لهم عناية بكتب خاصة، كما أن لأهل كل مذهب عناية بكتب خاصة دون غيرها.¹

وقال الشيخ عبدالرحمن عبدالحق حفظه الله: (ومما صنعه بعض علماء السنة المتأخرون مما يدخل في باب التعليم والتقريب، وتقسيم التوحيد إلى قسمين: العلم والعمل، فالتوحيد العلمي معناه تعلم أسماء الله وصفاته ومعاني الإيمان به، وتصديق ذلك بالقلب، وأما توحيد العمل فهو أن يعمل المسلم بمقتضى هذا التصديق فلا يعبد إلا الله ولا يرجو إلا هو، ولا يحب حب عبادة إلا له، ولا يسجد إلا له، لا يحاكم إلا إليه.. الخ

وهذا التقسيم ليس خاصاً بالتوحيد لأن كل أعمال الدين لا بد فيها من العلم والعمل فالصوم لا يكون إلا باعتقاد فرضيته، وتصور تشريعه تصوراً صحيحاً ثم القيام به على النحو الذي أمر العبد به وأن يكون ذلك لله وحده لأنه عبادة خاصة به سبحانه وتعالى وهكذا سائر العبادات.

وتقسيم التوحيد إلى قسمين إنما هو نوع من التعليم حتى يعلم العبد أنه لا يكفي في التوحيد العلم دون العمل ولا العمل دون العلم.

وجاء من أهل العلم من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام باعتبار موضوعاته الكبرى فجعل الربوبية قسماً، وعنى بالربوبية بعض معاني الرب من الخلق والتدبير والتصرف والملك، والقهر والغلبة، وجعل الألوهية قسماً وعنى بها المعبود، وجعل جميع أسمائه وصفاته قسماً وسماه توحيد الأسماء والصفات، وسمى كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة توحيداً، وأنه لا يكون موحداً على الحقيقة إلا من أقر بها جميعها.. وأقر بأن الله وحده دون ما سواه هو خالقه وخالق الكون كله، وأنه مالك

1 شرح الورقات في أصول الفقه دروس صوتية مفرغة للشيخ عبد الكريم الحضير (1 / 6) بترقيم الشاملة . ومتن الورقات لأبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ)

الملك، والمتصرف فيه وحده، وأقر بأن الله وحده هو إله الناس وإله العالمين والخلق أجمعين، وأنه لا معبود بحق غيره، وأن كل إله غيره باطل، وأن جميع أصناف العبادة لا تصرف إلا له، ومن صرف شيئاً لغيره فهو مشرك، وكذلك جعل توحيد الأسماء والصفات قسماً وهو الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، وأن صفاته على النحو الذي يليق به.¹ **وقال أيضاً حفظه الله:** (وهذا التقسيم الثلاثي لم ينص عليه أحد في القرون الثلاثة الأولى فإن التوحيد ومسائل الإيمان بالله كانت معلومة من كتاب الله وسنة رسوله بل كان من ضرورات الدين العلم بأن العبد لا يكون موحداً حقاً إلا إذا آمن بالله رباً وإلهاً وخالقاً ورازقاً وملكاً، وآمن بكل ما أخبر به عن نفسه أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما دعت الحاجة إلى هذا لتيسير فهم التوحيد، والتعريف بجميع جوانبه فإن تقسيم الأمر المجلد إلى أقسام يسهل فهمه وحفظه).² **وقال أيضاً حفظه الله:** (وتقسيم معاني توحيدته إلى اثنين علمي خبري، وقصدي طلبي أو ثلاثة ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات، إنما عمل تعليمي إرشادي اصطلاحياً لم يأت هذا التقسيم بهذه القسمة الثنائية أو الثلاثية في الكتاب والسنة ولا في أقوال الصحابة والتابعين، وإنما هذا التقسيم مستفاد من معاني أسمائه وصفاته وتوحيدته سبحانه وتعالى، ولا شك أن توحيدته في الأمر هو من معاني توحيدته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته بل غاية الدين كله امتثال أمره، واجتناب نهيه، والتسليم له وحده سبحانه وتعالى).³

قال الدكتور صلاح الصاوي حفظه الله: (فإن هذا التقسيم اصطلاحياً، الهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلاح أهل العلم على أسماء اصطلاحية للعلوم ... وعلى هذا فلا

¹ رسالة (أقسام التوحيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله.

² رسالة (أقسام التوحيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله.

³ رسالة (أقسام التوحيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله.

مشاحة في الاصطلاح ... - ثم قال - بل إنَّ هَذَا التقسيم ابتداءً على هَذَا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سنَّة متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني (¹).

قال الشيخ مُحَمَّد صالح المنجد وَفَّقَهُ اللهُ : (لا إشكال في هَذَا التقسيم ما دام أنه لا يدل على شيء باطل ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، وهَذَا التفصيل إنما هو لتسهيل الفهم فكلما بُعد العهد : قلَّ الفهم واحتاج العُلَمَاء إلى التبسيط والتسهيل والتفصيل ...- ثم قال - وهذه التقسيمات اصطلاحية لا مانع مِنْهَا بشرط أن لا يحصل من ذلك مفسدة ، كما لو أخرج من معاني التَّوْحِيد بعض ما يدخل فيه ، أو يدخل فيها ما ليس منه . وقد يأتي زمان نحتاج فيه إلى تفصيل أكثر فيفصل العُلَمَاء ويقسموا ليسهلوا الفهم .) ² .

قال الشيخ أحمد بن عمر الحازمي وَفَّقَهُ اللهُ - في ما يشابه مسألتنا هذه - حال كلامه عن صفات الله تَعَالَى الذاتية والفعلية : (وإنما التقسيم هَذَا تقسيم اصطلاحِي فحسب) ³ وقوله هنا صحيح إذ إن التقسيم وإن كان استقرائياً تاماً غير أنه لا يجوز الإلزام بما لم يلزم به النبي صلي الله عليه وسلم ومن ألزم المسلمين بما لم يلزم به النبي صلي الله عليه وسلم فقد وضع نفسه موضع المشرع للناس وهو من أقبح الذنوب فنسأل الله العافية من ذلك والهداية للجميع .

وقال أيضا : (إذا لابد من معرفة أن هذا التقسيم حقيقة شرعية بمعنى أن التوحيد بمفهومه العام قد جاء في الكتاب والسنة مقسماً إلى هذه الأقسام الثلاثة ، والمراد بكونه جاء مقسماً باعتبار المضمون لا باعتبار الأسماء ، لئلا يلبس عليكم مُلبس ، ...- إلي أن قال -... ، أما الأسماء فهذا

1 الثواب والمنتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر د. صلاح الصاوي ، نقل عن (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التَّوْحِيد).

² الإسلام سؤال وجواب (1 / 159) بترقيم الشاملة .

³ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي (5 / 22) .

أمراها أخف كثيراً مما ذكر .¹ . فقوله " حقيقة شرعية " أي مضمونه ثابت شرعاً بنفس هذه الأقسام التي سماها العلماء لا يخالف فيه أحد من المسلمين ، وأما قوله " جاء مقسماً باعتبار المضمون لا باعتبار الأسماء " أي أن مضمونه ورد في الكتاب والسنة ولكنه لم يقسم بنفس تلك المسميات ولذلك فهي اصطلاحات يسوغ الخلاف فيها بشرط أن لا يخل ذلك الخلاف في شيء من مضمونها ولا يكون له لازم غير مقصود .

ثم قال الشيخ : (دليل هذا التقسيم **التتبع والاستقراء** لنصوص الوحيين ، **والتتبع والاستقراء** قد يكون ناقصاً وقد يكون تاماً ، **والتام حجة قطعية** ، وهل التتبع هنا تام أم ناقص ؟ نقول : تتبع تام واضح بين نظرنا في القرآن من أوله إلى آخره ، - ثم قال - التتبع والاستقراء لنصوص الوحيين ، فالتوحيد الذي نزلت به الكتب وأرسلت به الرسل ينحصر في هذه الأنواع الثلاثة عند التفصيل ، ولا يكمل توحيد العبد إلا باستكمالها ، لا بد ما يقول : أنا آتي بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الإلهية ما أريده ، أو بالعكس ، أو أؤمن بتوحيد الأسماء والصفات ويترك .. ، لا ، كلها متلازمة وجوداً ونفيًا ، إذا انتفى واحد منها انتفى الآخرون ، وإن وجد واحد منها على وجه الكمال لزم أن يكون الثاني والثالث موجوداً ، وإلا كان ثم خلل في التوحيد ، فهي متلازمة لا يصح توحيد عبدٍ إلا باستكمالها كلها .²

فيفهم من كلام الشيخ أن هذا التقسيم اجتهادي من العلماء ، مع أن مضمونه وحقيقته ثابتة في القرآن والسنة غير أن الله تعالى لم يلزمنا به ولا رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقوله " والاستقراء التام حجة قطعية " صحيح من حيث مضمون هذا الاستقراء لا من حيث ما هو زائد عن مضمونه مما لم يكن معهوداً قبل استحداثه ، أي مضمون هذا الاستقراء حجة علي

¹ شرح كشف الشبهات للحازمي ، الشريط الثاني صفحة 7 بترقيم الشاملة .، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي.

² شرح كشف الشبهات للحازمي ، الشريط الثاني صفحة 7 بترقيم الشاملة .، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي.

العباد أما ما يتفرع عنه من لوازم فهي غير لازمة إن كان الله تعالى لم يلزمنا بها ، فلا يقال يجب علي كل مسلم وجوبا أن يعتقد أن التوحيد ثلاثة أقسام ! لأنه بذلك ألزم الناس بما لم يلزمهم به ربهم تبارك وتعالى ، ولاحظ أخي أننا نتكلم عن التقسيم لا الأقسام ونتكلم عن الاصطلاح لا عن المضمون - فافهم ذلك ترشد - ، فالتقسيم ما هو إلا أسماء مستقراة اجتهد فيها العلماء أما الأقسام فهي ذات التوحيد الذي لا ينقسم ولا يتجزأ .

وقال الشيخ أيضا : (إنما المراد المضامين ، مضمون الكلام هو مضمون من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام .)

قال الشيخ يوسف مُحَمَّد الغفيص وَفَّقَهُ اللهُ : (تنقسم الصفات المذكورة في القرآن إلى قسمين - وهذا تقسيم اصطلاحِي-) ¹ وَهُوَ من باب مسألتنا فجاز الاستشهاد به .

وقال الشيخ الدكتور عبد الله ابن حسين الموجان وَفَّقَهُ اللهُ : (فما كان جواباً لك عن اصطلاحك كان جواباً لِمُنَازِعِكَ، فالاصطلاح على تقسيم التَّوْحِيدِ إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات هو للبيان والفهم لا للحكم على أهل القبلة بالشرك) ² .

قال الشيخ الدكتور أبوخالد السلمي وَفَّقَهُ اللهُ في معرض بيان أن توحيد المتابعة ليس قسماً مستقلاً بل هو يدخل ضمن قسم آخر من الأقسام المشهورة : (وتوحيد المتابعة لرسوله بمعنى ألا يكون له قدوة من البشر يتبعه في كل ما أمر به وينتهي عن كل ما نهى عنه ، ولا يرد من أقواله شيئاً إلا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا معنى صحيح ، لكنه ليس تقسيماً مصطلحاً عليه ، وربما كان هذا هو سبب اللبس .) وقال أيضا : (فلا يضر حينئذ أن تكون المصطلحات و تسميات الأقسام

¹ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية للشيخ يوسف مُحَمَّد الغفيص (3 / 5) .

² الرد الشامل على عمر كامل (16 / 17) بتزقيم الشاملة للشيخ عبدالله الموجان حَفَظَهُ اللهُ . (نقد علمي موثق لكتاب الدكتور عمر عبد الله كامل الموسوم بـ "كفى تفريقاً للأمة باسم السلف" وهو الكتاب الذي زعم أنه مناقشة علمية لكتاب الدكتور/سفر الحوالي: "نقد مذهب الأشاعرة في العقيدة").

حادثه إذا كان المعنى و المضمون صحيحا مستمدا من الكتاب و السنة شأن التوحيد في ذلك شأن جميع العلوم ، ثم إن هذا التقسيم الاصطلاحي للتوحيد ورد في كلام ابن جرير الطبري و في كلام ابن بطة العكبري و غيرها من السابقين على شيخ الإسلام ابن تيمية (

فبين حفظه الله أن التقسيم ذلك اصطلاحى عند بعض العلماء وغير مشتهر عن كثير من العلماء

وقال الشيخ أبو خالد السلمي¹ حفظه الله : (لكن خطأ هؤلاء الذين زادوا هذا القسم لا يقتضي تبديعهم والإفراط في النكير عليهم لأنهم قصدوا معاني حقة ، وخطوهم خطأ اجتهادي في مصطلحات وتقسيمات لا في مضمون هذه المصطلحات والتقسيمات والله أعلم .)

وقال الشيخ عبدالرحمن الفقيه² وفقه الله : (وبالنسبة لتقسيم التوحيد إلى أربعة أقسام ، فقد قال به بعض مشايخنا ، ولكنه خلاف الصواب ، والصحيح أن التوحيد ينقسم إلى قسمين أو ثلاثة) فبين الشيخ أن مبدأ التقسيم اصطلاحى اجتهادي ، يسوغ الاجتهاد فيه بضابط أن لا يخرج عن المضمون الشرعي .

وقال الشيخ رضا أحمد صمدي³ وفقه الله : (والفرق بين توحيد الألوهية والرؤية فرق اصطلاحى محض ، مبني على ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية بالأخص في كتبه حول معنى الألوهية ومعنى الرؤية .. فلو اعتبرنا هذا المعنى فاعتبار الفروق وارد ، أما لو تسامحنا وأطلقنا هذا على ذلك وذلك على هذا فالفرق ستلاشى ..) **وقال أيضا وفقه الله :** (وعند الكلام عن

¹ هو الدكتور الشيخ وليد بن إدريس بن عبد العزيز المنيسي ، أبو خالد السلمي ، السكندري نزيل أمريكا رئيس الجامعة الإسلامية المفتوحة بمنيسوتا وعضو لجنة الإفتاء بمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا .

² هو من أعضاء ومؤسسي ملتقى أهل الحديث .

³ أبو محمد رضا بن أحمد صمدي " المعتر بالله " تايلاندي- بانكوك ، نزل مصر وتعلم في الأزهر وسكنها مدة إلى أن أخرج منها .

⁴ في رد علي موضوع (الفروق بين توحيد الرؤية والألوهية) للشيخ عبدالله زقيل ، منشورا علي ملتقى أهل الحديث .

الاصطلاح فدلالات الألفاظ والمجمل تتسع وتنعدم المشاحة بين أهل العلم.. والمنتظر ألا تكون الفروق الاصطلاحية مقدسة بحيث تكون في حين من الأحيان شعارا من شعارات أهل السنة نوالي ونعادي عليها ، فمن نقص فيها أو زاد صار من أهل البدع ؟؟؟ هَذَا ليس بسديد..)¹ وَقَالَ **أَيْضاً وَفَقَهُ اللَّهُ** : (إن العجب العجاب أننا نريد أن نتمسك باصطلاحات لأهل العلم ليست من الوحي المنزل ونريد أن نطبق هذه الاصطلاحات في كل زمان ومكان كأنها وحي منزل ، فالبعض يريد أن يدعو الوثنيين في زماننا أو الملاحدة في عصرنا بهذه الطريقة في تقسيم التوحيد ، وهذا ليس شرطا .. والبعض يظن أنه لا يجوزُ تعلم التوحيد إلا بهذه الطريقة وهذا من تقليد الآباء والعلماء بدون معرفة الدليل ... أنا لا أعارض التقسيم أو اعتبره خطأ ، بل هو نافع وصحيح في نفسه ، ولكن ليس معنى ذلك أن غيره ليس بنافع أو أن غيره ليس بصحيح أو أن الزيادة عليه أو النقص منه باطل ...)²

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ حَمِيدٍ - حَفِظَهُ اللَّهُ - : " لا يوجد عند المتقدمين ، فيما اطلعت عليه ، تعريف اصطلاحِيٌّ".³ . فبين أن هناك أمورا متعارف عليها بين طلبة العلم وفي الأوساط العلمية ولكنها لم تكن علي عهد السلف الأولين .

قَالَ الأَخُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ⁴ وَفَقَهُ اللَّهُ : (فمن المعلوم أن مثل هذه القضايا هي قضايا اصطلاحية من حيث التقسيم ، والمعتبر فيها موقفهم من المضمون ، لا التقسيم !!) وكلامه صحيح غير مخالف للأدلة .

¹ في رد علي موضوع (الفروق بين توحيد الرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ) للشيخ عبدالله زقيل وفقه الله ، منشورا علي ملتقي أهل الحديث .

² من الموضوع السابق ذكره في الغزو قبل هذا .

³ (معالم في مَنَهِجِ الدَّعْوَةِ (9) الفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى (2 / 93) لعلي بن نايف الشحود وفقه الله .

⁴ أحد إخواننا من أعضاء ملتقي أهل الحديث .

قال الأخ أبو المنهال الأبيضي السكندري¹ وفقه الله: (الاصطلاحات لامشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة . وهذا التقسيم مما احتاج إليه الناس؛ لهذا قام شيخ الإسلام ابن تيمية بإيضاحه . وهو تقسيم نظري علمي، ولهذا يقسمه بعض إلى أهل العلم إلى : توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطلب، والبعض الآخر إلى : توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات . لكن ينتبه إلى أن كثيرا من المبتدعة أنكروا ذلك؛ لترويج بدعهم وشركهم) وكلامه صحيح موافق لكلام كبار العلماء غير مخالف لعموم الأدلة .

¹ أحد إخواننا من أعضاء ملتقى أهل الحديث .

فصل في الرد علي من اشتد نكيره علي قول القائل باصطلاحية التقسيم ورماه بالبدعة .

قَالَ الدُّكْتُور عبد الرزاق ابن عبد المحسن البدر : (وقد نَبَّه فيه رَحْمَهُ اللهُ إِلَى أَنْ أَقْسَامَ التَّوْحِيدِ الثلاثةَ مأخوذة بالاستقراء لنصوص القرآن الكريم ، وبهَذَا يعلم أن هَذَا التقسيم من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله تعالى ، وليس أمراً اصطلاحياً أنشأه بعض العلماء)

وقوله أن أقسام التَّوْحِيدِ مأخوذة بالاستقراء من القرآن والسُّنَّةِ فصحيح لا خلاف فيه . ولكن يؤخذ عليه قوله : (هَذَا التقسيم من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله تعالى ، وليس أمراً اصطلاحياً أنشأه بعض العلماء) أي هَذَا التقسيم مستمد من الحقائق الشرعية المستمدة من الكِتَابِ والسُّنَّةِ ، وليس معناه أن التقسيم ذاته شرعي واجب الاتباع ، فمع أن هَذَا التقسيم منشأه استقراء أدلة الكِتَابِ والسُّنَّةِ - أي أدلة الشرع - فمضمونه حقائق شرعية لا يخالف فيها مسلم ومن زعم مخالفة في مضمونها الشرعي فارق السُّنَّةِ إن سلم من مفارقة الإسلام ، ومع كون التقسيم اجتهادي استقرائي بمضمون شرعي فهو اصطلاح أنشأه من اجتهاد في تقسيمه وترتيبه ، وعليه فليس هَذَا التقسيم سنة شرعية واجبة الاتباع - في ذات التقسيم وليس في مضمونه - فتنبه .

وَزَعَمُ الدُّكْتُور عبدالرازق - بأن التقسيم شرعي أي ثابت بهذه اللفاظ في الشرع - يفتقر إلى دليل يسنده أو قول يعضده ، فليس كل من يزعم نسبة شيء إلى الشرع يصدق ، وليس كل من يدعي شرعية مسألة تقبل منه ، وعليه فقول الدُّكْتُور متناقض إذ قَالَ (هَذَا التقسيم من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله تعالى) ثم قَالَ (وليس أمراً اصطلاحياً أنشأه بعض العلماء) فَظَنَّ أن بين كونه تقسيم مضمونه شرعي يخالف كونه اصطلاح مبتدع - من حيث اللغة لا الشرع - لم يكن علي عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَلَطَ عَفَا اللهُ عَنْهُ بين الاثنين ، فأراد دفع ما توهمه فوقع في شَرَكٍ .

وليس معني اعتراضنا علي زعمه - وغيره ممن زعم زعمه - أننا ننكر التقسيم أو شيئاً من مضمونه !
 كلا . بل نحن ننكر عليه إنكاره علي من قال بأن التقسيم اصطلاحياً غير مسبوق في القرون
 الثلاثة المفضلة الأولى ، ولم يكن لنا دليل سوي هذه فكفي بها منقبة لاتباع ما تركنا النبي صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه ، وهَدَى اللهُ من زعم أنه هُدِيَ إلي كلمة لم يهتدي إليها من هم أعلم منه بالله وأقوم
 سبيلاً ، بل وأشد من ذلك أن يقع في الناس مُخَطِّئاً أقوليلهم الموافقة لمنهاج التَّبَوَّة بلا بينة ولا
 برهان .

ولم يكتب الدكتور علي ما سبق بل وقع في غيره من أهل العلم مبطل لهم وظالم ، فقال : (وبهذا
 يعلم فساد ما قرره مؤلف كتاب "الثواب والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر" د.
 صلاح الصاوي حيث يقول (ص : 154) : " فَإِنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ اصْطِلَاحِيًّا ، الهدف منه تقريب
 القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلح أهل العلم على أسماء اصطلاحية للعلوم ... وعلى هذا فلا
 مشاحة في الاصطلاح، وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الربوبية، وبين ما
 يدخل في توحيد الألوهية، وبين ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات، بل إِنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ ابتداءً
 على هذا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سنة متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني،
 وليس بالألفاظ والمباني، هذا وإن كان تتابع أهل العلم على استخدام هذا التقسيم واستقراره عبر
 قرون طويلة يجعله جزءاً من التراث السلفي، فينبغي قبوله على أن لا يكون في ذاته معقد ولاء
 وبراء".

فجعل أصلحه الله هذا التقسيم تقسيماً اصطلاحياً، وليس حقيقة شرعية مأخوذة بالتبع والاستقراء
 لنصوص الكتاب والسنة، بل تمادى في الباطل عندما قال: "وليس هناك حدود فاصلة بين ما

يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأُلُوهِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ".

وإني لأعجب غاية العجب كيف يقول هَذَا من يتصدى لتوجيه مسيرة العَمَلِ الإسلامي المعاصر، مع أَنَّهُ في نفسه كما يصرح هنا لا يعرف حدوداً فاصلة بين أنواع التَّوْحِيدِ الثلاثة. وأيَّ جناية على مسيرة العَمَلِ الإسلامي أشدَّ من أن ينشر بين أهل الإسلام أَنَّ أقسام التَّوْحِيدِ ليست من الثوابت، وليست من الأمور التي يعقد عليها الولاء والبراء، وَأَنَّها لم يرد بها آية محكمة أو سَنَّة متبعة، وَأَنَّه ليس هناك حدود فاصلة بين هذه الأقسام، وَأَنَّها أمور اصطلاح عليها بعض أهل العلم ولا مشاحة في الاصطلاح.

أليس في هَذَا خلخلة للصف وتوهين للاعتقاد وتقليل من شأن التَّوْحِيدِ فالله المستعان وَهُوَ حسبنا ونعم الوكيل، وفي الكتاب المذكور أخطاء عديدة من هَذَا الجنس ليس هَذَا موطن بيانها.)
أقول : والحق كما قال الدكتور صلاح الصاوي فيما قاله عالياً ، وقد خالف الصواب في ذلك الدكتور عبدالرزاق وزاد عليه تطاوله علي الشيخ الصاوي وظنه به ظنا سيئاً نسأل الله أن يصلح حاله .

مبحث في الرد علي الشيخ العباد وبيان مخالفته في رده علي الشيخ الصاوي .

ومما سبق يعلم أن الشيخ عبد الرزاق العباد قد وقع في أخطاء لا يقع فيها من هو مثله ، فهو سليل بيت العلم ! كيف ينتقد ما لا وجه فيه لنقد ؟! وها نحن نفند كلماته ونزنها بميزان أهل العلم علي منهج أهل السنة والجماعة ، ورائدنا في ذلك هو الدليل الصحيح بفهم سلف الأمة التي يزعم كل قائل أن فهمه فهمهم .

فقوله - الدكتور عبدالرازق البدر - : (وهذا يعلم فساد ما قرره) ولا أدري بأي شيء يستشهد

!؟

أيستشهد باجتهاد عالم علي عالم آخر !؟

أى ، أيستشهد باجتهاد عالم في استقراء الأدلة وجمعها وترتيبها علي نسق غير مسبوق في القرون الفاضلة علي عالم آخر وقف علي حد ما كان في القرون المفضلة !؟

وعليه فلا يصح استشهاده باجتهاده عالم في مسألة - التقسيم وليس المضمون - شهد العالم بأنها مخترعة بعد القرون المفضلة بتخطئة عالم آخر خالفه في الرأي فيها ، وليس هذا منهج الباحثين المحققين وهو إلي التهور أقرب .

ومن يسمع رد الشيخ عبدالرازق يظن أن الشيخ الصاوي مختلف معه في المضمون ، ولا يتخيل أن شدة الأول علي الثاني في مجرد التقسيم فحسب ولا دخل له بالمضمون ، فالشيخ الصاوي لا ينكر شيئاً من المضمون مطلقاً ، بل يؤمن به علي منهج أهل الحديث والسنة كما هو مشتهر عنه **حَفِظَهُ اللهُ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .**

ثم إن كلام الشيخ الصاوي الذي نقله الدكتور عبدالرازق لا غبار عليه من قبيل ولا دبير ولا مخالفة في كلمة واحدة منه لدليل من الكتاب والسنة ولا لإجماع الأمة في مسألة من المسائل ، ولو كان لسردها الدكتور عبدالرازق مستنصراً بها علي خصمه ولكنه حينما لم يجد دليلاً يسنده تطاول عليه ورد كلامه بلا دليل .

وقوله - الدكتور عبدالرازق البدر - : (فجعل أصلحه الله هذا التقسيم تقسيماً اصطلاحياً، وليس

حقيقة شرعية مأخوذة بالتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنة) وهذا كذب علي الرجل ،

فالرجل قال (بل إنَّ هذا التقسيم ابتداءً على هَذَا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سنّة متبعة) وكلامه حق وواضح لا باطل فيه ، فهَذَا التقسيم علي هَذَا الترتيب لم يرد به آية ولا حديث ولا قول صحابي ولا تابعي ، وعليه فهو اجتهاد متأخرين غير مسبوق في صدر الأمة ، وليس معني كلامه أن المضمون الذي يحتويه هَذَا التقسيم مضمون اصطلاحِي وغير شرعي !!!! كلا لا يفهم هَذَا من كلامه مطلقا ، ومن فهم هَذَا من كلامه فالعيب في فهمه ، فليثبت قبل الوقوع في غيره .

وقوله - الدكتور عبدالرازق البدر - : (بل تمادى في الباطل عندما قال: "وليست هناك حدود

فاصلة بين ما يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الألُوهِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ") وهذه كلمة عظيمة لا يحسن أن تخرج منك يادكتور ، أن تصف أبا لك - ربما - تعلم جهده في نشر المنهج الذي تتبناه وتعلم منهجه بالتماذي في الباطل حينما قال حقا صريحا وقولا صحيحا .

فقوله (وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الألُوهِيَّة، وبين ما يدخل في توحيد الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ) معناه أن المسألة الواحدة التي قد يصنفها العالم أنها تابعة لتوحيد الرُّبُوبِيَّة قد يصنفها عالم آخر تابعة لتوحيد الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، وما قد يصنفها عالم تابعة لتوحيد الألُوهِيَّة قد يصنفها عالم آخر تابعة لتوحيد الرُّبُوبِيَّة ، وما قد يصنفها عالم تابعة لتوحيد الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ قد يصنفها عالم آخر تابعة لتوحيد الحَاكِمِيَّة وغير ذلك . فمراده أن التَّوْحِيدَ شيء واحد لا يتجزأ عند العَمَل وليس في الأذهان والعقول .

وقوله عفا الله عنه : - (وإني لأعجب غاية العجب كيف يقول هَذَا من يتصدى لتوجيه مسيرة العَمَل الإسلامي المعاصر) ولا ندري ماذا جني الرجل ؟! هل قال بالكفر أو نطق بالبدعة ؟! أم أنه لمجرد أن خالف ما رسمه الآباء والأجداد صار جاهلا لا يصلح لتوجيه مسيرة العمل الاسلامي ؟!

إن هذا لهو العجب حقا ، حينما يصير الحكم علي مناهج الناس بالهوي ومتابعة اجتهاد الآباء ، بل ورمي الخصم بما ليس فيه مدلسا علي الناس حاله .

وقوله عفا الله عنه : - (مع أنه في نفسه كما يصرح هنا لا يعرف حدوداً فاصلة بين أنواع التوحيد

الثلاثة.) من التدليس علي الشيخ وإظهاره بثوب الجاهل بأصول الدين والتوحيد ! ولعلي أزعم أن مقصود الشيخ الصاوي ظاهر لا يحتاج إلي بيان ! فالرجل يقصد أن أنواع التوحيد كلها متداخلة مع بعضها لا ينفرد نوع عن نوع ، فمن يؤمن بنوع لا يعد مؤمنا بذلك النوع إلا إذا آمن بالأنواع الأخرى ! فإن آمن بكل الأنواع وتنكب نوعا واحدا فإنه لم يعمل شيئا ! وهذا هو التداخل الذي يقصده الشيخ ، وعليه فلا يصح أن يقال أن مشركي العرب آمنوا بنوع دون نوع ! لأن الله الذي قال أنهم آمنوا بنوع كفرهم في ذات الآية في ذلك النوع أيضا والمقصود أنهم آمنوا بالسنتهم وظنوا أنفسهم مؤمنين وليسوا إلا كافرين .

وقوله عفا الله عنه : - (وأي جناية على مسيرة العمل الإسلامي أشد من أن ينشر بين أهل

الإسلام أن أقسام التوحيد ليست من الثوابت، وليست من الأمور التي يعقد عليها الولاء والبراء، وأنها لم يرد بها آية محكمة أو سنة متبعة، وأنه ليس هناك حدود فاصلة بين هذه الأقسام، وأنها أمور اصطلح عليها بعض أهل العلم ولا مشاحة في الاصطلاح) قول لا يثبت ولا يخلوا من تدليس علي الرجل ، وإلا فالرجل - الدكتور الصاوي - لم يقل أن أقسام التوحيد ليست من ثوابت الدين ! بل قال " التقسيم " ! ومعلوم عند كل ذي لب الفرق بين التقسيم والأقسام ! وإن كان الشيخ الدكتور عبد الرازق البدر يجهل الفرق بين ذات الأقسام الثابتة المكونة للتوحيد والتقسيم الحادث بعد القرن الأول فأي جناية على مسيرة العمل الإسلامي أشد من أن يتصدر لنقد الأفكار وتقويم

الصحوات من لا يفرق بين هذا وذاك؟! فإن كان يفرق بينهما ويعرف الفرق فكيف تسول له نفسه التديس علي الدكتور الصاوي وإظهاره في ثوب المختلف معه في الأقسام لا في التقسيم؟! الجناية هي ما تقول به من نشر اجتهاد علماء تلزم به الأمة فيما لم يلزمه الله تعالى ولا رسوله ولا أحدا من الصحابة!

الجناية أن تصور مسألة خلافية اجتهادية علي أنها مسألة إيمان وكفر وولاء وبراء .

الجناية أن يشب شباب الصحوة علي " هكذا وجدنا آباءنا يقولون " !

الجناية أن تدلس علي الرجل وتصور خلافه في التقسيم خلاف في الأقسام!

الجناية أن تظهر الرجل مختلف مع أهل السنة في أصول الدين والتوحيد! وهو ليس كذلك، بل هو من هو - من الشهرة بمكان - في نشر التوحيد .

الجناية أن تزعم أن الرجل يشيع في الأمة أن ليس هناك آية محكمة ولا سنة متبعة تقول بالتقسيم الذي نقول به، ثم لا تذكر أنت تلك الآيات والأحاديث وتكتفي بالغمز واللمز .

ولعل الشيخ - عبدالرزاق - لم يدر أن مقالة أخيه - الصاوي - قال بها جمع من أهل العلم!.

قال الشيخ عبدالله الفقيه وفقه الله: (ومن ينتقده في جعله ذلك من توحيد الألوهية، أو في غيره من أنواع التوحيد، أو أنه أضاف نوعاً جديداً في التوحيد لم يعرفه السلف، فما أصاب في انتقاده، لأن تقسيم التوحيد إلى الأنواع المعروفة تقسيم علمي غير توقيفي، والخلاف فيه خلاف في طرق البيان لا في المضمون والمقتضى، فمن آمن بالله رباً، وجب أن يؤمن به سيّداً وحكماً، لأن هذا من معاني اسم الرب سبحانه، ومن آمن بالله إلهاً لا إله غيره، وجب عليه أن يعتقد أنه سبحانه له الأمر وحده، كما له الخلق وحده، ومن آمن بأسماء الله وصفاته، وجب عليه أن يؤمن بأن الله هو

الحكم، وأنه له الحكم، وأنه كما لا شريك له في ملكه، فلا شريك له في حكمه. فإدخال توحيد الحكم في الرُّبُوبِيَّةِ حق، وإدخاله في الألوهِيَّةِ حق، وجعله من معاني الإيْمَانِ بأَسْمَاءِ اللَّهِ وصفاته حق، وإفراجه بتعريف وبيان وجعله باباً من أبواب التَّوْحِيدِ حق، فالتَّوْحِيدُ كله مندرج تحت الإيْمَانِ بالله، والإيْمَانُ بالله تدرج تحته مَسَائِلُ وفصول كثيرة.)

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو خَالِدٍ السَّلْمِيُّ وَفَقَّهُ اللَّهُ : (لكن خطأ هؤلاء الذين زادوا هَذَا القسم لا يقتضي تبديعهم والإفراط في التكبير عليهم لأنهم قصدوا معاني حَقَّةً ، وخطوهم خطأ اجتهادي في مصطلحات وتقسيماً لا في مضمون هذه المصطلحات والتقسيماً والله أعلم .)

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَقِيهِ وَفَقَّهُ اللَّهُ : (وبالنسبة لتقسيم التَّوْحِيدِ إلى أربعة أقسام ، فقد قَالَ به بعض مشايخنا ، ولكنه خلاف الصواب ، والصحيح أن التَّوْحِيدَ ينقسم إلى قسمين أو ثلاثة) فبين الشَّيْخُ أن مبدأ التقسيم اصطلاحياً اجتهادياً ، يسوغ الاجتهاد فيه بضابط أن لا يخرج عن المضمون الشرعي .

وَقَالَ الشَّيْخُ رِضَا أَحْمَدُ صَمْدِي وَفَقَّهُ اللَّهُ : (وعند الكلام عن الاصطلاح فدلالات الألفاظ والمجمل تتسع وتنعدم المشاحة بين أهل العلم.. والمنتظر ألا تكون الفروق الاصطلاحية مقدسة بحيث تكون في حين من الأحيان شعاراً من شعارات أهل السُّنَّةِ نوالي ونعادي عليها ، فمن نقص فيها أو زاد صار من أهل البدع ؟؟؟ هَذَا ليس بسديد..)¹

وأضرب مثلاً : أنك حينما تتحالم إلى محاكم بشرية بقوانين وضعية قد وقعت في شرك ، فهل ياتري هَذَا الشرك شرك في الألوهِيَّةِ أم في الرُّبُوبِيَّةِ أم في الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ؟! وهَذَا ما يقصده الشَّيْخُ

¹ في رد علي موضوع (الفروق بين توحيد الرُّبُوبِيَّةِ والألوهِيَّةِ) للشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ زَقِيل ، منشورا علي ملتقي أهل الحديث .

جزاه الله خيرا . فمسألة كهذه لا تستطيع تصنيفها إلى قسم من أقسام التوحيد الثلاثة قولا واحدا ، بل فيها اقوال وردود ولكل قول حجته .

فبعض العلماء يقول أنك وقعت في شرك الرُّبُوبِيَّة لأن حق التشريع لله تَعَالَى وحده وهي من الرُّبُوبِيَّة لأنها من فعل الرب تبارك وتَعَالَى وإن اعتقدت صحة تشريع القاضي المخالف لتشريع الله فقد أشركت بالرُّبُوبِيَّة وصرفت حق التشريع لغير الله ، وبعضهم يقول أنك وقعت في شرك الأُلُوهِيَّة لأن التحاكم لا يكون إلا إلى الله تَعَالَى ورسوله ومن يحكم بحكمها فكونك تتحاكم لغير هذا فقد صرفت فعلك الواجب صرف الله تَعَالَى إلى غيره وَهُوَ شَرِكٌ فِي الأُلُوهِيَّة ، وبعضهم يقول إنك وقعت في شرك الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لأنك بتحاكمك إلى من يضاهاه الله تَعَالَى في التشريع قد قدحت في صفات الله تَعَالَى القاضية بأنه الحكم والعدل والرب والإله والخبير والعليم وغير ذلك من صفاته وبعضهم يقول إنك وقعت في أنواع الشرك الثلاثة معا ، ولكل وجهة هو موليا ، فلا مشاحة في ذلك كله ، ولكن الحكم الشرعي أنك وقعت في الشرك وَيَجِبُ عَلَيْكَ تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ لِرَبِّ الْعَبِيدِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو خَالِدٍ السَّلْمِيُّ وَفَقَّهُ اللهُ فِي مَعْرُضِ بَيَانِ انْدِرَاجِ شَرِكِ الْحَاكِمِيَّةِ فِي أَنْوَاعِ الشَّرِكِ الْمَشْهُورَةِ : (شرك الحاكمية مندرج في شرك الرُّبُوبِيَّة لأنه اعتقاد مدبر غير الله ، وهو شرك في الأسماء و الصفات لأنه اعتقاد شريك لله في اسمه الحكم وفي صفة الحكم ، و شرك في الأُلُوهِيَّة لأنه صرف لعبادة الطاعة و التحاكم إلى شرع الله عن الله تعالى إلى غيره)

وهناك ما قررته انت وخطته يداك - يادكتور عبدالرازق - قبل صفحات في رسالتك هذه قولك : (تقسيم التَّوْحِيدِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، أَوْ إِلَى قَسْمَيْنِ: تَوْحِيدِ مَعْرِفَةٍ وَإِثْبَاتٍ وَهُوَ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، وَتَوْحِيدِ إِرَادَةٍ وَطَلْبٍ وَهُوَ تَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ) أليس اختلاف العلماء في استقراءهم هذا يدل دلالة واضحة علي

أن الأمر اصطلاحِي ، وإلا لو كان أمرا محكما لما كان هناك هذا الاختلاف ! وما يصطاح عليه جملة من العلماء ربما لا يصطاح عليه غيرهم - طبعا - مع اتفاق الكل في المضمون ؟! بلي ، ثم إنك بقولك السابق أثبت ما قاله الدكتور الصاوي (ولست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الرُّبُوبِيَّةِ ، وبين ما يدخل في توحيد الألوهِيَّةِ ، وبين ما يدخل في توحيد الأسماء وَالصِّفَاتِ) فنقلت حدودا فاصلة بين أنواع التَّوْحِيدِ لجملة من العلماء ثم نقلت بعدها حدودا فاصلة بين أنواع اخري وتقسيما اخري . فافهم ذلك - أيها القارىء - بارك الله فيك .

وأما قوله - أي الدكتور عبدالرازق البدر - : (وإني لأعجب غاية العجب كيف يقول هذا من

يتصدى لتوجيه مسيرة العمل الإسلامي المعاصر ، مع أنه في نفسه كما يصرح هنا لا يعرف حدوداً فاصلة بين أنواع التَّوْحِيدِ الثلاثة. وأي جنابة على مسيرة العمل الإسلامي أشد من أن ينشر بين أهل الإسلام أن أقسام التَّوْحِيدِ ليست من الثوابت ، وليست من الأمور التي يعقد عليها الولاء والبراء ، وأنها لم يرد بها آية محكمة أو سنَّة متبعة ، وأنه ليس هناك حدود فاصلة بين هذه الأقسام ، وأنها أمور اصطاح عليها بعض أهل العلم ولا مشاحة في الاصطلاح.) فغلط محض وعارٍ عن الدليل فضلا عما فيه من الكذب علي الرجل والتدليس علي الناس ، ويطفح منه التعصب لاجتهاد بعض العلماء ، فخرِي بك - يادكتور - أن تكون منصفا وقافا عند حدود ما ثبت به الشرع وما كان بعد ذلك من أقوال العلماء تنزله منزلته ولا تجعله دينا توالي وتعادي عليه ، إذ لا يحل لك أن توالي أو تعادي علي كلام أحد إلا كلام الله تعالي ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يحل لك أن توالي أو تعادي علي شخص إلا سول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فالرجل يتكلم عن التقسيم ومنشأه ، ثم جئت أنت تتكلم عن الأقسام ذاتها ، والمتبادر للذهن مضمونها ! ولا شك أن من يقصد ما تقوله ويتعمده يخرج من الإسلام نهائيا ، لأن الأقسام من

أصول الإسلام ومن زعم أنها ليست من الثوابت أو **يَجُوزُ** تركها فإنه يقصد أنه **يَجُوزُ** ترك التوحيد بالكلية ، وهذا كفر بالله العظيم .

ثم تطاولك مرات ومرات علي الرجل يسقطك من مرتبتك العالية - حفظك الله - ! التي أنزلها الله في قلوب محبيك وإخوانك ، فأين أنت من اللتاس أحسن المحامل لكلام أخيك ولا يخلوا من محمل حسن ، بل ما بالغت إن قلت إن كلامه لا يحتمل محملا سيئا .

فمن أين فهمت أنه لا يعرف حدودا فاصلة حين قولك (مع أنه في نفسه كما يصرح هنا لا يعرف حدوداً فاصلة بين أنواع التوحيد الثلاثة) ؟!

ثم إن الرجل قال لا توجد حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات ، وقد بينا لك هذا في مثال ، وغيره أمثلة كثيرة .

وإني سأكرر كلمتك التي اشماز منها قلبك وردتها نفسك ولم يألها هواك بأنه لا جناية على مسيرة العمل الإسلامي من أن ينشر بين أهل الإسلام أن أقسام التوحيد ليست من الثوابت، بل هو الحق الذي يجب أن يعلمه المسلمون وأن يفهموا أن هذا التقسيم اجتهادي من العلماء وليس من الكتاب والسنة مع التأكيد علي صحة المضمون وموافقته للشرع ، فإن كنت تري في كلامي هذا مخالفة فينتها بالدليل من الكتاب والسنة علي وجوب الأخذ بتقسيمك وإلا فلا قيمة لكلام خالف السنة ولا كرامة - ما دمت فتحت باب الصراحة في الحق - لمن لم يقم للكتاب والسنة وزنا وأعمل هواه وتعصب لبشر غير معصوم ، وأقول : ليست من الأمور التي يعقد عليها الولاء والبراء بمعنى أنك لا يحل لك أن توالي من يقبل هذا التقسيم وتعادي من يرده من المسلمين المؤمنين المستكملين التوحيد ، وأنها لم يرد بها آية محكمة أو سنة متبعة وإن كبرت في ذلك فاثبت بآية واحدة أو بحديث واحد يقول بأن التوحيد ثلاثة أقسام أو قسمين أو أربعة أقسام هم كذا وكذا

وكذا وإن لم تستطع وجب عليك الاعتذار لأخيك قبل أن ترجوا الاعتذار يوم لا ينفعك عذر ، وأقول : أنه ليس هناك حدود فاصلة بين هذه الأقسام علي أرض الواقع فالتوحيد كل لا يتجزأ عمليا - كما قيل " توحيد الله بكل معانيه وأقسامه هو قضية واحدة " ¹ - أما في العقل فلا يترتب عليه عمل ، وأقول بأنها أمور اصطلح عليها بعض أهل العلم في بعض القرون حسب أفهامهم أو أحوال أهل زمانهم ولا مشاحة في الاصطلاح ما لم يخالف كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وليس في هذا خللة للصف أبدا ولا توهين للاعتقاد أو تقليل من شأن التوحيد وإن ظننت ذلك فبعض ظنك إثم . وخذ صريح كلامي ولا تلزمني بما لم أقل به .

مبحث في بيان ما في كلام الشيخ الفوزان من مخالفة .

ومما سبق يُعلم ما في كلام الشيخ صالح الفوزان حَفِظَهُ اللهُ من مخالفة لمنهج أهل السنة حين رمي إخوانه من أهل العلم بمخالفة منهج أهل السنة ، حيث قال تحت عنوان " الخطأ في تقسيم التوحيد " : (ومن المعاصرين من يقسم التوحيد إلى أربعة أقسام ، فيقول : التوحيد أربعة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد الحاكمية . ويستند في هذا إلى أن التقسيم اصطلاحياً ، وليس توقيفياً ، فلا مانع من الزيادة على الثلاثة .

ويقال لهذا : ليس التقسيم اصطلاحياً ، وإنما يرجع في التقسيم إلى الكتاب والسنة . والسلف حينما قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام استقرؤها من الكتاب والسنة .

... - ثم قال - ... ومنهم من يزيد على الأقسام الأربعة قسماً خامساً ويسميه : اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا غلط .

... - وقال - ... هذه أقوال المخالفين لأهل السنة في تقسيم التوحيد وهم بين مفرط ومفرط .

¹ رسالة (أقسام التوحيد، الاصطلاح والمضمون) للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حفظه الله .

المفرد هو : الذي زاد على تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام .

والمفرد هو : الذي اقتصر على نوع واحد وأهل البقية؛ بل أهل الأهم، الذي هو المطلوب، وهو توحيد الألوهية¹ .

فقوله - وَفَقَهُ اللَّهُ - (والسلف حينما قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام استقرءوها من الكتاب والسنة .) يرد علي قوله قبله (ليس التقسيم اصطلاحياً، وإنما يرجع في التقسيم إلى الكتاب والسنة .) لأنه اصطلاح استقرائي كما صرح هو بذلك . وعليه فما استقرءه من رغبة من العلماء واستسغته استقرأ علماء آخر غيرهم واستساغاه من أحب ولهم تبع ، فالانصاف مطلوب ووضع الشيء في محله ونصابه دين يدان به .

وكان كافيهِ أن يرد ما لم يعجبه من تلك الاصطلاحات ويرجح غيرها بغير رمي لإخوانه بالمخالفة لمنهج أهل السنة - قلت ولازم كلامه كما هو بين وظاهر : أي المبتدعة في هذه المسألة أو الموافقين لأهل البدع - وقد علم من العلماء أن مخالفتهم في الإصطلاح دون المضمون ، كما هو مشتهر .

1 (أهمية التوحيد في القرآن الكريم) للشيخ الدكتور صالح الفوزان ، وتمام كلامه : (ومن المعاصرين من يقسم التوحيد إلى أربعة أقسام، فيقول : التوحيد أربعة أنواع : توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الحاكمة . ويستند في هذا إلى أن التقسيم اصطلاحى، وليس توقيفياً، فلا مانع من الزيادة على الثلاثة .

ويقال لهذا : ليس التقسيم اصطلاحياً، وإنما يرجع في التقسيم إلى الكتاب والسنة . والسلف حينما قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام استقرءوها من الكتاب والسنة . أما الحاكمة فهي حق . يجب أن يكون التحاكم إلى شرع الله عز وجل، لكن هذا داخل في توحيد العبادة لأنه " طاعة الله عز وجل " ، السلف ما أهلوا توحيد الحاكمة حتى يأتي واحد متأخر فيضيفه، بل هو عندهم داخل في توحيد العبادة " توحيد الألوهية " ! لأن من عبادة الله جل وعلا طاعته بتحكيم شرعه، فلا يجعل قسماً مستقلاً . وإلا لزم من ذلك أن تجعل الصلاة قسماً من أقسام التوحيد، وتجعل الزكاة قسماً، والصيام قسماً، والحج قسماً، وكل أنواع العبادة أقساماً للتوحيد، ويجعل التوحيد أقساماً لا نهاية لها ! وهذا غلط . بل أنواع العبادة كلها تندرج تحت قسم واحد وهو توحيد الألوهية، فإنه جامع لها مانع من دخول غيرها معها . ومنهم من يزيد على الأقسام الأربعة قسماً خامساً ويسميه : اتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- . وهذا غلط . فاتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- حق ولا بد منه، لكن اتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- من لوازم التوحيد، ولذلك لا تصح شهادة : أن لا إله إلا الله، إلا بشهادة أن مُحَمَّدًا رسول الله . فمن لازم الشهادة لله بالتوحيد الشهادة للرسول -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة، وهذا من لوازم التوحيد وليس قسماً مستقلاً من أقسام التوحيد . ومخالف التوحيد يقال له مشرك أو كافر . ومخالف المتابعة يكون مبتدعاً .

هذه أقوال المخالفين لأهل السنة في تقسيم التوحيد وهم بين مفرد ومفرد .

المفرد هو : الذي زاد على تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام .

والمفرد هو : الذي اقتصر على نوع واحد وأهل البقية؛ بل أهل الأهم، الذي هو المطلوب، وهو توحيد الألوهية .

أما توحيد الربوبية، فجميع الأمم مقرة به، لم ينكره إلا شذاذ من الخلق، أنكروه تكبراً وعناداً مع اعترافهم به في قرارة أنفسهم . فجميع الخلق مقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدير، لكن ليس هذا هو التوحيد المطلوب . (

قال الشيخ عبدالكريم الخضير حفظه الله رادا علي من يرمي مخالفه في التقسيم الاصطلاحي للتوحيد بالبدعة : (والصحيح أنه لا بأس بأن نضيف توحيد الحاكمية ، ولا يقال عنه مبتدع ، والتبدع فيه خطأ ، لأن الذين قسموا التوحيد تقسيماً ثنائياً فجاء من قسمة ثلاثياً فإذا هو مبتدع على هذا القول !. وهناك من أهل العلم من قسم التوحيد تقسيماً خماسياً وأضاف توحيد الإتياع فهل هذا مبتدع أيضاً !، والقاعدة أنه لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان صحيحاً ، ولو اقتضى الواقع إبراز توحيد معين والاهتمام به وجعله قسماً مستقلاً وإن كان داخلاً في الأقسام قبله فلا مانع وهذا له نظائر كثيرة) وقال (لكن من الخطأ تخطئة من قال قولاً صحيحاً هو ضمن كلام من سبقه بناء على مقررات سابقة ومقاصد فاسدة ، والله أعلم .)

وقال الدكتور أحمد ابن عبد الكريم نجيب حفظه الله : (و إذا تقرر وجوب إفراد الله بالتحكيم و أن من الكفر الأكبر أن يُشرك في حكمه أحد من خلقه سواء كان ملكاً أو رئيساً أو سلطاناً أو زعيماً أو مجلساً تشريعياً أو سلطةً مدنية أو عسكرية أو فرداً من العامة أو الخاصة أو غير ذلك ، و أن ذلك مما أجمعت عليه الأمة ، و لا يسوغ لأحد أن يخالف أو يجادل فيه ، فلن يكون للخلاف حول إطلاق مصطلح (توحيد الحاكمية) أو عدمه أثر في الواقع ، و لا داعي للانشغال بتقرير هذا التوحيد كقسم رابع من أقسام التوحيد المعروفة ، أو رده إلى الأقسام الأخرى ، و خاصة توحيد الربوبية و توحيد الألوهية .

بل يجب أن يبقى الأمر في دائرة المصطلحات السائغة التي لا مشاحة فيها لأحد ، مع التسليم بجدوى التقسيم إذا كان فيه مصلحة معتبرة لطالب العلم كتسهيل دراسته و تحصيله ، أو لضرورة تنبيه الناس إلى ما غاب عنهم أو انشغلوا عنه بغيره من أبواب العلم و العمل .

فإن أبي من جمد على تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام إلا أن بيدع من خالفه في هذا التقسيم و يغمز قناته بإطلاق لسانه بثلبه أو نبذه بالتحزب و الخروج و نحو ذلك ؛ قلنا له : من أين لك أن تقسيم التوحيد إلى قسمين أو ثلاثة مرده إلى الكتاب أو السنة أو هدي سلف الأمة ؟ أما إن اعترض على توحيد الحاكمية كاصطلاح و ليس على مجرد التقسيم إلى قسمين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر أو أقل ، فيقال للمعترض : إن الدعوة إلى إفراد الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم بالحكم ليس مما ابتدعه المعاصرون بل هو من القدم بمكان .

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في معرض ذكر ما يجب على الأمة تجاه نبيها صلى الله عليه وسلم : " فنوحده بالتحكيم و التسليم و الاتقياد و الإذعان ، كما نوحده المرسل بالعبادة و الخضوع و الذل و الإنابة و التوكل ، فهما توحيدان ، لا نجاه للعبد من عذاب الله إلا بهما : توحيد المرسل ، و توحيد متابعة الرسول ، فلا نحاكم إلى غيره ، و لا نرضى بحكم غيره " ¹ .

فإن شغب علينا من يقول : إن الإمام الطحاوي رحمه الله ذكر توحيد الرسول بالتحكيم و لم يكن حديثه عن توحيد الله .

قلنا : و هل ثمة فرق بين تحكيم الله و تحكيم رسوله الذي لا ينطق عن الهوى ؟ و إن قيل : إن الكلام عن الطاعة و التسليم و الاتقياد و ليس عن التحكيم بمعناه المستخدم عند المعاصرين و هو التحكيم في التشريع !

قلنا : أوليس رد التشريع إلى الله تعالى من صميم التسليم و الاتقياد و الإذعان للشارع الحكيم سبحانه ؟!

بل هو من أدق مسائل التوحيد في الربوبية التي تثبت لله دون سواه الحق في التشريع ، و في الربوبية التي توجب صرف هذا الحق لله تعالى على الأفراد و التوحيد ؛ كما هو مقرر في كتب

¹ [في شرح الطحاوية ، ص : 200]

أصول الدين ، و الموفق من وَفَّقَهُ اللهُ لفهم كلام السلف ، و نهج نهجهم ، و سلوك سبيلهم ، على ما كانوا عليه ، لا على ما قد يتوهمه بعض الخلف ، و ينسبونه إلى السلف ظناً منهم أو زعماً أنه مَنَهِجَ السلف الصالح رضوان الله عليهم .¹

ولا يخفي خطأ كلمة ألقاها بعض الإخوة من غير تحسب لمضمونها ولتبعاتها ، حيث قال منكراً علي من يخالف في التقسيم الاصطلاحى للتوحيد : (ولا بد أن يعلم أن من يرد ويعترض على التقسيم فإنما يرد على الله جل في علاه .. لأن الله هو الذي قسم هذا التقسيم في كتابه)² فأني للقائل بهذا الدليل الذي ادعاه؟! فلما نوقش في المسألة سرد دليله وهو (أما قولك³ أنه لم ينص عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا الصحابة ولا التابعين بلا نزاع .. فهذا مما لا يسلم لك به .. فقد روى ابن جرير الطبري رحمه الله اثر ابن عباس المشهور رضي الله عنه في معنى " الله " : قال ذو الألوهيّة والمعبودية على خلقه أجمعين ..) ظنا منه أن الدليل له وهو عليه ! فليس في الأثر ذكر لأنواع من التوحيد ، بل الألوهيّة والعبودية شيئاً واحداً ، فأين التقسيم في الدليل يا رجل ؟ ولن يستطيع إن شاء الله .

فأني له بآية واحدة أو حديث واحد يقال فيه (إن التوحيد ثلاثة أقسام ، أو قسمين)؟! فإن قدر علي ذلك فأنوفنا مرغمة بقبوله ، وإن عجز فقد أورد نفسه المهالك ورمي إخوانه بطامة هم منها براء . فليتنبه طالب العلم إلي مزلات اللسان .

وعقب علي ذلك الأخ أبو العلياء الواحدي⁴ وَفَّقَهُ اللهُ بقوله : (يا أخي . هذا أثر ضعيف باتفاق . ثم هو - لو صح - لا يدل الا على جزء من المطلوب الذي هو توحيد الألوهيّة) .

¹ من موضوع " التوحيد في الحاكمية " من صفحة الشيخ علي موقع صيد الفوائد .

² قال ذلك الأخ أنس مُحَمَّد دركل عفا الله عنه ، احد أعضاء ملتقى أهل الحديث .

³ المتكلم يقصد الأخ عمرو بسيوني وَفَّقَهُ اللهُ .

⁴ أحد إخواننا أعضاء ملتقى أهل الحديث .

قَالَ الأَخ عمرو بسِيُونِي وَفَقَّهُ اللهُ ردا علي ما سبق ذكره : (المبحث ليس في دليل الأقسام كما تفضلت ، بل في أدلة التقسيم نفسه أي النص أم النظر ؟ لأنه لو قيل الدليل هو النص لم يسع أحدا مخالفة التقسيم ولو في العبارة ، كما لا يسع أحدا أن يسمي الصلاة بغير اسمها ، أما لو كان النظر ومنه الاستقراء فإن الأمر يتسع عن ذلك ، رغم كون الدليل في الحالين (النص أو النظر) حجة كما ذكرنا لتطابق الدليل على المستدل عليه .)

وخلاصة القول أن نزاعنا لإرجاع المسألة إلى الإباحة ، فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فمن يقول بالتقسيم فجائز ولا مشاحة في الاصطلاح ما لم يقصد معني لم يرد في الكتاب والسنة ، ومن لم يقل به فعلي الأصل وقف ولا بأس به ما دام اتبع منهج السلف ولم يخالف كتابا ولا سنة ، وناهيك عن أهل الضلال والبدع الذين يأخذون من هذا الكلام ستارا لنشر بدعهم وترويجها ! فهؤلاء لا علاقة لهم بموضوعنا وإن قالوا ببعض قولنا فإننا نبرأ إلى الله من كل مخالفة تعمدوها أو أخطئوا حقا طلبوه فأخطئوه ولم يرجعوا إلى الحق بعدما تبين لهم . والله الموفق والمستعان .

فصل في الرد علي من ضلل أو وبدع من زاد قسما رابعا أو خامسا للتوحيد .

ومن الخطأ البين ما يقع فيه بعض أهل العلم من تضليل وتبديع من خالف في أمر اصطلاحى متفق علي مضمونه ومعناه ، فليس من الحق أبدا أن يُبدع رجل لأنه اجتهد في تقسيم التوحيد فزاد عليه قسما أو أفرد مسألة منه في قسم ، لأن أصل الباب اجتهادي محض ، وإن كانت أصوله مستمدة من الكتاب والسنة فإن التقسيم غير ثابت في الكتاب والسنة ، وإن اختلف المختلفون فالأولي أن يقف الجميع علي الأصل الذي تركنا عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يزيدوا حرفا ولا ينقصوا حرفا ، ولا يقسموا ما لم يقسمه ربنا في كتابه ولا رسوله في سنته وإن قسموا فليلتزموا بالألفاظ الواردة ، خروجاً من الخلاف العقيم الذي لا طائل من وراءه .

ومن أوجه ما قيل في الانصاف ووضع الشيء في محله ما ذكره شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : (ومن ذا الذي يكون قوله كله سديدا وعمله كله صوابا وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ونطقه وحى يوحى فما صح عنه فهو نقل مصدق عن قائل معصوم وما جاء عن غيره فثبوت الأمرين فيه معدوم فإن صح النقل لم يكن القائل معصوما وإن لم يصح لم يكن وصوله إليه معلوما)¹ وكذلك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : (وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه وأنه على السنة فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه ويرضون عمن يوافقهم وإن كان جاهلا سيء القصد ليس له علم ولا حسن قصد فيفضي هذا إلى أن يحمدا من لم يحمده الله ورسوله ويذموا من لم يذمه الله ورسوله وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا

¹ روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (15) .

وبلغة المغل هذا بال هذا باغي لا ينظرون إلى موالاته الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس (1) وقال ابن القيم رحمه الله: (معرفة فضل أمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول فقالوا بمبلغ علمهم والحق في خلافها لا يوجب اطراح أقوالهم جملة وتنقصهم والوقية فيهم فهذان طرفان جائران عن القصد وقصد السبيل بينهما فلا تؤثم ولا نعصم ولا نسلك بهم مسلك الرافضة في علي ولا مسلكهم في الشيخين بل نسلك مسلكهم أنفسهم فممن قبلهم من الصحابة فإنهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم ولا يقبلون كل أقوالهم ولا يهدرونها فكيف ينكرون علينا في الأئمة الأربعة مسلكا يسلكونه هم في الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة ولا منافاة بين هذين الأمرين لمن شرح الله صدره للإسلام وإنما يتنافيان عند أحد رجلين جاهل بمقدار الأئمة وفضلهم أو جاهل بحقيقة الشريعة التي بعث الله بها رسوله ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل وما جور لاجتهاده فلا يجوز أن يتبع فيها ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين) (2) فعلمنا من منهج السلف رحمهم الله أن توضع كل مسألة في نصابها وأن لا يرفع العالم فوق منزلته التي أنزله الله تعالى إياها وهو منهج النبوة والصراط المستقيم الذي كان عليه خير القرون، وليس هو من باب الوقوع في العلماء وإسقاطهم وهضم حقوقهم وأكل لحومهم كما يظن بعض من لا بصيرة عنده. فافهم ذلك يرحمك الله.

¹ منهج السنة النبوية (5 | 175) لابن تيمية رحمه الله .

² إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم رحمه الله بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد (3 | 283) .

فصل في ذكر مكانة الحاكمية في الإسلام وبيان أنها من أصول التوحيد .

ومما سبق¹ يتبين أن الحاكمية أصل من أصول الإسلام لا تنفصل عن عقيدة التوحيد قيد أملة فمن أنكرها أو مجدها أو خالفها متعمداً أو متجاهلاً أو مستهيناً أو مستحسناً حكم غير الله تعالى فقد كفر، فمن أدخلها في قسم من أقسام التوحيد الثلاثة المشتهرة فلا بأس بذلك كما أوضحنا، ومن أفردتها بقسم رابع أو خامس لعموم البلوي بها في زماننا فلا بأس بذلك أيضاً، وهذا من الاصطلاحات الحادثة التي تقرب للناس المفاهيم وتبين لهم مسائل الشرع والدين، وليست توقيفية بهذا الاسم والرسم، وعليه فلا يجوز تبديع المجتهد المخالف في مثل هذه التقسيمات ما لم يتضمن تقسيمه معني شاذاً أو إنكاراً لمعني ثبت في الشريعة .

وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، بكلام نفيس في الألفاظ التي اصطلح عليها المتكلمون ولم ترد في الكتاب والسنة، ولا جرت على السنة سلف الأمة وبين أن العبرة بالمعاني لا بالمباني، وأن الأمور بمقاصدها ومضامينها : فقال : (وهذا التقسيم ينبه أيضاً على مراد السلف والأئمة بدم الكلام وأهله، إذ ذاك متناول لمن استدل بالأدلة الفاسدة، أو استدل على المقالات الباطلة. فأما من قال الحق الذي أذن الله فيه حكماً ودليلاً فهو من أهل العلم والإيمان: {والله يقول الحق وهو يهدي السبيل} ². وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحاتهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة... فالسلف والأئمة لم يذموا الكلام مجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة لكلف الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه، لاشتغال هذه الألفاظ على معان مجملة في النفي والإثبات... فإذا عرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات، ووزنت بالكتاب والسنة بحيث يثبت بحق الذي أثبتته الكتاب والسنة، وينفي الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة كان

¹ راجع (فصل في ذكر شرك الجاهلية في الحكم وبيان أنه شرك في الربوبية والألوهية والصفات) في أول البحث .

² [الأحزاب: 4] .

ذلك هو الحق، بخلاف ما سلكه أهل الأهواء من التكلم بهذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا في الوسائل والمسائل من غير بيان التفصيل والتقسيم الذي هو من الصراط المستقيم، وهذا من مثرات الشبه (.

قال الشيخ عبد الله الفقيه وفقه الله : (ومن ينتقده في جعله ذلك من توحيد الألوهية، أو في غيره من أنواع التوحيد، أو أنه أضاف نوعاً جديداً في التوحيد لم يعرفه السلف، فما أصاب في انتقاده، لأن تقسيم التوحيد إلى الأنواع المعروفة تقسيم علمي غير توقيفي، والخلاف فيه خلاف في طرق البيان لا في المضمون والمقتضى، فمن آمن بالله رباً، وجب أن يؤمن به سيّداً وحكماً، لأن هذا من معاني اسم الرب سبحانه، ومن آمن بالله إلهاً لا إله غيره، وجب عليه أن يعتقد أنه سبحانه له الأمر وحده، كما له الخلق وحده، ومن آمن بأسماء الله وصفاته، وجب عليه أن يؤمن بأن الله هو الحكم، وأنه له الحكم، وأنه كما لا شريك له في ملكه، فلا شريك له في حكمه. فإدخال توحيد الحكم في الربوبية حق، وإدخاله في الألوهية حق، وجعله من معاني الإيمان بأسماء الله وصفاته حق، وإفراجه بتعريف وبيان وجعله باباً من أبواب التوحيد حق، فالتوحيد كله مندرج تحت الإيمان بالله، والإيمان بالله تدرج تحته مسائل وفصول كثيرة.)

والكلام علي توحيد الحاكمية صنو الكلام علي توحيد المتابعة، فكليهما وقع حوله خلاف واحتدم النقاش وبدع فريق من أهل العلم فريقاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل في بيان حمل قول من قال " بإفراد توحيد الحاكمية في قسم منفصل " على وجه مقبول وأن ذلك أولي من رده وتبديع قائله وتضليله ما لم يخالف في مضمون التوحيد .

ونقول لمن ضلل أو بدع أو فسق أو تحامل على من زاد قسما رابعا أو خامسا أو سادسا للتوحيد بوجه يراه مقبولا لما دعت له الحاجة في وجهة نظره مستدلا على كلامه بما هو سائغ بين أهل العلم من استدلالات اتق الله ، كان كافيك أيها الشيخ أن ترد اجتهاده بوجه تراه أنت فما زال أهل العلم يختلفون في كل عصر ومصر لا أن تضلله وتبدعه وتقع في نيته ، فطبقا لقواعد أهل العلم أنه لا تظهر مخالفة لهذا الذي زاد أقساما ، إلا إذا حرف المعني الذي أراده عما يريد الشرع ، وهنا يقال كلمة حق أريد بها باطل . وكم اختلف العلماء في مسائل لم يقل فيها أحدهم بتبديع أخيه ؟ بل كان ديدنهم ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن اختلفنا في مسألة ؟! وهذا هو الجدير بكل من تزي بزي أهل العلم ولبس لبوسهم .

وقد اتفق عقلاء أهل العلم علي أن حمل كلام إخوانهم من أهل العلم علي أحسن المحامل أولى وقالوا : (حمل قول العالم علي وجه مقبول أولي من رده) وعليه يحملون ما قد يتطرق إليه فهم قبيح من وجه علي أحسن المحامل إعمالا لحسن الظن بالعالم وتحريه الحق واتباعه له . وإن كان أهل العلم يقبلون من بعض من تلبس بالبدع كثيرا من صحيح أقوالهم ويعتذرون إلي الله من هنات وقع فيها ذلك الجبل الأشم ! أفلا تقبل أنت من عالم سني - أفني شطرا من حياته في الذب عن الدين والسنة ونشره بين الناس - ما قاله قاصدا به الحق متحريرا للشرع متحرزا مواطن الزلل وهو مع كل هذا لم يقع في مخالفة إلا أنه خالف اجتهادك أنت أو أحد شيوخك ؟! كلا ما هذا بإنصاف .

ومن أوجه ما قيل في رد توحيد الحاكمية : (توحيد الحاكمية ، لا يجوز إنكاره ، فهو نوع من أنواع التوحيد ، ولكنه داخل في توحيد العبادة بالنسبة للحاكم نفسه كشخص ، أما بالنسبة له فهو يعني : التوحيد ، فهو داخل في توحيد الربوبية ، لأن الحاكم هو الله تعالى .

فيجب أن يكون الرب المتصرف هو الذي له الحكم فهو يكون داخلاً في توحيد الربوبية من حيث الحكم والأمر والنهي والتصرف ، أما من حيث التطبيق والعمل فالعبد مكلف باتباع حكم الله فهو من توحيد العبادة من هذه الجهة .

وجعله قسماً رابعاً ليس له وجه ، لأنه داخل في الأقسام الثلاثة ، والتقسيم بلا مقتضى يكون زيادة كلام لا داعي له ، والأمر سهل فيه على كل حال ، إذا جعل قسماً مستقلاً فهو مرادف ، ولا محذور فيه .) فأصل المنصف جزاءه الله خيراً المسألة تأصيلاً شرعياً وبين وجوب اعتقادها ، ثم ردها بوجه يراه حسناً ، والعلم عند الله تعالى .

مبحث في مسألة : فإن زعموا أن هذا النوع من التوحيد الرابع أو الخامس لم يقل به السلف .

قلنا إن هذا التقسيم دليله الاستقراء وهو أمر اجتهادي لا نصي حتى يقال إن الزيادة عليه بدعة ، وأن العلماء قد اختلفوا في التقسيم المتفق عليه الذي تزعمه ، فمنهم من جعله تقسماً ثنائياً وهما توحيد الإثبات والمعرفة وتوحيد القصد والطلب ، ومنهم من جعله تقسماً ثلاثياً وهو توحيد الألوهية (أو الإلهية) وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات . ثم يقال لهم : ما الحاجة إلى ذكر توحيد الأسماء والصفات وهو من توحيد الربوبية ؟ قلنا له : لما ضلت في مسألة الأسماء والصفات فثام من الناس وافترت الأمة فيه ، أفرد العلماء في قسم منفصل ليتأصل في نفوس الناس وليتميز أهل السنة بمنهجهم عن أهل البدع ، والأمر كذلك في توحيد الحاكمية ، فقد عمت به البلوي في زماننا وصار حكم غير الله شرعاً متبعاً ، يقهر عليه الناس في بلاد المسلمين قهراً ، وأصبح العامة لا

يفرقون بين حكم الله وحكم المحاكم الوضعية ، فظهر للعلماء إفراده في قسم ليتجلي للناس كنهه ولتتأصل في نفوسهم معرفته لتنصلح بعد ذلك عقيدتهم ويصفوا توحيدهم .

مبحث في ذكر مسألة : فإن قالوا " قسمنا التوحيد لضرورة التفصيل للحاجة والرد على المخالف في هذا الباب " .

فإن قالوا قسمنا التوحيد لهذه الأقسام لضرورة التفصيل وللحاجة الملجئة لذلك من الرد على المخالف في هذا الباب يقال لهم: وكذلك يذكر توحيد الحاكمية وغيره ممن يري الزيادة في التقسيم ، فإنه ما ذكر هذا التقسيم إلا لهذا السبب ولم يفصله العلماء في قسم مستقل إلا للضرورة الملجئة لذلك والرد علي من ابتدع ما ليس في دين الله في باب الحاكمية . فالمناط بين التقسيمين واحد ، فلم أجزت التقسيم لك ومنعته عن غيرك !؟

مبحث في ذكر مسألة : فإن قالوا " إن هذه الصيغة ؛ وهي الفاعلية لم ترد في باب الأسماء والصفات فليس من أسمائه الحاكم " .

يقال لهم: لا مشاحة في الاصطلاح ما دام يدل على معنى صحيح، ثم إن باب الإخبار أوسع من باب الإثبات. فالله تعالى هو المنعم علي العباد وهذا إخبار عن الله تعالى وهي صفة حق لله تعالى ، ولكن لم يثبت اسم " المنعم " لله تعالى ، فنؤمن بالصفة وهي " الإنعام " ولا تثبت الاسم لله لأنه لم يثبت . وكذلك نقول ، كما لم تثبت الفاعلية في الحاكمية ، فقد ثبت اسم " الحكم " ومن كمال صفات الله الحكم ، وأن لا يحكم إلا هو ! وكما لم تثبت الفعولية في الربوبية والألوهية ! فقد ثبت اسم " رب " و " إله " و " الله " ، فلم جوزت الثاني ورددت الأول !؟ مع أن المعاني كلها مستمدة من الكتاب والسنة وأصولها ظاهرة جلية !؟

وقد ثبت الحكم لله في غير ما آية وحديث ، وليس المقام مقام بسط في تلك المسألة : -

قال تعالى : - (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)¹ وقال تعالى : - (إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)² ،
قال تعالى : - (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ)³ ، وقال تعالى : -
(مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)⁴ ، وقال تعالى : - (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)⁵ ، وقال تعالى : - (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)⁶ ، وقال تعالى : - (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)⁷

¹ سورة النساء 65 .

² سورة الأنعام 57 .

³ سورة الأنعام 62 .

⁴ سورة يوسف 40 .

⁵ سورة يوسف 67 .

⁶ سورة القصص 70 .

⁷ سورة القصص 88 .

فصل في الرد علي من زعم أن انتقاد المخالفات دافعه انتقاد لذوات العلماء وأشخاصهم أو بغض

لمناهجهم .

ومن العجب أن يظن بعض الإخوة بأن الاستدراك علي عالم من علماء المسلمين مناوئة له وإسقاط لعلمه ومحاربة لشخصه أو بغض وكره لمنهجه ، فظن البعض - هداهم الله - أن تفصيل تلك المسألة دافعها الغيرة أو الحقد علي الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب لأنه من أشهر من تكلم في ذلك ، ولكن هَذَا الفهم قاصر جدا إن سلم من فساد في الطوية ، إذ لم يتخط موضع حذائه ، فأني لمخلوق أن يطمس نور الله تَعَالَى الذي تكفل جل جلاله بحفظه ، وَهُوَ القائل : (إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ¹ فإن كان علم الشيخ أو غيره من هَذَا الباب - أي مما ثبت وشرعه الله تَعَالَى وليس من كيسه وعقله - فلا خوف عليه لأن الله تَعَالَى حافظه وقد منَّ الله علي الشيخ وانتشر علمه ومنهجه وظهرت السُنَّة وتميزت والله الحمد والمنة ، وإلا - إن لم يكن علم الشيخ من هَذَا الباب - فلا تسكت عن شيء خالف كاتبه فيه الكتاب والسُنَّة - ولا نظن ذلك من هَذَا الباب مطلقا لظهور الأدلة وتكاثرها ووضوح منهج السلف فيه - ، فاعلم رَحِمَكَ اللهُ تَعَالَى أن مناقشتنا لهذه المسألة وتبيينها للناس من ذات المنطلق الذي كتب منه الشيخ رسائله وفارق قومه بمنهج كان في زمانه غريبا حتي أظهره الله تَعَالَى ونشره ، نسأل الله تمامه وكماله وعزه وظهوره .

ولعلك - بل والله - إن تغربت كما تغرب ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في زمانه - أظنك - لما رأيتك تأكل ملىء بطنك وتضحك ملىء فيك وتنام ملىء عينك وتفرح ملىء سمعك وبصرك . فانظر له واقراً سيرته رَحِمَهُ اللهُ وكيف فارق قومه حينما عارضوا دعوة التَّوْحِيدِ ، ما يبين لك جليا حقيقة الولاء والبراء وصدق دعوي التَّوْحِيدِ التي ادعاها ، وكَم من مدعٍ لمثل هَذَا الدعوي هو في حقيقة أمره علي خلافها؟! وكَم من زاعم نفسه علي المنهج رقبيا وَهُوَ مفارق له ولأصوله؟! وأمامك حياة ابن عبد

¹ سورة الحجر 9

الوهاب كيف قضاها ؟ في الثغور وساحات الجهاد ، فواجبا ممن يزعم اتباعه ثم هو يقع في المجاهدين المنتفضين لرفع راية رب العالمين ¹ . فاللهم ارحمه رحمة واسعة ترضي بها عنه .

وقد قال الشيخ الألباني رحمه الله كلمة أرجع فيها انتقاد من انتقده إلي مشاحنات وإلي ما في الصدور ، - ولعله أدري بمن يتكلم عنهم ممن يقرأ كلامه - ولكن إن تورع عن مثل هذا ورد عليهم بما يبطل حجته بغير تعرض لذات الشخص لكان أولى ، فقال رحمه الله : (قضية (الانشغال) بإنكارهم هذا التقسيم ، في الواقع ما جاءت من فراغ مثلما تفضل الأستاذ إنما هم مسبوقون ، يعني : كثيرا من الكتاب كأبي غدة وغيره وشخص اسمه مرزوق الميداني أو كذا في كتابه : براءة الأشعرين ، تكلموا في هذه القضية وردوها ، وفي الواقع : ردهم لهذا جاء نتيجة عملية المشاحنة التي بينهم وبين شيخ الإسلام فقط لا غير وبين الدعوة السلفية بشكل عام ، مع أن شيخ الإسلام مسبق بهذا بابن مندة ، ابن منده في كتاب التوحيد له مثل هذا التقسيم ، والدكتور الفقيهي محقق الكتاب أتى بالتاريخ الفعلي لهذه القضية وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام وأثبت أن شيخ الإسلام مسبق بهذا وليس وحيداً .) ² والأفضل عدم حمل كل نقد أو مخالفة إلي بغض في المنهج أو حقد علي شيخ ، وإن كان البعض كذلك ينطبق عليهم مثل هذا التبرير غير أنها ليست قاعدة يسير عليها المسلم .

وإن كان قال قائل ³ : (ثم ينبغي لطالب العلم إذا أراد البركة في علمه أن يعرف لعلمائنا قدرهم ، ولا يطرح ما يخالفهم بمثل هذا الأسلوب !!) مناصحا أخا له ⁴ في عرض اصطلاح قال بتقسيم التوحيد أربعا (توحيد الربوبية - توحيد الألوهية - توحيد الحامية - توحيد الأسماء والصفات)

¹ وتلك المسألة تزكم أنوف كثير من الأدعياء ، وهي مفردة في مصنفات فمن رغب الحق سعي له والله للساعين خير معين .

² موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 70) بترقيم الشاملة . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعان .

³ الأخ بن أبي حاتم ، أحد أعضاء ملتقى أهل الحديث .

⁴ الأخ مُحَمَّد الأمين ، أحد أعضاء الملتقى .

فماذا عساه أن يقول إذا رد أحدنا علي عالم أخطأ فيه؟! لا شك أن هذا- في بعض الحالات مع بعض الناس ولا أعني الأخ المذكور - قد يدخل في الغلو الذي هو رفع العالم فوق منزلته ، فكما أنه يجب نشر الحق يجب كذلك التحذير من الباطل ، وإلزام الناس بما لا يلزم من الباطل ! وتبديع الناس لمجرد الخلاف في تقسيم التوحيد من الباطل ! وترك الرد علي العالم - شيخي مثلا - إجلال له دون غيره من العلماء الذين يقذعهم الشخص سبا وشتما من الباطل !

ثم إن كان ذلك المنطلق صحيحا - فماذا لو أخذ به خصومنا في ذلك وتعصبوا لمشايخهم ولم يردوا عليهم ! أليس هذا باب مفسدة تسد باب قبول الحق؟! إي والله هي كذلك .

فصل في ذكر مسألة : ليس كل من ينتقد مسألة انتقدها مبتدع فهو مبتدع .

وهنا لابد من ذكر لفظة في غاية الأهمية ، وهي أنه ليس بالتلازم اتفاق المنهج عند جميع النقاد الذين اتفقوا - من غير اجتماع منهج أو جماعة - في نقد مسألة عندك .

كحالنا في مسألتنا هذه ، فقد انتقد مسألة التقسيم كثير من العلماء ، منهم السني والمبتدع وما بين ذلك ، وليسوا علي درجة واحدة في صحة المنهج وصواب النقد ، فنفطن أيها اللبيب ولا تجعل مجرد الاختلاف في المسألة حدا فاصلا لبدعة أو سنة ، ولا تجعل من خالفك فيها في ثلة المبتدعة الخارجين عن السنة مجرد أنه وافقه في نقده مبتدع .

وإليك مثالا ليبين لك أن بعض من يتصدر لبدعة قد يقول بعض الحق ملبسا به علي الناس داسا فيه كثيرا من الباطل ، فليتنبه إلي ذلك وانتق الحق من كلامه - ياطالب العلم - وصعر خدك عن أباطيله وترهاته ، واعلم أن كل مبطل أو مبتدع وربما كافر عنده بعض الحق ، قل أو أكثر ، فوجب علي المسلم قبول الحق ورد الباطل من كل مخلوق ، فلا تربط - أخي - بين موقف صحيح قاله مبتدع وموقف سني قال بمثله ما قاله ذاك المبتدع .

وخذ مثلا رد الشيخ الدكتور عبدالرازق البدر حفظه الله في كتابه (القول السديد في الرد علي من أنكر تقسيم التوحيد) علي ما كتبه الشيخ حسن ابن علي السقاف عفا الله عنه في كتابه (التنديد بمن عدّد التوحيد. إبطال محاولة التثليث في التوحيد والعقيدة الإسلامية) ، فالثاني - السقاف - سود في كتابه مخالفات صريحة للأدلة من الكتاب والسنة ونسب إلي علماء السلف ما هم منه براء وحمل كلامهم علي أسوأ المحامل التي لا يتطرق إليها الذهن الصحيح - بل ولا السقيم - ، وإن كان محقا في قليل من منطلقاته - وهو الخلاف في ذات التقسيم لا في المضمون - في بحثه غير

أن الكثرة الكاثرة من البحث تودي به في المهالك وتطيح بحسنة فيه ¹ ، فقد أساء الرجل الفهم عن السلف الصالح رَحِمَهُ اللهُ وتعدي وظلم ، فما تساوي الخير والشر فيه زُدَّ إعمالاً للسلامة فما ظنك بما كثر خبثه وظهر فحشته؟! لا شك أنه أولي بالرد من غيره . وأما الأول - البدر - فقد رد عليه بما يتوافق مع الكتاب والسنة في غالب بحثه ، وتعدي هو الآخر في نقاط ظن أنه بها يحسن صنعا ، والحق أنه أساء فيها ، فمع أن منطلقه في الرد حق ، غير أنه أخطأ السير في بعض كلامه فتعدي علي إخوانه من العلماء وشيطن كلامهم حتي جعلهم من أرباب الجهلة حتي أوصلهم - في مفهوم كلامه - إلي رؤوس ضلال ، ومن تصفح بحثه بإنصاف علم ذلك .

ومثال آخر ، نبين فيه أن منهجية انتقاء الصواب في مسألة واحدة صحيحة من بين ركام المسائل الخاطئة عند رجل هي منهجية " الحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق بها " ، فليس أخذ الحق في مسألة من رجل تزكية لكل ما قال ولا اعتقاد بكل ما يعتقد ، ومن يظن ذلك فهو أجهل من حمار أهله وأبعد عن العلم ما بين المشرقين ، وقد رد الشيخ عبد المحسن العباد في كتابه " الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي " علي كتاب " قراءة في كتب العقائد ، المذهب الحنبلي نموذجاً " للشيخ حسن المالكي فأجاد كثيرا ، وإن كان المالكي نفسه أصاب في كتابه بعض نقاط وخطأ في بعضها ، ومن ذا الذي لا يصيب قط؟! فلا يستنكرن أحد القول بأن المالكي أصاب في نقاط! ويزعم أننا نوافقه في ترهاته وأكاذيبه وما خالف فيه منهاج النبوة ، وليسمع كلمتنا بأنه أخطأ أيضا في نقاط ، وليكن الإنصاف رائده وطلب الحق دافعه .

وشاهدنا في هذا المثال ، أن الشيخ الدكتور صلاح الصاوي حَفِظَهُ اللهُ لا يستوي مع الشيخ حسن السقاف عَفَا اللهُ عَنْهُ ، فالأول وقاف عند حدود الأدلة سائر علي صريح السنة أما الثاني

¹ أي تطيح بأي حسنة فيه .

فحكم عقله في كثير من المسائل فزل فيها ، ولكن - قدر الله أن - اتفقا في كون التقسيم لم يكن علي عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالاول وضعه في نصابه وحفظ لكل عالم قدره وفهم المسألة بفهم سلف الأمة أما الثاني فتناول علي العماء وسفه أحلامهم وتكلم فيهم بما لا يليق أن يتكلم به عن طالب عنده فضلا عن شيخه ناهيك عن أن من وقع فيهم هم أشياخ الدنيا وسادة العالم والمقدمون علي من بعدهم في الفهم والديانة ، فهل يَجُوزُ للشيخ عبدالرازق البدر أن يسوي بينهما علي أنهما رؤوس ضلال؟! كلا ، ما هذا بعقل عاقل ولا إنصاف منصف ، نسأله الله السلامة .

فصل في وجوب قبول كلمة الحق وإن قالها المخالف مع بيان ما تتضمنه من بطلان .

اعلم أخي بارك الله فيك أن الحق يعرف بالدليل لا بأقوال الرجال ، ولا يقاس الحق بمن قاله أو تنبأه ، ولكن الرجال ومناهجهم هم الذين يقاسون بالحق ، فمتي وصلك حق علي لسان كائن من كان فاقبله ، فهي بضاعتك ردت إليك ، ولا تقل من قال ولكن انظر فيما قال هل وافق الدليل أم خالفه؟! فإن وافقه فاقبله لأنه الحق وإن خالفه فرده لأنه باطل ، وسنة نبيك أنه عليه الصلاة والسلام صدق رأس الكذب في العالم - إبليس - حينما صدق مرة فقال : (صدقك وهو كذوب) وعلي هذا فسر حفظك الله .

وقد قال الشيخ حسن المالكي هداه الله وعفا عنه ذاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقادحا فيه ¹ : (إن التأسيس للتكفير موجود في كلامه عندما بالغ في التفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فهون من شأن الأول، وبالغ في شأن الثاني، والتفريق نفسه تفريق مبتدع، ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولم يقل بهذا التفريق أحد من الصحابة ولا التابعين؛ فالتوحيد شأنه واحد، وهذا التفريق هو الذي جعل مقلدي ابن تيمية يزعمون أن الله لم يبعث الرسل إلا من أجل توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فقد أقر به الكفار) ² إ.خ ، وفي كلامه بعض الحق الذي استعمله لباطل - وبالطبع كل مبطل معه بعض الحق ولا شك - ، فمن الحق فيه كون التفريق أو بمعنى أدق التقسيم للتوحيد أمر مبتدع - أي لغة وليس شرعا - لم يكن علي عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما اجتهد في تقسيمه العلماء فوفقوا إليه ، وكذلك كون التوحيد شأنه واحد لا يتجزأ من حيث القبول . وكذلك أن بعثة الأنبياء كانت للتوحيد كله وليس لقسم فيه ولكن الرجل استعمل هذه الأمور الصحيحة الموافقة للسنة في ذم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأتباعه راميا لهم بطوام

¹ في كتابه (قراءة في كتب العقائد - المذهب الحنبلي نموذجاً) حسن بن فرحان المالكي ، نسبة إلى بني مالك في جنوب المملكة العربية السعودية .

² الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي 175 للشيخ عبدالمحسن العباد .

مهلكات بدون بينة ولا برهان ، وقد رد عليه الشيخ عبدالمحسن العباد حَفِظَهُ اللهُ في كتابه الانتصار لأهل السُّنَّة والحديث .

قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ السَّقَافِ عَفَا اللهُ عَنْهُ : (ولم يذكر الله تعالى في كتابه ولا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته - قلت القلموشي : قَالَ عبدالرازق البدر وَفَّقَهُ اللهُ : ونظير هَذَا قول الصاوي فيما تقدم: "بل إِنَّ هَذَا التقسيم ابتداءً على هَذَا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سُنَّة متبعة ... " - أَنَّ التَّوْحِيدَ ينقسم إلى ثلاثة أقسام توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات ، بل لم ينطق بهذا التقسيم أحد من الصَّحَابَةِ بل ولا أحد من التابعين ، بل ولا أحد من السَّلَفِ الصَّالِحِ رضي الله عن الجميع) وكلامه - أي السقاف - في هذه الجزئية صحيح ، إذ لا دليل يقول أن التَّوْحِيدَ ثلاثة أقسام أو يقول قسم الله التَّوْحِيدَ إلى أربعة أقسام أو توحيدنا قسمين أو ما إلى ذلك من التقسيمات المختلف فيها ، ولاحظ أننا نتكلم على التقسيم اللفظي وليس المضمون الشرعي . فهنا كلام السقاف والصابوي صحيح مَوَافِقٌ للسنة ، وأخطأ العباد حينما انتقدهما وزعم ثبوت ذلك في الشرع ، ولم يذكر دليلاً في كتابه يعضد به مسألته فسقط قوله عَفَا اللهُ عَنْهُ .

وأما عن الأثر السيء أو الباطل الذي أراده السقاف من كلمته الحق ، فهو حكمه الذي بناه علي الأصل بأن حكم علي هَذَا التقسيم (بالبدعة) وقد يقبل منه كونها بدعة لغوية لأنها بالفعل من هَذَا الباب ، فلم تكن موجودة في صدر الأمة فهي في عرف اللغة بدعة ، ولكن أشد مِنْهَا قوله (بدعة مذمومة) فصرح بأن هذه بدعة شرعية محرم فعلها ممنوع اتباعها . وَهُوَ مَخْطِئٌ في زعمه .

فصل في الرد علي زعم وجوب الأخذ بما اصطلح عليه بعض العلماء وبيان آثاره .

يقول الشيخ الحازمي **حَفِظَهُ اللهُ** (والاستقراء والتتبع في الشرعيات يكون نتيجته ماذا ؟ إثبات حكم شرعي ، بعضهم يقول ماذا ؟ في مسألة التوحيد التقسيم الثلاثي أن هذا اصطلاح ، مبنى الاصطلاح على الاستقراء والتتبع ، هذا غلط لماذا ؟ لأنه يُقَالُ : إذا كان الاستقراء والتتبع في اصطلاحات البشر فالنتيجة اصطلاحية . وإذا كان الاستقراء والتتبع في نصوص الشرع فالنتيجة شرعية - انتبه لهذا - . بعضهم يُلبّس يقول : هذا دليله الاستقراء والتتبع . ولا يُعرف إلا عن شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تعالى . وعرفنا فيما سبق أن هذا باطل بل هو مسبوقة ، ودليلهم الاستقراء والتتبع . نقول : الاستقراء والتتبع محله ما هو ؟

قد يكون استقراء وتتبع في الصحف والمجلات ، وقد يكون الاستقراء والتتبع في السُّنَّة وفي الكِتَاب ، وقد يكون الاستقراء والتتبع في كتب الطب ، فالنتائج حينئذٍ باعتبار ما استُقِرَّ وتُتَّبَع ، فإن كان الاستقراء والتتبع لاصطلاحات البشر وأوضاعهم فالنتائج اصطلاحية ، ولكن أهل العلم ما تتبعوا كلام البشر ، وإنما نظروا في ماذا ؟ في دلالة الكِتَاب والسُّنَّة ، الله عز وجل يقول : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾¹ تقسيم تقابل كما قال ابن عباس . فحينئذٍ لَمَّا نظروا وتَبَّعُوا كلام الله تعالى والاستقراء التام حجة شرعية كما هو معلوم في محله كانت النتيجة شرعية لا اصطلاحية ، فبعضهم يقول : التتبع والاستقراء نتيجته اصطلاحية . قلنا : هذا باطل ليس بصواب .²

نقول : بل هذا التقسيم اصطلاحية ، لأنه لم يرد به دليل شرعي صريح من كتاب ولا من سنة ولا من قول صحابة أو تابعين يقول بأن التوحيد ثلاثة أقسام أو قسمين ، بل جمع العلماء النصوص

¹ (سورة يوسف : 106)

² في مقدمة ابن أبي زيد 27 للحازمي .

الشرعية بعضها إلي بعض ولخصوا تلك المسائل ورتبها كل حسب ما يراه طريقة أيسر لتفهم الناس أمر دينهم وعليه فاستقراءهم هذا اصطلاحاً محض ولا يترتب عليه - أي علي مجرد التقسيم ذاته لا علي محتواه ومضمونه ، ففرق بين ذلك رَحِمَكَ اللهُ - عمل شرعي .

قال الأخ الفاضل عمرو بسيوني وفقه الله : (التقسيم اصطلاحياً .. وليس معنى كونه اصطلاحياً أنه ليس شرعياً ، فليست العلاقة بين الاصطلاح والشرعي علاقة مباينة من كل وجه ، فالاصطلاح منه شرعي ومنه غير شرعي . فهو اصطلاحياً من حيث إنه استقرائي ، وهو شرعي من حيث إن استقراءه من نصوص الشرع .)¹ فالأخ يقصد بشرعي أنه مستقراً من الشرع وهذا لا يخالف فيه ، ولكننا نقول أنه غير شرعي من حيث ثبوته بلفظه ولحظه في الكتاب والسنة دون مضمونه ، وهذا ما نوه إليه الأخ الفاضل أيضاً حين أتبع كلامه بقوله : (فالحاصل أن التقسيم بنصه وفصه ليس من كلام النبي ولا الصحابة ولا التابعين بلا نزاع .)²

¹ مشاركة الأخ الفاضل من موضوع (ما الفائدة من تقسيم التوحيد إلي ثلاث !؟)
² وتام كلامه حَفِظَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ : (التقسيم اصطلاحياً .. وليس معنى كونه اصطلاحياً أنه ليس شرعياً ، فليست العلاقة بين الاصطلاح والشرعي علاقة مباينة من كل وجه ، فالاصطلاح منه شرعي ومنه غير شرعي .
 فهو اصطلاحياً من حيث إنه استقرائي ، وهو شرعي من حيث إن استقراءه من نصوص الشرع .
 لذلك تجد بعض الفقهاء يقولون الصلاة اصطلاحاً وبعضهم يقول شرعاً ، ويعلمون ذلك أن مراد من قال اصطلاحاً لأنه من وضع العلماء ، ومن قال شرعاً فمراده أن هذا التعريف وإن كان من وضع العلماء لكنه مستنبط من الشرع ، فيفرق عن الاصطلاح اللغوي أو الأصولي أو الكلامي إلخ ، فالحاصل أن الاصطلاح يتنوع بحسب مورده ، فيصح كون الاصطلاح شرعياً أو لغوياً أو طبياً أو هندسياً ، إلخ بهذا الاعتبار .
 وكونه حقاً في نفسه فهذا لأنه قائم على استقراء تام صحيح لنصوص الشرع الدالة على التوحيد ، وهذا سبب عدم سواغ الخلاف فيه - والمراد الخلاف في مفهوم التقسيم واعتباراته ، وإلا فمن أقر بالحق في أفراد الله بالربوبية والألوهة و أصاب الحق في باب الأسماء والصفات فهو محق في نفس الأمر وإن لم يعبر عن ذلك بتقسيم ثنائي أو ثلاثي أو رباعي إلخ ، وإنما يكون مدخل الكلام معه صناعي لا شرعي ، لكون ذلك التقسيم هو تعبير العلماء وطريقتهم القارة .
 وما ذكره أخونا أنس عن من قال بالتقسيم من علماء السلف ، فالحاصل أن أقدم من ذكره من المتأخرين عن درجة تابعي التابعين ، فالحاصل أن التقسيم بنصه وفصه ليس من كلام النبي ولا الصحابة ولا التابعين بلا نزاع .

الشاهد أن تقرير اصطلاحية التقسيم لا تعني السواغ في الخلاف في مفهومه ، ولا تعتبر حجة لا للأسمريين ولا لغيرهم لرده ، وإلا لعد حمله قبيحا ، فكثير من نظر الأئمة في الشرعيات قائم على الاستقراء ويصير حجة بذلك ، ولا يعني هذا كونه نصاً في نفسه ، كتقسيمهم أفعال العبادة إلى ركن و واجب وسنة و هيئة إلخ ، فلو قال إنسان ليس في النص أن الصلاة أركان و واجبات وأبعاض وهيئات ، لم يقبل منه مجرد دعواه أن هذا اصطلاحياً ، لأنه وإن كان اصطلاحياً لكنه قائم على استقراء تام لنصوص الصلاة ، والاستقراء التام حجة ، وإن قال الصلاة منها ما لا تصلح من دونها ، ومنها ما تصلح لكن بخلل ومنها ما تصلح بلا خلل ولكن لا تكون كاملة ، كان قوله في نفسه حقاً ، ولكن المبحث معه صناعي لا شرعي . أما اعتراضات السلف وقوله إن هذا تثليث فهذه حقاقة منه ، فتثليث النصاري هو في الذات ، أما تقسيم التوحيد ولو

فمن قبل بهذا الاجتهاد من العلماء وقال به فجزاه الله خيرا ومن لم يقل به أو في أقصى الحالات رده ولم يقبله فلا تثريب عليه ما لم يبدع صاحبه أو يؤثمه أو يرد مضمونه ، لأن الثاني وقف علي الأصل من عدم التقسيم الذي تركنا عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان عليه السلف الصالح من صدر هذه الأمة . والثاني اجتهد في فهم تلك النصوص مجمعة فرتبها ترتيبا يناسب عصره ويتوافق مع محل دعوته وهذا لا بأس به وهو مأجور أجرين إن أصاب - وبالفعل ليس في التقسيم ما ينتقد أو يخالف الشرع - ومعدور إن أخطأ مع نيل أجر الاجتهاد .

ولا أبلغ - في الرد عليك يا شيخ - من قولك في مكان آخر : (والأصل في الصفة أن تصدر عن الذات ، فكل صفة صادرة الذات فهي ذاتية ، وإنما التقسيم هذا تقسيم اصطلاحى فحسب . وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين ، كالكلام باعتبار الرب جل وعلا متصفاً به أزلاً وأبداً فهي صفة ذاتية ، وباعتبار الآحاد نقول: هذه صفة فعلية.)¹ فأت من قررت بأن هذا تقسيم اصطلاحى لأن مضمونها ورد في القرآن كما ورد مضمون أقسام التوحيد في القرآن ! وهذه كتلك .

وأما قول الشيخ : (والاستقراء والتتبع في الشرعيات يكون نتيجته ماذا ؟ إثبات حكم شرعي) فليس مضطرباً أن كل استقراء أو تتبع في الشرعيات يكون له نتيجة شرعية ، بل في غالب المسائل يكون الاستقراء تحصيل حاصل وإعادة وتكراراً بطرق مختلفة وأساليب متباينة ، كما هو الحال في مسألتنا هذه ، فنتيجة الاستقراء فيها لم يخرج لنا بجديد ولا بحكم شرعي لم يكن موجوداً قبل استقراء العلماء وتبعمهم ولم ينبن عليه عمل ولا اعتقاد . فقبل الاستقراء كان التوحيد هو التوحيد ومن نقضه أو نقض بعضه فهو كافر ، وبعده ظل التوحيد هو التوحيد ومن نقضه أو

لألف نوع فهو تقسيم في اعتبارات التوحيد لا ماهيته ! ، لكن موضوع كل أنواع التوحيد واحد هو الباري تعالى . ثم إن أصحابه الأشاعرة وغيرهم يقسمون التوحيد أيضاً ، إلى توحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الأفعال ، فهل هم مشركون عنده أيضاً ؟ انتهى .

¹ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي (5 / 22) بترقيم الشاملة .

نقض بعضه فهو كافر بزيادة التقسيم . ومن زعم إثبات حكم شرعي في مسألة كهذه لم يكن موجودا فعليه الدليل ، ولن يستطيع إثباتا .

وقوله : (قد يكون استقراء وتبع في الصحف والمجلات ، وقد يكون الاستقراء والتبع في السنة وفي الكتاب ، وقد يكون الاستقراء والتبع في كتب الطب ، فالنتائج حينئذ باعتبار ما استُقرئ وتُتبع) نقول : فالاستقراء والتبع في مسائل ثبت فيها الحكم الشرعي يختلف - يا شيخ - عن الاجتهاد في فهم نص شرعي !

فمسألتنا هذه غاية الأمر فيها أنه - أي التقسيم - ترتيب للأدلة الواردة في الكتاب والسنة ، ولم يخرج الاستقراء فيها والتبع حكما مبتدعا لم يكن عليه أسلافنا البتة ، بل خرج ليقرر ما قرروه ويسيروا علي ما قالوه .

أما الاجتهاد في فهم النصوص الشرعية أو الاجتهاد في مسألة شرعية لا نص فيها فهو الذي أظنك كنت تقصده في مقابلة الاستقراء في كتب الطب أو الصحف والمجلات ! فالتبع والاستقراء في الصنف الأول شرعي وحجة شرعية ونتيجته شرعية لا اصطلاحية - أي لا يصح مخالفتها - ، والتبع والاستقراء في الصنف الثاني اصطلاحية دنيوية ونتيجته اصطلاحية دنيوية .

واعلم أن الإصطلاح قد يكون اصطلاحا شرعيا أو اصطلاحا غير شرعي ، فالأول هو ما ترتب عليه عمل شرعي لا يسوغ مخالفته كنتيجة لاستقراء أو اجتهاد عالم في فهم النصوص ، والثاني ما لم يترتب عليه عمل شرعي عنه قبل الاستقراء وإطلاق هذا الاصطلاح كمسألتنا هذه . ومن هنا نعلم خطأ قوله : (فبعضهم يقول : التبع والاستقراء نتيجته اصطلاحية . قلنا : هذا باطل ليس بصواب) لأن الأمر ليس مضطردا ، وليس كل اصطلاح في الشرع نتيجته اصطلاحية غير شرعية أو اصطلاحية شرعية ، ومسألتنا هذه أن التقسيم من باب الاصطلاح الشرعي الذي لم يترتب

عليه اعتقاد زائد عما كان معتقدا قبله ولا عمل جديد لم يكن موجودا قبل وجوده . فتنبه لتلك
الفلسفات رَحِمَكَ اللهُ .

فصل في ذكر ماخذ علي تعريف أقسام التوحيد وتصويبها .

قد رد الدكتور عبد الرزاق البدر **حَفِظَهُ اللهُ** علي أحد خصومه مثبتا معاني أقسام التوحيد الاصطلاحية فقال : (والمراد بتوحيد الربوبية : الاعتقاد الجازم بأن الله وحده الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لشئون خلقه كلها لا شريك له في ذلك. والمراد بتوحيد الألوهية: إفراد الله وحده بالخضوع والذل والمحبة والخشوع وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

والمراد بتوحيد الأسماء والصفات: الإيمان الجازم بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وإثباتها دون تحريف أو تعطيل أو تكيف أو تمثيل.)¹

وأراه لم يف تعريف الربوبية حقه ، فقال (الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى وحده الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لشئون خلقه كلها لا شريك له في ذلك.) فذكر **حَفِظَهُ اللهُ** مسائل من مسائل الربوبية ولم يترك الباب مفتوحا - علي أقل الأحوال - ليضاف إليها ما كان من فعل الله تعالى ، فظهر من شرحه حصر - بدون قصد - مسائل الربوبية فيما ذكره من مسائل الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة ، وهذا غير دقيق في تعريف الربوبية ، لأن الربوبية هي فعل الرب **سُبْحَانَهُ** وتعالى ، فكل ما كان من فعله **سُبْحَانَهُ** وتعالى فهو داخل في الربوبية وكل ما ينسب العجز لذات الله تعالى فهو نقض للربوبية ، وإن كان التعريف الذي ذكره هو التعريف الصحيح فعليه يكون المشركون مؤمنون في الربوبية لأنهم - حسب هذا التعريف - استكملوا مسائلها التي حددها الشيخ **حَفِظَهُ اللهُ** ، ولكن التعريف قاصر علي عدة مسائل من الربوبية فقط - وهي ما أثبتها مشركوا العرب - وهناك مسائل أخرى داخلية في الربوبية لم يذكرها الدكتور ومجدها المشركون ، وعليه

¹ القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (1 / 16) .

فالتعريف الأشمل للربوبية قول : (توحيد الله بأفعاله **سُبْحَانَهُ** ¹) . ومثل ذلك ما عرف به الأسماء **وَالصِّفَات** فأشمل مما قاله أن يقول : (الإيمان بكل ما وصف الله **تَعَالَى** به نفسه وما وصفه به رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل) لأن الوصف يشمل النفي والإثبات وقد ذكر **الدُّكْتُور** الإثبات فقط في تعريفه فقد يلتبس علي البعض النفي حسب هذا التعريف .

وكان لابد من التنبيه علي هذه المسألة ودقة الألفاظ فيها ، لأن **الشَّيْخ** كان في معرض الرد علي مخالف فلا بد أن تكون الألفاظ دقيقة والجواب كامل فلا يستعاض بإجمال علي تفصيل .

¹ وتنزيهه عن النقائص

فصل في ذكر بعض الآثار عن إقرار بعض مشركي العرب ومعرفتهم لبعض مسائل في الربوبية . مدخل :

يشتهر بين طلاب العلم تقسيم التوحيد أو الإيمان اصطلاحياً إلى أقسام ، وأشهر التقسيمات علي أن التوحيد ثلاثة أنواع أو أقسام .

توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، وهذه التقسيمات تشكل التوحيد الذي دعا جميع الأنبياء أقوامهم إليه جملة وتفصيلاً ، فمن بلغته مسألة من تفاصيل هذه الأنواع فكفر بها أو أنكرها فقد كفر بجميع المسائل ، لأن التوحيد كل لا يتجزأ من حيث العمل ، والإيمان كنه لا يتقسم من حيث العمل ،

وعليه : فتوحيد الربوبية إفراد الله تعالى بأفعاله جل ثنائه ، وتوحيد الألوهية إفراد الله تعالى بأفعالنا وتوحيد الأسماء والصفات الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله كما فهم رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل .
فمن أقر بتلك الأنواع وانقاد إليها وآمن بها ولم ينقض مسألة منها ، فقد آمن بالله تعالى وبرسوله ومن أقر بمسألة وكفر بمسألة فقد كفر بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد أقر الكفار من قريش ومن عاصرهم من المشركين ببعض المسائل في التوحيد ، فبعضهم أقر بمسائل في الربوبية وأنكر بعضها ، وبعضهم أقر بمسائل في الألوهية وأنكر بعضها ، وبعضهم أقر بمسائل في الصفات والأسماء وأنكر بعضها ، فصاروا كفاراً جملة وتفصيلاً ، لأنه كما - أسلفنا - التوحيد لا يقبل إلا كاملاً ، ولا يقال علي أحد آمن بقسم من التوحيد وكفر بقسم ، لأن الله تعالى دعا الناس إلى التوحيد كله لا إلى أقسامه .

وقد فهم ذلك حق الفهم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يسموهم مؤمنين بقسم من التوحيد كافرين بآخر ، بل سموهم كافرين ولم يوصلوا ،

ثم ، خلف من بعدهم خلوف ، تكلموا في مسائل لم يتكلم فيها سلفهم بمثل كلامهم ، فزعموا أن الكفار كانوا موحدين في الربوبية مؤمنين بها ، مخالفين بذلك فهم سلف الأمة الذي لم يرد عنهم مثل هذا القول . وهو بأنهم كانوا مؤمنين أو موحدين بالربوبية ، ثم زعموا أيضا أنهم كفروا بالألوهية مع أنهم أقروا لله بالألوهية وأشركوا معه غيره فيها ، وما ثبت هو الإقرار أو الاعتراف ، وكما تعلم أن الإقرار أو الاعتراف جزء من الإيمان في كل قسم ولا يطلق عليه إيمان ، فمن أقر بشيء فقد حصل جزء من الإيمان ولا يطلق عليه مؤمنا بهذا القسم لأنه نقضه ولم يستوفه .

ونحن إذ نتفق مع ما يقوله الإخوة من كون الكفار أقروا ببعض المسائل في الربوبية وليس في كلها نقول أيضا بأنهم أقروا ببعض المسائل أيضا في الألوهية والأسماء والصفات ، ولا يطلق عليهم مؤمنين بقسم من الأقسام لأنهم لم يؤمنوا به كاملا فليسوا مؤمنين به ، بل غايتهم الإقرار أو الإيمان ببعضه . قال الشيخ الألباني رحمه الله : (فرقوا بين الإله وبين الرب ، فهم يشركون في الألوهية ولا يشركون في الربوبية)¹ وكلامه رحمه الله غير مستقيم في كونهم لا يشركون في الربوبية ! لأنهم كانوا مقرين ببعض مسائلها و بالفعل كانوا مشركين فيها ، وكذلك قوله كانوا مشركين بالألوهية صحيح غير أنهم كانوا مقرين ببعض مسائلها أيضا .

مبحث في ذكر القصور في تعريف الربوبية بالخلق والرزق والتدبير :

ومنشأ - هذا - الفهم بأن مشركي العرب كانوا مؤمنين أو موحدين بالربوبية ، هو حصر توحيد الربوبية في الخلق والرزق والتدبير ، وعليه فقد أقروا بالفعل بمثل هذه المسائل - وهي الخلق

¹ موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني (2 / 71) بتقييم الشاملة . صنعه / شادي بن محمد بن سالم آل نعان .

والرزق والتدبير - ولكنهم أنكروا أو أشركوا أو نسبوا الله إلى العجز والنقص في مسائل أخري هي أيضا من مسائل الرُّبُوبِيَّة .

وحق لمن قصر الرُّبُوبِيَّة على الخلق والرزق والتدبير أن يزلق في مثل هذا المنزلق ، حتي قال قائل منهم : (لم نسمع أحد منهم قال إن مع الله خالق أو رازق) وهو واهم ، فأني له أن يفهم أن من أقر لله بالخلق لم يستوف - حتي - الرُّبُوبِيَّة وحدها حتي يوسم بالإيمان فيها . والله المستعان .

مبحث في ذكر إقرارهم بالرُّبُوبِيَّة لله تعالى إجمالا :

قال الله تعالى مخبرا عن المشركين إقرارهم لله تعالى بالرُّبُوبِيَّة: { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ }¹ . وهذا حديث عام ولا يقصد به أن كلهم يؤمنون بضمون ذلك ، بل منهم الكثيرون من ينقضون ذلك الاعتقاد .

مبحث في ذكر إقرار بعض مشركي العرب ببعض مسائل الرُّبُوبِيَّة :

كما تعلم - أخي في الله - أن الرُّبُوبِيَّة إفراد الله تعالى بأفعاله من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والتصرف في الكون والقدرة علي الخلق وسماعهم وإبصارهم وغير ذلك من أفعاله وعدم نسبة النقص إليه بوجه من الوجوه في الذات والأفعال ، فمن فعل ذلك - ولم يخالف في باقي مسائل الدين - فقد آمن بالرُّبُوبِيَّة ، ومن آمن ببعض المسائل وكفر ببعض أو نسب العجز إلي الله تعالى أو غير ذلك فلا يعد مؤمنا بالرُّبُوبِيَّة ولا - حتي - يعد مؤمنا بتلك الصفة التي زعم أنه مؤمن بها ، بل هو مقر ببعض مسائلها ، وهذا ما وقع فيه مشركوا العرب .

¹ [سورة المؤمنون: 84-89]

كما أنه من أتى بمسائل الدين كلها غير أنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة كما نعي الزكاة على عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فقد ارتدوا عن الإسلام بإنكارهم تلك المسألة وحاربهم الصديق حربه للكفار ، فهؤلاء بعدما كانوا مسلمين انسلخوا منه بإنكارهم لمعلوم من الدين بالضرورة .

وقد قال الشيخ الحازمي فأحسن : (وما أثبت من جهة كون المشركين الذين بعث إليهم النبي أنهم أقروا بتوحيد الربوبية المراد به إقرار في الجملة أو أنهم أتوا بد أو أقروا بالأصول العامة ولم يأتوا به على وجه التمام ، فلا يكمل لأحد توحيد هذه الأنواع الثلاثة ، فهي متلازمة وجوداً وانتفاءً ، يكمل بعضها بعضاً ، والخلل والنقص والانحراف في أي نوع منها هو خلل في التوحيد كله .)¹ فالمشركون أقروا إجمالاً بالربوبية وظهر من بعضهم نواقض للربوبية أيضاً ولم يؤمنوا بالربوبية ، وإقرارهم ليس علي وجه التمام بل هو ناقص ومنقوض بنواقض شنعاء أتت علي أصل إقرارهم فصار كالعدم .

مبحث في ذكر إقرارهم بالخلق لله تعالى :

وأما إقرار مشركي العرب لله تعالى بالخلق فهي كثيرة جدا ، لأن الحادهم وانتكاسة فطريهم لم تصل إلي حد إنكار الخالق ، وهم بهذا الإثبات لا يدخلون في الإسلام ، بل حتي لم يستكملوا الربوبية ، فهم غير مؤمنين وغير موحدين في الربوبية ، قال ربنا تبارك وتعالى : { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ }² .

¹ شرح كشف الشبهات الشريط الثاني ، تفرغ موقع الشيخ الحازمي .

² [سورة العنكبوت:61]

وَقَالَ تَعَالَى: { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }¹.

وَقَالَ تَعَالَى: { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلِ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ }².

وَقَالَ تَعَالَى: { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ }³.
وَقَالَ تَعَالَى: { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ }⁴.

مبحث في ذكر إقرارهم بالرزق والتدبير لله تعالى :

وقد أقر مشركوا العرب لله تعالى بأنه الذي يرزقهم ويغيثهم بالمطر ويدبر شؤون حياتهم ، فقال تعالى : { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ }⁵.

وَقَالَ تَعَالَى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ }⁶.

وقال الإمام الرازي في تفسيره : "ثم بين تعالى أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا سأله عن مدبر هذه الأحوال فيقولون انه الله سبحانه وتعالى ، وهذا يدل على ان المخاطبين بهذا الكلام

¹ [سورة لقمان:25]

² [سورة الزمر:38]

³ [سورة الزخرف:9]

⁴ [سورة الزخرف:87]

⁵ [سورة العنكبوت:63]

⁶ [سورة يونس:31]

كانوا يعرفون الله ويقرون به ، وهم الذين قالوا في عبادتهم للأصنام أنها تقربنا إلى الله زلفى ، وأنهم شفعاؤنا عند الله ، وكانوا يعلمون أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر " ¹ انتهى

مبحث في ذكر إقرار بعضهم بالإحياء والإماتة لله تعالى :

قال ربنا تبارك وتعالى : (وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) ²

مبحث في ذكر إقرارهم بالقدرة لله تعالى :

وقال تعالى : { قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ } ³ .

وكذا يظهر إقرارهم بل واعتقادهم القلبي بأن الله هو القادر علي التصرف في الكون حينما يكونوا في الفلك وتبيج عليهم الرياح وتعصف بهم الأمواج فلا يجدون مهربا سوي الله تعالى ، فيتضرعون إليه داعين مخلصين : (لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) ⁴ وهذا الدعاء منبعه عقيدة قلبية جازمة بأن الله قادر علي ذلك .

¹ تفسير الرازي (70/17)

² سورة يونس 31 .

³ [سورة المؤمنون: 85-89]

⁴ سورة يونس 22

فصل في ذكر معني الإيمان في قول الله تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) ¹ ودفع توهم تحقيقهم الإيمان في شيء من التوحيد وبيان تأويل العلماء له .

قال القرطبي ² رحمه الله: (قوله تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ أَقْرَبُوا بِاللَّهِ خَالِقَهُمْ وَخَالِقِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، قَالَه الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَعَامِرُ الشَّعْبِيِّ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ هُوَ قَوْلُهُ: " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ " ³ ثُمَّ يَصِفُونَهُ بِغَيْرِ صِفَتِهِ وَيَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا، وَعَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا: أَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ مَعَهُمْ شِرْكٌ وَإِيمَانٌ، آمَنُوا بِاللَّهِ وَكَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَصِحُّ إِيمَانُهُمْ، حَكَاهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي تَلْبِيَةِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمَلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُمُ النَّصَارَى. وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُمُ الْمُشَبَّهَةُ، آمَنُوا مَجْمَلًا وَأَشْرَكُوا مُفْصَلًا.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ، الْمَعْنَى: " وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ " أَيِّ بِاللِّسَانِ إِلَّا وَهُوَ كَافِرٌ بِقَلْبِهِ، ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ عَنِ الْحَسَنِ أَيْضًا. وَقَالَ عَطَاءٌ: هَذَا فِي الدُّعَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ يَنْسَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الرَّخَاءِ، فَإِذَا أَصَابَهُمُ الْبَلَاءُ أَخْلَصُوا فِي الدُّعَاءِ، بَيَانُهُ: " وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ " ⁴ الْآيَةُ. وَقَوْلُهُ: " وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ " ⁵ الْآيَةُ. وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: " وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ " ⁶.

وَقِيلَ: مَعْنَاهَا أَنَّهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ يُنَجِّيهِمْ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَإِذَا أَنْجَاهُمْ قَالَ قَائِلُهُمْ: لَوْلَا فَلَانٌ مَا نَجَوْنَا، وَلَوْلَا الْكَلْبُ لَدَخَلَ عَلَيْنَا اللَّصُّ، وَنَحْوَ هَذَا، فَيَجْعَلُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ مَنْسُوبَةً إِلَى فَلَانٍ، وَوَقَائِتُهُ مَنْسُوبَةً إِلَى الْكَلْبِ. قُلْتُ: وَقَدْ يَقَعُ فِي هَذَا الْقَوْلِ وَالَّذِي قَبْلَهُ كَثِيرٌ مِنْ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قِصَّةِ الدُّخَانِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَمَّا غَشِيَهُمُ الدُّخَانُ

¹ سورة يوسف 106

² هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ).

³ [سورة الزخرف: 87]

⁴ [سورة يونس: 22]

⁵ [سورة يونس: 12]

⁶ [سورة فصلت: 51]

في سِنِي الْقَحْطِ قَالُوا: " رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ " ¹ فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ، وَشِرْكُهُمْ عَوْدُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ كَشْفِ الْعَذَابِ، بيانه قوله: " إِنَّكُمْ عَائِدُونَ " ² وَالْعَوْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ ابْتِدَاءٍ، فَيَكُونُ مَعْنَى: " إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ " أَي إِلَّا وَهُمْ عَائِدُونَ [إِلَى الشِّرْكِ]، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ³

فانظر يا رعاك الله ، إلى النقول المتكاثرة التي أوردها الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ ، حيث دارت مجمل أقوال المفسرين والعلماء رَحِمَهُمُ اللهُ حول أنهم أقروا ببعض المسائل التي سموها إيمانا ، وهي في الحقيقة جزء من الإيمان إن استكملوه ولا قيمة لها ولا كرامة إن انفردت كما كان حالهم ! فتنبه ، فاحتج الله تَعَالَى عليهم بما زعموه من إيمان علي كفرهم في واقع أمرهم .

ولعلي أجلي لك الأمر بذكر النقول منفردة معلقا عليها بما يظهر مكنونها .

قوله - أي القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ : (نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ أَقْرَأُوا بِاللَّهِ خَالِقَهُمْ وَخَالِقَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَمَجَاهِدٌ وَعَامِرُ الشَّعْبِيِّ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ.) فلم يذكر توحيدا في هَذَا الْقِسْمِ وَلَا إِيمَانًا ! بل ذكر عنهم إقرارا واعترافا ، وَهُوَ مَا ثَبَتَ بِالْأَدْلَةِ أَنَّهُمْ أَقْرَأُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا .

وكذلك قوله - القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ : (وَعَنِ الْحَسَنِ أَيضًا: أَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ مَعَهُمْ شِرْكٌ وَإِيمَانٌ، آمَنُوا بِاللَّهِ وَكَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَصِحُّ إِيمَانُهُمْ) فذكر أن معهم خليطا من الشرك والإيمان ثم بين أن إيمانهم الذي زعموه منقوض في ذاته بشركهم في غيره .

وقوله - القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ : (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي تَلْبِيَةِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ.) ⁴ فيه ملمح عظيم ، إذ قد رأى ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن ما يسمى إيمانا هو في قولهم الأول (لبيك اللهم لبيك) وفي قولهم الثاني (تملكه وما ملك

¹ [سورة الدخان: 12]

² [سورة الدخان: 15]

³ تفسير القرطبي المسمى " الجامع لأحكام القرآن " (9 / 274) . بتحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش .

⁴ تفسير القرطبي المسمى " الجامع لأحكام القرآن " (9 / 274) . بتحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش .

(فقولهم الأول يظهر منه أنهم أقرروا لله بالعبادة وهو من الألوهية فلذا دعوه كإله ، ويظهر من قولهم الثاني أنهم أقرروا لله بالملك وهو من الربوبية ، ولا يخلوا دعائهم السابق من الشرك في الألوهية والربوبية معا ، فقد كانوا يطوفون طوافهم بالبيت عرايا قاصدين الأصنام معتقدين لها شيئا من الملك حيث قالوا (وما ملك) . ، وفي هذا دليل صريح علي من يزعم - بإطلاق من غير تقييد - أن المشركين ءامنوا بالربوبية وأشركوا بالألوهية ، كما صرح ابن عباس رضي الله عنهما . والصحيح كما أسلفنا أنهم أقرروا - وليس ءامنوا - ببعض مسائل الربوبية وبعض مسائل الألوهية وأشركوا في البعض الآخر . فتنبه لذلك رحمك الله .

وقوله - القرطبي - رحمه الله : (المعنى: " وما يؤمن أكثرهم بالله " أي باللسان إلا وهو كافر بقلبه ، ذكره الماوردي عن الحسن أيضا .) ومعلوم أن النطق باللسان جزء من الإيمان ، والتصديق بالقلب جزء ثان من الإيمان ، والالتقياد بالجوارح جزء ثالث من الإيمان ، لا يصدق مسمي مؤمن علي بشر إلا إذا استكمل الثلاثة أجزاء معا - أو ما بلغه منه وقدر عليه - وعليه فمشركوا العرب نطقوا باللسان فحصلوا شيئا من الإيمان في شيء من مسألة من مسائل الربوبية أو الألوهية ! فكيف يقال أنهم آمنوا بالربوبية؟! ياللعجب ، أصدق علي شيء من شيء من شيء اسم الكل؟! كلا والله .

وقوله - القرطبي - رحمه الله : (وقال عطاء: هذا في الدعاء، وذلك أن الكفار ينسئون ربهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء، بيانه: " وظنوا أنهم أحيط بهم " ¹ الآية. وقوله: " وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه " ² الآية. وفي آية أخرى: " وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض " ³) وفي تأويل عطاء رحمه الله بيان أن إيمانهم وشركهم المذكور في الآية في الدعاء الذي هو شيء

¹ [سورة يونس: 22]

² [سورة يونس: 12]

³ [سورة فصلت: 51]

من الألوهية ، فيدعونه وقت الشدة وذاك إيمانهم في زعمهم وهُوَ في الحقيقة إقرار بالله واعتراف به لأنه مشوب بشرك فلا يصدق عليه حقيقة الإيمان حتي في هذه الجزئية ، وينسونه وقت الرخاء وهذا كفرهم الصريح مع علمهم بألوهيته تبارك وتعالى .

وفي هذا أيضا رد صريح علي من يطلق إيمانهم في الربوبية وكفرهم في الألوهية ، فهم - أمامك يا عبد الله - قد اعترفوا بالألوهية وأشركوا في ذات الوقت ، فكيف لا تكون دقيقا وتصفهم بحقيقة حالهم وتقول أنهم أقروا بمسائل من الألوهية وأشركوا في مسائل فصاروا مشركين ؟! ، وكذلك أقروا بمسائل في الربوبية وأشركوا في مسائل فصاروا مشركين ؟! .

وأما علي قياسك - الفاسد - من زعمك كونهم مؤمنين بالربوبية لمجرد اقرارهم ببعض مسائلها فعممتها علي الكل يلزمك أن تزعم - سيرا علي قاعدتك - انهم أيضا آمنوا بالألوهية لأنهم أقروا ببعض مسائلها وأشركوا ببعضها ، وإن فرقت بين المثالين فلست مستقيما في طرحك .

وقوله - القرطبي - رحمه الله : (وقيل: معناها أنهم يدعون الله يُنجيهم من الهلكة، فإذا أُنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل علينا اللص، ونحو هذا، فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان، ووقايتُه منسوبة إلى الكلب.) فيه إثبات لمسألة الدعاء وقت الشدة والجحود وقت الرخاء ، ومنه كما أسلفنا إثبات إقرار بمسألة من مسائل الألوهية .

وقوله - القرطبي - رحمه الله : (وقيل: نزلت هذه الآية في قصة الدخان، وذلك أن أهل مكة لما غشيهم الدخان في سني القحط قالوا: "ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون" ¹ فذلك إيمانهم، وشركهم عودهم إلى الكفر بعد كشف العذاب، بيانه قوله: "إنكم عائدون" ² والعود لا يكون إلا بعد ابتداء، فيكون معنى: "إلا وهم مشركون" أي إلا وهم عائدون [إلى الشرك] ، فانظر ياخا الإسلام ، كيف خاطبهم الله تعالى بما ادعوه وزعموه حين قالوا في دعائهم (إنا مؤمنون) فقال الله

¹ [سورة الدخان: 12]

² [سورة الدخان: 15]

تَعَالَى رَادَا عَلَيْهِمْ إِيمَانَهُمْ وَشُرَكَهُمْ بِقَوْلِهِ (إِنَّكَ عَائِدُونَ) أَي إِلَى الشَّرِكِ فَلَمْ تَخْرُجُوا مِنْهُ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) .

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : وَمَا يُقَرَّرُ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ - الَّذِينَ وَصَفَ عَزَّ وَجَلَّ صِفَتَهُمْ بِقَوْلِهِ : (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) - بِاللَّهِ أَنَّهُ خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ - (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) ، فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ ، وَاتِّخَاذِهِمْ مِنْ دُونِهِ أَرْبَابًا ، وَزَعْمَهُمْ أَنَّ لَهُ وَلَدًا ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

* ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) الْآيَةُ ، قَالَ : مِنْ إِيمَانِهِمْ ، إِذَا قِيلَ لَهُمْ : مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْجِبَالَ ؟ قَالُوا : اللَّهُ . وَهُمْ مُشْرِكُونَ .

وَعَنْ عِكْرَمَةَ ، فِي قَوْلِهِ : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) ، قَالَ : تَسَاءَلَهُمْ : مَنْ خَلَقَهُمْ ؟ وَمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَيَقُولُونَ : اللَّهُ . فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ بِاللَّهِ ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ .

وَعَنْ عِكْرَمَةَ : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) الْآيَةُ ، قَالَ : يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ ، وَأَنَّهُ خَلَقَهُمْ ، وَهُمْ يَشْرِكُونَ بِهِ .

وَعَنْ عِكْرَمَةَ : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) ، قَالَ : مِنْ إِيمَانِهِمْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ : مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ؟ قَالُوا : اللَّهُ . وَإِذَا سَأَلُوا : مَنْ خَلَقَهُمْ ؟ قَالُوا : اللَّهُ . وَهُمْ يَشْرِكُونَ بِهِ بَعْدَ .

وَعَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : هُوَ قَوْلُ اللَّهِ : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) ¹ . فَإِذَا سَأَلُوا عَنِ اللَّهِ وَعَنْ صِفَتِهِ ، وَصَفُوهُ بِغَيْرِ صِفَتِهِ ، وَجَعَلُوا لَهُ وَلَدًا ، وَأَشْرَكُوا بِهِ .

¹ [سورة لقمان: 25 / سورة الزمر: 38]

وعن مجاهد ، قوله: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، إيمانهم قولهم: الله خالقنا، ويرزقنا ويميتنا.

وعن مجاهد: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، فإيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا.
وعن مجاهد: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا ،
فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره.

وعن مجاهد: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قَالَ: إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا
وعن مجاهد ، قَالَ: يقولون: "الله ربنا ، وَهُوَ يرزقنا" ، وهم يشركون به بعدُ.
وعن مجاهد قَالَ: إيمانهم قولهم: الله خالقنا، ويرزقنا ويميتنا.

وعن عكرمة ومجاهد، وعامر: أنهم قالوا في هذه الآية: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ،
قَالَ: ليس أحد إلا وَهُوَ يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض ، فهذا إيمانهم ، ويكفرون بما
سوى ذلك.

وعن قتادة ، قوله: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، في إيمانهم هذا. إنك لست تلقي
أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وَهُوَ الذي خلقه ورزقه ، وَهُوَ مشرك في عبادته.
وعن قتادة: (وما يؤمن أكثرهم بالله) الآية ، قَالَ: لا تسأل أحدًا من المشركين: مَنْ رَبُّكَ؟ إِلا قَالَ:
رَبِّي الله! وَهُوَ يشرك في ذلك.

وعن ابن عباس قوله: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، يعني النصراني ، يقول: (وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ)¹ ، (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ)² ،
ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والأرض؟ ليقولن: الله. وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره،
ويسجدون للأنداد دونه؟

¹ [سورة لقان: 25 / سورة الزمر: 38]

² [سورة الزخرف: 87]

وعن الضحاك ، قَالَ: كانوا يشركون به في تلبيتهم.

وعن عطاء: (وما يؤمن أكثرهم بالله) ، الآية ، قَالَ: يعلمون أن الله ربهم ، وهم يشركون به بعدُ.
وعن عطاء ، في قوله: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) ، قَالَ: يعلمون أن الله خالقهم
ورازقهم ، وهم يشركون به.

وقال ابن زيد رحمه الله: (وما يؤمن أكثرهم بالله) ، الآية ، قَالَ: ليس أحدٌ يعبد مع الله غيره إلا
وهو مؤمن بالله ، ويعرف أن الله ربه ، وأن الله خالقه ورازقه ، وهو يشرك به. ألا ترى كيف قال
إبراهيم: (أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ)¹ ؟ قد عرف
أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون. قَالَ: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به. ألا ترى كيف
كانت العرب تليّ تقول: "لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما
ملك" ؟ المشركون كانوا يقولون هذا.)² انتهى بتصرف .

فتأمل رَحِمَكَ اللهُ كيف فهم الإمام الطبري نقولاته عن أئمة التفسير ثم عبر عنه بقوله (وما يُقَرُّ أكثر
هؤلاء بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء - (إلا وهم مشركون) ، في عبادتهم الأوثان والأصنام
، واتخاذهم من دونه أرباباً ، وزعمهم أن له ولداً ، تعالى الله عما يقولون.) فذكر أن ما يسمونه إيماناً
هو إقرارهم بمسألة الخلق والرزق والتدبير وشركهم في باقي مسائل الربوبية ومسائل الألوهية .
وأما وقوف الأئمة علي حد اللفظ (يؤمن) وقولهم به فليس علي عمومه في مسائل الربوبية ، بل كما
صرحوا في المسائل التي ورد ذكرها في القرآن وأقر بها المشركون ، وعليه فيجب علي من أراد
الوقوف علي لفظ (الإيمان) فيجب عليه أن يقيد هذا الإيمان بالمسائل التي ذكرها ربنا تبارك وتعالى
وقيدها الأئمة كما رأيت . من مثل أقوالهم (إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا) فإذا سئلوا عن
الله وعن صفته ، وصفوه بغير صفته ، وجعلوا له ولداً ، وأشركوا به وهذا شرك في الربوبية .

¹ [سورة الشعراء: 75-77]

² جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري (16 / 286 - 289) بتحقيق أحمد محمد شاكر .

قَالَ البغوي رحمه الله : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } فكان من إيمانهم إذا سُئِلُوا: مَنْ خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم: مَنْ ينزل القطر؟ قالوا: الله، ثم مع ذلك يعبدون الأصنام ويشركون¹.

وعن ابن عباس أنه قال: إنها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون في تلبيتهم، لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك².

وقال عطاء رحمه الله : هَذَا فِي الدَّعَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ نَسُوا رَبَّهُمْ فِي الرِّخَاءِ، فَإِذَا أَصَابَهُمُ الْبَلَاءُ أَخْلَصُوا فِي الدَّعَاءِ³، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَحْبَبَ إِلَيْهِمْ دَعْوَةَ اللَّهِ مَخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }⁴ الآية وَقَالَ تَعَالَى: { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }⁵، وغير ذلك من الآيات.)⁶ انتهى .

وقال الزمخشري رحمه الله⁷ : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ فِي إِقْرَارِهِ بِاللَّهِ وَبأنه خلقه وخلق السموات والأرض، إلا وهو مشرك بعبادته الوثن، وعن الحسن: هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم الذين يشبهون الله بخلقه.)⁸ انتهى .

وقال الماتريدي رحمه الله¹ : (يَحْتَمِلُ هَذَا وَجْهَيْنِ:

¹ وهو مروى عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وعطاء والشعبي وقتادة والضحاك وابن زيد. انظر: تفسير الطبري: 16 / 286-288، ابن كثير: 2 / 495، الدر المنثور 4 /

593. (معالم التنزيل (4 / 283) بتحقيق: مُحَمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش)

² ثبت ذلك في الصحيحين، وفي صحيح مسلم: (2 / 843) أنهم كانوا إذا قالوا: لبيك لا شريك لك. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ويلكم قد قد" (أي: حسبكم لا تزيديا على هذا) فيقولون: إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. هذا، ولم تذكر هذه الأحاديث أن الآيات نزلت في ذلك. فهي حكاية عن حالهم في الجاهلية وتلبيتهم هذه.

وانظر: تفسير ابن كثير: 2 / 495. (معالم التنزيل (4 / 283) بتحقيق: مُحَمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش)

³ انظر: البحر المحیط: 5 / 351. وهذه الأقوال التي تقدمت وغيرها من الأقوال الأخرى المروية، داخلة كلها في عموم الآية الكريمة، ولا تنافي بينها، فذلك كله كان واقعاً منهم، فالآية تحكي هذا كله. (معالم التنزيل (4 / 283) بتحقيق: مُحَمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش)

⁴ (سورة يونس -22)

⁵ (سورة العنكبوت -65)

⁶ معالم التنزيل (4 / 283)

⁷ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)

⁸ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2 / 508)

أحدهما: في الاعتقاد؛ أي: وما يؤمن أكثرهم بالله بأنه الإله؛ إلا وهم مشركون الأصنام والأوثان في التسمية، وسموها آلهة؛ كقوله - تعالى - : (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا)².

والثاني: إشراك في الفعل؛ أي: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم عبدوا غيره؛ من الأصنام والأوثان، أو أن يكون (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) بلسانهم (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) بقلوبهم أو يقول: وما يؤمن أكثرهم بالله في النعمة أنها من الله تعالى؛ إلا وهم مشركون في الشكر له تعالى.³

وقال ابن كثير رحمه الله: (يُجْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ غَفْلَةِ أَكْثَرِ النَّاسِ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ، وَدَلَائِلِ تَوْحِيدِهِ، بِمَا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ كَوَاكِبِ زَاهِرَاتٍ وَأَفْلَاكِ دَائِرَتٍ؛ وَحَدَائِقِ وَجَنَاتٍ، وَجِبَالِ رَاسِيَاتٍ، وَبِحَارِ زَاخِرَاتٍ، وَحَيَوَانَ وَنَبَاتٍ، فَسَبْحَانَ الْوَاحِدِ الْوَاحِدِ خَالِقِ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ، الْمُنْفَرِدِ بِالِدَوَامِ وَالْبَقَاءِ وَالصَّمْدِيَةِ لِلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَقَوْلِهِ: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ إِيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَمَنْ خَلَقَ الْجِبَالَ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَهُمْ مُشْرِكُونَ بِهِ (وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَعِكْرَمَةُ وَالشَّعْبِيُّ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ). وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَّتِهِمْ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ، إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَالُوا لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ قَدْ» أَيَّ حَسْبُ حَسْبُ لَا تَزِيدُوا عَلَيَّ هَذَا، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} قَالَ: ذَلِكَ الْمُنَافِقُ يَعْمَلُ إِذَا عَمِلَ رِيَاءَ النَّاسِ، وَهُوَ مُشْرِكٌ بِعَمَلِهِ ذَلِكَ، يَعْنِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

¹ مُحَمَّدٌ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتَرِيدِيُّ (المتوفى: 333هـ)

² سورة الاسراء 42 .

³ تفسير الماتريدي المسمي (تأويلات أهل السنة) (6 / 296) بتحقيق د. مجدي باسلوم .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»¹ ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ أَبِي فَضَالَةَ قَالَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأُولَى وَالْآخِرِينَ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، يُنَادِي مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشَّرْكَاءَ عَنِ الشَّرْكِ»² وَقَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ»، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَازَ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟». وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ قَالَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ وَإِذَا أَخَذْتُ مَضْجَعِي، قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه»³) انتهى بتصرف .

وَقَالَ التَّسْتَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (قوله تعالى : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } يعني شرك النفس الأمانة بالسوء كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الشرك في أمي أخفى من ديب النمل على الصفا » ، هذا باطن الآية ، وأما ظاهرها مشركو العرب يؤمنون بالله ، كما قال : { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ }⁴ وهم مع ذلك مشركون يؤمنون ببعض الرسل ولا يؤمنون ببعضهم .⁵)

¹ (أخرجه مسلم)

² (أخرجه الإمام أحمد في المسند).

³ مختصر تفسير بن كثير للصابوني (2 / 264 - 265)

⁴ [سورة الزخرف : 87]

⁵ تفسير التستري 1 / 245 .

وقال الماوردي ¹ رَحْمَةُ اللَّهِ عند تفسير هذه الآية : (فيه خمسة أوجه: أحدها: أنه قول المشركين الله ربنا وآلهتنا ترزقنا ، قاله مجاهد. الثاني: أنه في المنافقين يؤمنون في الظاهر رياء وهم في الباطن كافرون بالله تعالى ، قاله الحسن. الثالث: هو أن يشبه الله تعالى بخلقه ، قاله السدي. الرابع: أنه يشرك في طاعته كقول الرجل لولا الله وفلان لهلك فلان ، وهذا قول أبي جعفر. الخامس: أنهم كانوا يؤمنون بالله تعالى ويكفرون بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلا يصح إيمانهم حكاة ابن الأنباري.)²

وفي تفسير القرآن ³ للغز ابن عبد السلام ⁴ رَحْمَةُ اللَّهِ : ({مُشْرِكُونَ} يقولون: الله ربنا وآلهتنا ترزقنا، أو المنافق يؤمن بظاهره ويكفر بباطنه " ح " ، أو قول الرجل لولا الله وفلان لهلك فلان.)⁵ انتهى .

وقال الألويسي رَحْمَةُ اللَّهِ : (وقيل : أشركوا بالتبني واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً . وقيل : هم الكفار الذين يخلصون في الدعاء عند الشدة ويشركون إذا نجوا منها وروي ذلك عن عطاء ، وقيل : هم الثنوية قالوا بالنور والظلمة . وقيل : هم المنافقون جهروا بالإيمان واخفوا الكفر ونسب ذلك للبلخي ، وعن الخبر أنهم المشبهة آمنوا مجملاً وكفروا مفصلاً . وعن الحسن أنهم المرأون بأعمالهم والرياء شرك خفي ، وقيل : هم المناظرون إلى الأسباب المعتمدون عليها ، وقيل : هم الذين يطيعون الخلق بمعصية الخالق ، وقد يقال نظراً إلى مفهوم الآية : إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقته مثلاً وكان مرتكباً ما يعد شركاً كيفما كان ، ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها المعقدون

¹ هو أبو الحسن علي بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) .

² تفسير الماوردي المسمى " النكت والعيون " (3 / 87) بتحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .

³ وهو اختصار لتفسير الماوردي .

⁴ هو أبو مُحمَّد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)

⁵ تفسير القرآن (مختصر تفسير الماوردي) للغز بن عبد السلام (2 / 142) بتحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهي .

للنفع والضرر ممن الله تعالى أعلم بحاله فيها وهم اليوم أكثر من الدود ، واحتجت الكرامية بالآية على أن الإيمان مجرد الإقرار باللسان وفيه نظر .)¹ انتهى .

وقال السعدي² رحمه الله : ({ وَكَأَيِّنْ { أَي: وم { مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا } دالة لهم على توحيد الله { وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ } ومع هَذَا إن وجد منهم بعض الإيمان فلا { يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، فإنهم يشركون في ألوهية الله وتوحيده، فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه الحال لم يبق عليهم إلا أن يجلب بهم العذاب، ويفجأهم العقاب وهم آمنون،)³ انتهى .

وفي المنتخب⁴ عند تفسير هذه الآية : (106- وفيهم مصدقون بالله معترفون بربوبيته وأنه خالق كل شيء ، ولكن إيمان أكثرهم لا يقوم على أساس سليم من التوحيد ، فلا يعترفون بوحدانية الله اعترافاً خالصاً ، ولكنه مقترن في نفوسهم بشوائب تسلكهم في مسلك المشركين .)⁵ انتهى .

قال الأخ أبو معاذ الأثري⁶ وفقه الله : (ثم هنا أمر لابد من تقريره وإيضاحه وهو أن قول أهل العلم عن المشركين بأنهم يعترفون بتوحيد الربوبية ليس المراد به أنهم اعترفوا بهذا القسم من التوحيد على التمام والكمال ، فمشركو العرب مع توحيدهم الله وإقرارهم له سبحانه في (أصل) توحيد الربوبية إلا أنهم كانوا واقعين في (أفراد) من الشرك فيه فهم يقرون بصفات الربوبية من حيث الجملة لكن قد يقعون في بعض أفراد هذه الصفات فمثلاً إنكارهم للبعث دليل على خلل ونقص في إثباتهم لصفة القدرة المطلقة لله عزوجل على التمام والكمال فهم يثبتون أصل القدرة لله تعالى باعتقادهم أن الله الخالق الرازق المدبر المالك ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وسخر الشمس و

¹ تفسير الآلوسي المسمى " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " (9 / 150) .

² هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)

³ تفسير السعدي المسمى " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " (1 / 406) بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويجق .

⁴ إعداد لجنة من علماء الأزهر الشريف .

⁵ تفسير المنتخب المسمى " المنتخب في تفسير القرآن الكريم " (1 / 400)

⁶ أحد الإخوة في ملتقى أهل الحديث .

القمر وأنه يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ... وكل ذلك يستلزم إثبات القدرة لله عز وجل لكن انكروا فردا من أفراد القدرة وَهُوَ البعث بعد الموت ولا يلزم ذلك إنكارهم للقدرة في الجملة. ثم إن هَذَا أيضاً ليس حكماً عاماً مطرداً على جميع المشركين إذ منهم من وجد عنده حتى الشرك في الرُّبُوبِيَّةِ، ومنهم من آمن ببعض خصائص الرُّبُوبِيَّةِ دون بعض، ومنهم من كان يؤمن إضافة إلى إيمانه بوجود الله الخالق الرازق بالمعاد وبعث الأبدان والحساب، كما قال زهير ابن أبي سلمى في معلقته المشهورة:

فلا تكتمنَّ الله ما في نفوسكم ... ليخفى فمهما يكتم الله يعلم
يوخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم حساب أو يعجل فينقم
قال ابن كثير وقد أورد هذين البيتين:

"فقد اعترف هَذَا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات وبالمعاد وبالجزاء وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامة" ¹ .

وقال ابن جرير: "وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ... ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامة ابن جندل الطهوي:

عجلم علينا عجلتينا عليكم ... وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق" ² .

والشواهد على هَذَا كثيرة، ومع ذلك فهم مشركون لأنهم يعبدون مع الله غيره ³ .

1 (تفسير ابن كثير (238/4))

2 تفسير ابن جرير (58/1))

3 (الأخ أبو معاذ الأشري / موضوع: بيان اعتراف المشركين بتوحيد الرُّبُوبِيَّةِ ، منشور في ملتقى أهل الحديث)

مبحث في ذكر معني الإيمان في الآية " وما يؤمن أكثرهم " وبيان أن المقصود تقريرهم بما يزعمون وليس توصيفهم علي وجه الحقيقة بالإيمان في بعض التوحيد .

وليس المقصود بقوله تعالى : (يؤمن) ظاهر اللفظ أنهم مؤمنون بالله تعالى كما يفهم البعض ! ، ولكن المراد تقريرهم بما زعموه إيماناً وفي ذات الآية بين الله تعالى المراد بأن ما يزعمونه إيمان هو غير مكتمل بإشراكهم بالله تعالى في مسائل أخرى .

قال ابن الجوزي¹ رحمه الله : (فإن قيل كيف وصف المشرك بالإيمان ؟ فالجواب : أنه ليس المراد به حقيقة الإيمان وإنما المعنى أن أكثرهم مع إظهارهم الإيمان بألسنتهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون)² فلا يحتاج أحد بنسبتهم إلي الإيمان في باب عظيم من أبواب الإيمان - وهو باب الرُبُوبِيَّة - استشهاداً بهذه الآية ، لأن اللفظ ليس علي ظاهره ، بل له معني مراد وهو تقريرهم والإنكار عليهم .

وظهر ذلك الفهم جلياً من خلال جمع أقوال العلماء بعضها إلي بعض .

حيث دارت مجمل أقوال المفسرين والعلماء رحمهم الله حول أنهم أقرروا ببعض المسائل التي سموها إيماناً ، وهي في الحقيقة جزء من الإيمان إن استكملوه ، ولا قيمة لها ولا كرامة إن انفردت كما كان حالهم ! فاحتج الله تعالى عليهم بما زعموه من إيمان علي كفرهم في واقع أمرهم .

ومعلوم أن النطق باللسان جزء من الإيمان ، والتصديق بالقلب جزء ثان منه ، والانقياد بالجوارح جزء ثالث ، ولا يصدق مسمي مؤمن علي بشر إلا إذا استكمل الثلاثة أجزاء معا - أو ما بلغه منه وقد ر عليه - وعليه فمشركوا العرب نطقوا باللسان فصلوا شيئاً من الإيمان في شيء من مسألة من مسائل الرُبُوبِيَّة أو الألوهِيَّة ! ولهذا عبر المتقدمون بقولهم عندهم إيمان في كذا وكذا - فحددوا المسائل

1 عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي.

2 زاد المسير في علم التفسير (4 / 476).

ولم يطلقوا الإيمان علي توحيد الربوبية بالكامل - أي شيء من إيمان . فكيف يقال أنهم آمنوا بالربوبية ؟! يا للعجب ، أصدق علي شيء من شيء من شيء اسم الكل ؟! كلا والله .

وفي هذا أيضا رد صريح علي من يطلق إيمانهم في الربوبية وكفرهم في الألوهية ، فقد اعترفوا بالألوهية وأشركوا في ذات الوقت ، فكيف لا تكون دقيقا وتصفهم بحقيقة حالهم وتقول أنهم أقروا بمسائل من الألوهية وأشركوا في مسائل فصاروا مشركين ؟! ، وكذلك أقروا بمسائل في الربوبية وأشركوا في مسائل فصاروا مشركين ؟! .

فصل في ذكر أمثلة من إقرار بعض مشركي العرب لله تعالى بالألوهية :

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد من العبادة والدعاء والصلاة والصيام والحج والزكاة والصدقة والذبح والنذر والخوف والرجاء والاستعانة والاستغاثة والتضرع والإنابة والمراقبة والركوع والسجود والمناجاة وطلب العون والمدد وغير ذلك من أفعال العباد ، فمن آمن بالله تعالى ربا وأدى تلك العبادات له لا شريك له فهو مؤمن بالألوهية ، أما من أقر لله تعالى بهذه المسائل أو بعضها ثم أشرك مع الله تعالى غيره فيها أو في بعضها فقد نقضها وكفر بها وإن نطق بها بلسانه .

وقد ثبت أن مشركي العرب كانوا يعترفون ويقرون لله تعالى بأنه الإله ، ولكنهم كانوا يشركون معه أوثانا وأصناما وغير ذلك ، فأصبحوا مشركين في العبادة شرك وسائط ولذلك لم يقل أحد عنهم أنهم ءامنوا بالله تعالى إلها أو وحدوا الله تعالى بالعبادة ، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء إلى قوم من العرب في الجاهلية كانوا يعرفون الله عز وجل ويؤدون بعض المناسك فكانوا يحجون ويصومون ويصلون. وكانوا يصلون الصلاة، ولكنهم يعبدون أصنامهم وآلهتهم من دون الله، يقولون: { مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى }¹ وكانوا في نسكهم يدعون الله بدعاء يشركون فيه مع الله تعالى وفي تلبيتهم يهلون بتلبيات كثيرة

وورد عن أبي طالب قوله :

ملك الناس ليس له شريك ... هو الوهاب والمبدي المعيد
ومن تحت السماء له بحق ... ومن فوق السماء له عبيد

¹ [سورة الزمر:3]

وفيه ما يدل علي أنهم كانوا يعرفون الله إلهًا مستحقًا للعبادة ويعرفون له أسماء وصفاتاً . لكنهم أشركوا معه غيره فردت عليهم عبادتهم وبعضهم استكبر عن تجريد التوحيد له تعالًى مخالفة مقالة الناس فباء بالخسران والبوار .

قال الشيخ الألباني¹ رحمه الله - مينا أن مشركي العرب كانوا مقرين لله بالألوهية ولكنهم أشركوا فيها فلم يسموا مؤمنين ولا موحدين - : (وكلنا نعرف أن المشركين كانوا يؤمنون بإله خالق الإقالة نادرة جداً أيضاً، أشار إلى ذلك القرآن حيث قال: { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ }² وبين سبب ضلالهم وشركهم أنه بسبب اعتقاد الشفعاء والوسطاء بينهم وبين الله: { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ }³ { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى }⁴ وفي شعر للجاهليين تجد كثيراً لفظة الإله والخالق ويسلمون به، ويعظمونه، ولكنهم يعتقدون أن هذه الأصنام هي وسائط، وهي مقربات لهذا الإله، وأن ذكرها ودعوتها هو ضمان ليستجيب لهم الله دعاءهم ويغيثهم إذا استغاثوا به.)⁵

مبحث في ذكر معرفتهم بأن الله هو الإله المستحق للعبادة وإقرارهم له ببعض مسائل الألوهية .

قال الماتريدي⁶ رحمه الله : (وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)⁷)
يحتمل هذا وجهين: أحدهما: في الاعتقاد؛ أي: وما يؤمن أكثرهم بالله بأنه الإله؛ إلا وهم مشركون الأصنام والأوثان في التسمية، وسموها آلهة؛ كقوله - تعالى - : (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا).

¹ أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ).

² [سورة الزمر: 38].

³ [سورة يونس: 18].

⁴ [سورة الزمر: 3].

⁵ دروس للشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (7/78) بترقيم الشاملة .

⁶ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ).

⁷ سورة يوسف 106.

والثاني: إشراك في الفعل؛ أي: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم عبدوا غيره؛ من الأصنام والأوثان، أو أن يكون (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) بلسانهم (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) بقلوبهم أو يقول: وما يؤمن أكثرهم بالله في النعمة أنها من الله تعالى؛ إلا وهم مشركون في الشكر له تعالى. ¹ انتهى
والشاهد قوله ("وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ " بلسانهم " إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ " بقلوبهم) فهم قد أقروا بالسنتهم ونقضوا إقرارهم بإنكارهم مسائل أخرى من نفس الباب بالسنتهم وتخلفوا عن اعتقادهم بقلوبهم وعن انسياقهم أفعالهم، ثم صرح الشيخ بأنهم أقروا بالألوهية لله تعالى ولكن إقرارهم لم يكن كاملا من الأصل فلم يعد إيمانا، وذلك في قوله: (وما يؤمن أكثرهم بالله بأنه الإله؛ إلا وهم مشركون الأصنام والأوثان في التسمية، وسموها آلهة)، فالتلفظ باللسان ليس إيمانا، بل هو جزء من الإيمان، فمن تلفظ بلسانه وخالف ذلك قلبه أو تنكبت عن طريق العمل جوارحه فليس بمؤمن ولا يطلق عليه مؤمنا.

مبحث في ذكر قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في معرفة المشركين للألوهية .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ² رحمه الله: - (وآخر الرسل محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله. يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس وغيرهم من الصالحين. فبعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم - عليه السلام - ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق لله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرها.) ³

¹ تفسير المازني (تأويلات أهل السنة) 6 / 295 . بتحقيق د. مجدي باسلوم.

² محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التيمي النجدي (المتوفى: 1206هـ).

³ كشف الشبهات - الفصل الأول.

و قال أيضا : - (كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلا ونهارا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقرهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات، أو نبيا مثل عيسى . وعرفت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده) وفي ذلك تصريح من الشيخ أن مشركي العرب كانوا يعرفون أنواعا من العبادة ولكنهم كانوا مشركين في الألوهية ! فلماذا رددنا اعترافهم ببعض مسائل الألوهية ؟! لأنهم اتخذوا مع الله أندادا ! ولم نرد اعترافهم بالربوبية مع أنهم أيضا اتخذوا أندادا وأشركوا في بعض مسائلها ولم يكن إقرارهم خالصا!؟ ومن ذلك يعلم فساد تقرير أنهم آمنوا بالربوبية ولم يؤمنوا بالألوهية والصواب أنهم أقروا ببعض مسائل الربوبية والألوهية وأنكروا ومجدوا مسائل أخرى من الربوبية والألوهية . فهنا قد أثبت الشيخ أن مشركي الجاهلية كانوا عارفين أنواعا من العبادات يتقربون بها لله تعالى ولكنهم يجعلون معه شريكا يتخذونه شفيعا لهم عند الله ! فلما عبدوا الله تعالى غير مخلصين العبادة له تعالى لم يعتد بتلك العبادة بل كانت كالعدم ، وما أظهر شركهم إلا معاندتهم الصريحة وما يلزم إقرارهم وانقيادهم لتلك العبادة ! فلما رأوا أن لتلك العبادة لوازم صرحوا بأنهم لها منكرين ولطريقها متنكبين ، ولما كانت لوازم إقرارهم بالربوبية خافية ولم تكن بالصرحة والظهور مثل لوازم الألوهية أقروا بالربوبية ولم يتحملوا عناء الصراحة بإنكارها ، وإلا فهم لم يلتزموا لوازم إقرارهم ! ما يدل علي أنهم غير معتقدينها يقينا ! ولا تظنهم جملة غير مدركين لمعاني كلامهم ولا للوازمه ! بل هم من أفطن الناس وأعلمهم بلغة العرب وأثقلهم في التلاعب بألفاظها وأرسخهم قدما في استخراج ما يريدون باللفظ الذي يريدون !

مبحث في ذكر قسم بعض المشركين بالله تعالى .

وقد وقع القسم بالله من مشركي العرب في كلامهم وهذا أكثر من أن يحصر وأشهر من أن ينكر ، وهذا إن دل فإنما يدل علي معرفتهم بالوهية الله تعالى ولكنهم لم ينتفوها لله تعالى ولم يجعلوها له خالصة فردت عليهم ، ومن تلك الأمثلة ما يلي .

قال الإمام أبو بكر ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ¹ (37833- حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ ، عَنْ أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ حَازِمٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ بَدْرًا وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرٌ ، فَقَالَ : إِنَّ يَكُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ ، إِنْ يُطِيعُوهُ يَرْتُدُّوا ، فَقَالَ عُتْبَةُ : أَطِيعُونِي ، وَلَا تُقَاتِلُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ لَمْ يَزَلْ ذَاكَ فِي قُلُوبِكُمْ ، يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى قَاتِلِ أَخِيهِ وَقَاتِلِ أَبِيهِ ، فَاجْعَلُوا فِيَّ جُنْبَهَا وَارْجِعُوا .

قال : فَبَلَغَتْ أَبَا جَهْلٍ ، فَقَالَ : انْتَفَخَ **وَاللَّهِ** سَحْرُهُ حَيْثُ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ، **وَاللَّهِ** مَا ذَاكَ بِهِ ، وَإِنَّمَا ذَاكَ لِأَنَّ ابْنَهُ مَعَهُمْ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَلَتْ جُزُورًا لَوْ قَدِ التَّقِينَا ، قَالَ : فَقَالَ عُتْبَةُ : سَيَعْلَمُ الْمُصَفِّرُ اسْتِهِ مِنَ الْجَبَانِ الْمُسْفِدِ لِقَوْمِهِ ، **أَمَا وَاللَّهِ** إِنِّي لَأَرَى تَحْتَ الْقِشْعِ قَوْمًا لَيَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبًا يَدْعُونَ لَكُمْ الْبَقِيعَ ، **أَمَا تَرَوْنَ كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ رُؤُوسُ الْأَفَاعِي** ، وَكَأَنَّ وُجُوهُهُمْ السُّيُوفُ ؟ قَالَ : ثُمَّ دَعَا أَخَاهُ وَابْنَهُ وَمَشَى بَيْنَهُمَا ، حَتَّى إِذَا فَصَلَ مِنَ الصَّفِّ دَعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ .

37834- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ ، عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، فَأَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا اجْتَوَيْنَاهَا وَأَصَابْنَا وَعَاكُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرِ ، قَالَ : فَلَمَّا بَلَّغْنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا ، سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَدْرِ ، وَبَدْرُ بَدْرٍ ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهَا ، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ

¹ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبَةَ العسبي الكوفي (159 - 235 هـ) صاحب المصنف .

مِنْهُمْ : رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَوْلَى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَأَنْقَلَتِ إِلَيْهَا ، وَأَمَّا الْمَوْلَى فَأَحْذَنَاهُ ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ لَهُ : كَمْ الْقَوْمُ ؟ فَيَقُولُ : هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ ، شَدِيدٌ بِأَسْهُمٍ ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرْبُوهُ ، حَتَّى اتَّهَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : كَمْ الْقَوْمُ ؟ فَقَالَ : هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ ، شَدِيدٌ بِأَسْهُمٍ ، فَجَهَدَ الْقَوْمُ عَلَى أَنْ يُخْبِرَهُمْ كَمْ هُمْ ، فَأَبَى . ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ : كَمْ يَنْحَرُونَ ؟ فَقَالَ : عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْقَوْمُ أَلْفٌ ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِئَةٍ وَتَبِعَهَا .

ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَتْهُ مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ ، فَأَنْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتِظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ ، قَالَ : وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَتِيذٍ يَدْعُو رَبَّهُ ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى : الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّهِ ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ جَمْعَ قُرَيْشٍ عِنْدَ هَذِهِ الصَّلَاةِ الْحَمْرَاءِ مِنَ الْجَبَلِ ، فَلَمَّا أَنْ دَنَا الْقَوْمُ مِنَّا وَصَافَفْنَاهُمْ ، إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي الْقَوْمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَلِيُّ ، نَادِ لِي حَمْرَةَ ، وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَى الْمُشْرِكِينَ : مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ ، وَمَا يَقُولُ لَهُمْ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ يَكُ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ ، فَجَاءَ حَمْرَةَ ، فَقَالَ : هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْقِتَالِ ، وَيَقُولُ لَهُمْ : يَا قَوْمُ ، إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ ، لَا تَصَلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ ، يَا قَوْمُ ، اِعْصِبُوا اللَّوْمَ بِرَأْسِي ، وَقُولُوا : جَبْنُ عُتْبَةَ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنُكُمْ .

فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ : أَنْتَ تَقُولُ هَذَا ، لَوْ عَيْرَكَ قَالَ هَذَا أَعْضَضْتُهُ ، لَقَدْ مَلَأْتُ رِثَتَكَ وَجَوْفَكَ رُعْبًا ، فَقَالَ عُتْبَةُ : إِيَّايَ تَعِيرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ ، سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَيُّنَا أَجْبَنُ ؟ .

قَالَ : فَبَرَزَ عُتْبَةُ ، وَأَخُوهُ شَيْبَةُ ، وَابْنُهُ الْوَلِيدُ حَمِيَّةً ، فَقَالُوا : مَنْ مُبَارِزٌ ؟ فَخَرَجَ فَنِيَّةً مِنَ الْأَنْصَارِ سِتَّةً ، فَقَالَ عُتْبَةُ : لَا نَزِيدُ هَوْلَاءِ ، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمَمًا ، مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، قَالَ :

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُمْ يَا عَلِيُّ ، قُمْ يَا حَمْزَةُ ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ ، فَقَتَلَ اللَّهُ عُنْتَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَجِرْحَ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ ، فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسْرْنَا سَبْعِينَ .

قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ أَسِيرًا ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : إِنَّ هَذَا **وَاللَّهِ** مَا أَسْرَنِي ، لَقَدْ أَسْرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقٍ ، مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : أَنَا أَسْرَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَسْكُتْ ، لَقَدْ أَيْدَكَ اللَّهُ بِمَلِكٍ كَرِيمٍ ، قَالَ عَلِيُّ : فَأَسِرَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْعَبَّاسُ ، وَعَقِيلٌ ، وَنَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ .¹ فهؤلاء الكفرة يحلفون بالله تعالى وهم علي كفرهم لعلمهم بجلالة الحلف بالله تعالى ومن المعلوم أن الحلف من باب الألوهية وليس من باب الربوبية ولذلك فمن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك في ألوهية الله تعالى .

ومثال آخر :- في قصة عروة بن مسعود مع النبي صلي الله عليه وسلم في صلح الحديبية (فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ أَيُّ مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاكَ أَهْلُهُ قَبْلَكَ وَإِنْ تَكُنُ الْأُخْرَى فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى وَجُوهَهَا وَأَرَى أَوْبَاشًا مِنَ النَّاسِ خُلُقًا أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعُوكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْضُ بَطْرَ اللَّاتِ نَحْنُ نَفِرُ عَنْهُ وَنَدْعُهُ فَقَالَ مَنْ ذَا قَالُوا أَبُو بَكْرٍ قَالَ **أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ** لَوْلَا يَدُكَ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَتِكَ)²

وفي روايات أخرى :- ((لَكَانِي بِهِمْ قَدْ انْكَشَفُوا عَنْكَ غَدًا - قَالَ: وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَاعِدًا - فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: امْضُ بَطْرَ اللَّاتِ)⁽³⁾

¹ مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ 14\361 ، تَحْقِيقُ : مُحَمَّدٌ عَوَامَةٌ . بِتَرْقِيمِ الشَّامِلَةِ ، رَفْعًا لِحِزْبِهَا وَصَفْحَةً يَتَوَافَقَانِ مَعَ طَبْعَةِ الدَّارِ السُّلْفِيَّةِ الْهِنْدِيَّةِ الْقَدِيمَةِ . تَرْقِيمُ الْأَحَادِيثِ يَتَوَافَقُ مَعَ طَبْعَةِ دَارِ الْقُبْلَةِ .

² مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ 18447 .

³ الْبَطْرُ : قِطْعَةٌ تَبْقَى بَعْدَ الْخِتَانِ فِي فَرْجِ الْمَرْءِ ، وَاللَّاتُ : إِسْمُ أَحَدِ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَتْ قُرَيْشٌ وَتَقِيفٌ يَعْبُدُونَهَا ، وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ الشَّمَّ بِذَلِكَ ، لَكِنْ بِلَفْظِ الْأَمِّ ، فَازَادَ أَبُو بَكْرٍ الْمُبَالَغَةَ فِي سَبِّ عُرْوَةَ بِإِقَامَةِ مَنْ كَانَ يُعْبَدُ مَقَامَ أُمِّهِ وَحَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَعْضَبَهُ بِهِ مِنْ نِسْبَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْفَرَارِ . فَتَحَ الْبَارِي لِابْنِ حَجْرٍ - (ج 8 / ص 283)

(أَخْبَرْنَا) ⁽¹⁾ (نَفَرُ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟) ⁽²⁾ (فَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ؟ ، قَالَ: " هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ " ، قَالَ: **وَاللَّهِ لَوْلَا يَدُ** ⁽³⁾ **كَانَتْ لَكَ عِنْدِي**) ⁽⁴⁾ (لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبُثُكَ ⁽⁵⁾ ⁽⁶⁾ (وَلَكِنَّ هَذِهِ بِهَا) ⁷

والأدلة الثابتة من الشرع الحنيف تدل على أن الحلف والقسم من الألوهية وليس من الربوبية وعليه فمن حلف بغير الله فقد خالف في الألوهية .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان هذا المعنى الجليل: «وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحقق هذا التوحيد لأئمة، ويحسم عنهم موارد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا: (لا إله إلا الله) فإن الإله هو الذي تأله القلوب لكامل المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف.

حتى قال لهم: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد)، وقال له رجل: ما شاء الله وشئت فقال: (أجعلني لله نداً بل ما شاء الله وحده) ، وقال: (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) ⁸ وقال: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ) ⁹ ¹⁰ .

مبحث في ذكر معرفتهم الألوهية في الشدة وشركهم في الرخاء .

ومن الأخطاء الشائعة التي يقع فيها كثير من الإخوة عدم تدقيق الكلام في مسائل هذا الباب ! والوقوف على حقيقة معاني ألفاظه ، فمن قائل أن مشركي الجاهلية كانوا مؤمنين بالربوبية - غير مبال

¹ مسند الإمام أحمد 18930

² البخاري 2583 ، مسند الإمام أحمد 18948

³ أي: نعمة .. فتح الباري لابن حجر - (ج 8 / ص 283)

⁴ مسند الإمام أحمد 18930

⁵ أي: جازاه بعدم إجابته عن شئمه بيده التي كان أحسن إليه بها، ويين الزهري في هذا الحديث أن اليد المذكورة أن غزوة كان تحمل بيده فأعانه أبو بكر فيها يعون

⁶ حسن. فتح الباري لابن حجر - (ج 8 / ص 283)

⁷ البخاري 2583 ، مسند الإمام أحمد 18948

⁸ الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (445/9) صهيب عبد الجبار

⁹ متفق عليه، صحيح البخاري (2679)، وصحيح مسلم (1646).

⁹ سنن أبي داود (3251)، وصححه ابن حبان (4358)، وصححه الألباني في السلسلة (2042).

¹⁰ مجموع الفتاوى (1/ 136).

بمعنى كلمة " مؤمن " مع التجاهل لحقيقة معناها وما تطلق عليه ! والحاذق منهم يقول " مقربين بالربوبية " مطلقاً كلمته علي عواهنها من غير تقييد بشيء !

مع أن مشركي العرب لم يشركوا في باب الربوبية كله وكذا فهم لم يقروا بكل مسائل باب الربوبية ، وعليه وجب تقييد إقرارهم بأنه كان في بعض المسائل حتي لا يتوهم البعض أنهم كانوا مقربين بكل مسائل الربوبية ومن ثم يتسلل الفهم الخاطيء - الواقع فعلا عند البعض - بأنهم كانوا مؤمنين بالربوبية !

ثم ينتقل المتحدث إلي القول بأن مشركي الجاهلية كانوا مشركين في الألوهية ! مطلقاً كلمته أيضا من غير تفصيل ولا تقييد ببعض المسائل أو الأوقات ! مع أن حال المشركين لم يكن على هذا الإطلاق أبدا ! فقد كانوا يعرفون بعض مسائل الألوهية ويفعلونها ويشركون ببعض مسائلها الأخرى .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : - (أحدهما: أن الأولين يشركون ويدعون الملائكة

والأولياء والأوثان مع الله في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء. كما قال تعالى: {وَإِذَا

مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}

وقوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - بَلْ إِلَٰهُهُ

تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} ¹ وقوله: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ

دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ} ² إلى قوله: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} ³ وقوله: {وَإِذَا

غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} ⁴ فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه،

وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعون الله ويدعون غيره في

الرخاء، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، تبين له

¹ سورة الأنعام: 40 - 41.

² سورة الزمر: 8.

³ سورة الزمر: 8.

⁴ سورة لقمان: 32 .

الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا، والله المستعان. ¹

فمن صريح كلام الشيخ رحمه الله يفهم أن مشركي الجاهلية كانوا يعرفون ألوهية الله تعالى بل ويخلصون له العبادة والدعاء والتضرع والالتجاء! فلم لم يدقق المتحدث عن إقرارهم وشركهم القول فيقول: "كانوا مقربين بالألوهية وقت الشدة ومشركين بها وقت الرخاء"؟!

مبحث في ذكر صلاة المشركين حول البيت .

أمر الله تعالى كل أمة بالصلاة بكيفية خاصة بها ، فإن قاموا بها كما أمر الله تعالى فقد أسلموا لله تعالى وآمنوا ، وإن صلوا بغير الطريقة التي أمرهم الله تعالى بها فكأنهم لم يصلوا بل أعظموا الفرية على الله تعالى إذ نسبوا عبادة لم يأمرهم بها إليه ، وقد قال الله تعالى مخبرا عن حال عبادة المشركين الباطلة - لأنها على غير هدي - التي كانوا يقومون بها : (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) ² وصلاتهم هذه علي غير مراد الله منهم على الملة الإبراهيمية ، فلذلك ذمها ربنا في كتابة وساقها في معرض النقد . قَالَ مُجَاهِدٌ : يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا بِالْمُكَاءِ وَالتَّصَدِيَةِ وَاللَّغْوِ وَاللَّغَطِ ³ .

قَالَ الطبري ⁴ رَحِمَهُ اللهُ : (عن ابن عباس قوله: "وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصديّة" ، يقول: كانت صلاة المشركين عند البيت "مكاء" = يعني الصفير = و"تصديّة" ، يقول: التصفيق . وعن

¹ كشف الشبهات 34.

² سورة التوبة 35 .

³ تفسير البغوي المسمي "معالم التنزيل في تفسير القرآن" (7 / 175) ، بتحقيق مُحَمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش .

⁴ مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، [224 - 310 هـ]

ابن عمر: "وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصديّة" ، قَالَ: "المكاء" و"التصديّة" ، الصفيّر والتصفيق).¹

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (يعني أن الله تعالى إنما جعل بيته الحرام ليقام فيه دينه، وتخلص له فيه العبادة، فالمؤمنون هم الذين قاموا بهذا الأمر، وأما هؤلاء المشركون الذين يصدون عنه، فما كان صلاتهم فيه التي هي أكبر أنواع العبادات { إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَّةً } أي: صفيرا وتصفيقا، فعل الجهلة الأغبياء، الذين ليس في قلوبهم تعظيم لربهم، ولا معرفة بحقوقه، ولا احترام لأفضل البقاع وأشرفها، فإذا كانت هذه صلاتهم فيه، فكيف ببقية العبادات؟)²

وقال الشعراوي³ رَحِمَهُ اللهُ : (حيث كانت صلاتهم مظهرا من مظاهر اللهو واللعب يؤديونها بالمكاء والتصديّة ، والمكاء هو التصفيق الذي يصفرونه ، والتصديّة هي التصفيق)⁴

مبحث في ذكر حج المشركين بالبيت وطوافهم .

ورد أن مشركي العرب كانوا يحجون إلى البيت الحرام ، ويطوفون حوله وكان هذا إقرارا عمليا منهم لله تعالى بالألوهية ، ولكن حجهم كان علي غير دين وشريعة ، وطوافهم كان كله بدعة وضلالة ، فقد كانوا يطوفون بالبيت عرايا ، ويشركون بالله تعالى حال حجهم وطوافهم ، فبعد الفتح صار الكافر لا يجب ولا يعتمر لأن الله عز وجل قال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا }⁵ وقال تعالى: { وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ } وهذا يدل على أنه لا يجوز دخول المشرك

¹ تفسير الطبري المسمي " جامع البيان في تأويل القرآن " (13 / 523) بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، بتصرف ..

² تفسير السعدي المسمي تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان 320 . بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويجق .

³ هو الإمام محمد متولى الشعراوي ، وزير الأوقاف المصري الأسبق ومن مشاهير علماء مصر في العصر الحديث .

⁴ تفسير الشعراوي (1 / 3269) بترقيم الشاملة .

⁵ سورة التوبة، الآية 28

والكافر إلى مكة، ويشمل ذلك الحج والعمرة، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بعث علياً رضي الله عنه ينادي بنداؤه سنة تسع من الهجرة من ينادي في الحج: ((أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان))¹ ، ولذلك قالوا: لا يدخل الكافر الحج ولا العمرة ومنع المشركون من الحج والعمرة بعد نزول هذه الآية الكريمة².

قال الطبري³ رحمه الله: (وفي السنة التاسعة حج بالناس أبو بكر رضي الله عنه وأردفه بعلي رضي الله عنه يؤذن في الناس بسورة براءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت الحرام عريان)⁴

وقال الإمام الشافعي رحمه الله مقرراً ما كان عليه مشركوا العرب من بعض مسائل توحيد الألوهية: (وَأَمَّا سَائِرُ الْأَزْكَانِ ، مِنْ الزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ ، فَلَا يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ بِهِ ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَحْجُونَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى مَنَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : { لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ . } وَالزَّكَاةُ صَدَقَةٌ ، وَهُمْ يَتَصَدَّقُونَ . وَقَدْ فَرَضَ عَلَى نَصَارَى بَنِي تَغْلِبَ مِنَ الزَّكَاةِ مِثْلِي مَا يُؤْخَذُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَصِيرُوا بِذَلِكَ مُسْلِمِينَ ، وَأَمَّا الصِّيَامُ فَلِكُلِّ أَهْلِ دِينٍ صِيَامٌ ، وَلِأَنَّ الصِّيَامَ لَيْسَ بِفِعْلٍ ، إِنَّمَا هُوَ إِمْسَاكٌ عَنْ أَفْعَالٍ مَخْصُوصَةٍ فِي وَفْتٍ مَخْصُوصٍ ، وَقَدْ يَتَّفِقُ هَذَا مِنَ الْكَافِرِ ، كَاتِفَاقِهِ مِنَ الْمُسْلِمِ ، وَلَا عِبْرَةَ بِنَيْتَةِ الصِّيَامِ ؛ لِأَنَّهَا أَمْرٌ بَاطِنٌ لَا عِلْمَ لَنَا بِهِ ، بِخِلَافِ الصَّلَاةِ ، فَإِنَّهَا أَفْعَالٌ تَتَمَيَّزُ عَنْ أَفْعَالِ الْكُفَّارِ ، وَيَخْتَصُّ بِهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ ، وَلَا يَنْبُتُ الْإِسْلَامَ حَتَّى يَأْتِيَ بِصَّلَاةٍ يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ صَلَاةِ الْكُفَّارِ ، مِنْ اسْتِقْبَالِ قِبْلَتِنَا ، وَالرُّكُوعِ ، وَالسُّجُودِ ، وَلَا يَحْصُلُ بِمَجْرَدِ الْقِيَامِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُومُونَ فِي صَلَاتِهِمْ . وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَصْلِيِّ وَالْمُرْتَدِّ فِي هَذَا ؛ لِأَنَّ

¹ البخاري، فتح الباري (413/8) كتاب الصلاة / باب حج الناس بأبي بكر سنة تسع، ومسلم مع شرح النووي (118/9) كتاب الحج، باب لا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وبيان يوم الحج الأكبر. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

² بتصرف من كلام للشيخ محمد المختار الشنقيطي المدرس بالحرم النبوي، كتاب المناسك من زاد المستقنع

³ محب الدين أبي جعفر بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري 694هـ

⁴ خلاصة سير سيد البشر 63، بتحقيق طلال بن جميل الرفاعي

مَا حَصَلَ بِهِ الْإِسْلَامَ فِي الْأَصْلِيِّ ، حَصَلَ بِهِ فِي حَقِّ الْمُرْتَدِّ كَالشَّهَادَتَيْنِ . فَعَلَى هَذَا ، لَوْ مَاتَ الْمُرْتَدُّ فَأَقَامَ وَرَثَتُهُ بَيْتَهُ أَنَّهُ صَلَّى بَعْدَ رِدَّتِهِ ، حُكْمٌ لَهُمْ بِالْمِيرَاثِ ، إِلَّا أَنْ يَثْبُتَ أَنَّهُ ارْتَدَّ بَعْدَ صَلَاتِهِ أَوْ تَكُونَ رِدَّتُهُ بِجَحْدِ فَرِيضَةٍ ، أَوْ كِتَابٍ ، أَوْ نَبِيِّ ، أَوْ مَلِكٍ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ الَّتِي يَنْتَسِبُ أَهْلُهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ لَا يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ بِصَلَاتِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ وَجُوبَ الصَّلَاةِ ، وَيَفْعَلُهَا مَعَ كُفْرِهِ ، فَاشْبَهَ فِعْلَهُ غَيْرَهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .¹

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)² أَمَرَ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الطَّاهِرِينَ دِينًا وَذَاتًا بِنَفْيِ الْمُشْرِكِينَ ، الَّذِينَ هُمْ نَجَسٌ دِينًا ، عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَاللَّهُ يَقْرُبُهُ بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ . وَكَانَ نَزُولُهَا فِي سَنَةِ تِسْعٍ ؛ وَلِهَذَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا صُحْبَةً أَبِي بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَامِئِدًا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ فِي الْمُشْرِكِينَ : أَلَّا يُحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عَرِيَانًا . فَاتَمَّ اللَّهُ ذَلِكَ ، وَحَكَمَ بِهِ شَرْعًا وَقَدْرًا .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّازِقِ : أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا } إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَبْدًا ، أَوْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ

وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا مِنْ وَجْهِ آخَرَ ، فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ حَدَّثَنَا شَرِيكٌ ، عَنِ الْأَشْعَثِ - يَعْنِي : ابْنَ سَوَّارٍ - عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَدْخُلُ مَسْجِدَنَا بَعْدَ عَامِنَا هَذَا مُشْرِكًا ، إِلَّا أَهْلُ الْعَهْدِ وَخَدَمُهُمْ " ³ تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مَرْفُوعًا ، وَالْمَوْقُوفُ أَصْحَحُ إِسْنَادًا .

¹ المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه (2 / 187) لعلي بن نايف الشحود

² سورة التوبة، الآية 28

³ المسند (392/3) وقال الهيثمي في المجمع (10/4) : "فيه أشعث بن سوار وفيه ضعف وقد وثق".

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْ أَمْنَعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ دُخُولِ مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَتَّبَعَ نَهْيَهُ قَوْلَ اللَّهِ: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} وَقَالَ عَطَاءٌ: الْحَرَمُ كُلُّهُ مَسْجِدٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} .¹

مبحث في ذكر حج قبائل المشركين بيت الله الحرام تعبدا :

وَكَانَتْ قَبَائِلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أُرْسِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ يَحْجُونَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ حَجًّا مُبْتَدِعًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ ، وَمِنْ هَذِهِ الْقَبَائِلِ قَبِيلَةُ عَكٍّ .

وَقَدْ كَانَتْ مَوَاقِفَ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْحَجِّ مَوَاقِفًا مُخْزِيَةً ، وَكَانَتْ خَلِيطًا مَمْرُوجًا مِنَ الْأَضْدَادِ

وَالْمُتَنَاقِضَاتِ ، يَظْهَرُ ذَلِكَ جَلِيًّا فِي الْمَوَاقِفِ الْمُتَكَرِّرَةِ ، فَمِنْ ذَلِكَ -مَثَلًا- : تَلْبِيَّتُهُمْ فِي الْحَجِّ الَّتِي

يَخْلُطُونَ مَعَهَا الشَّرْكَ ، فَيَقُولُونَ: (لَبِيكَ اللَّهُمَّ لَبِيكَ ، لَبِيكَ لَا شَرِيكَ لَكَ) وَهَذَا فِيهِ اعْتِرَافٌ لِلَّهِ

بِالْعِبَادَةِ وَلَكِنْ مَا لَبَثُوا أَنْ نَقِضُوهُ حِينَ أَرْدَفُوا ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ (إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ) فَأَضَاعُوا اعْتِرَافَهُمْ

الْأَوَّلَ وَنَقِضُوهُ ، وَمَعَ اعْتِرَافِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى بِالرُّبُوبِيَّةِ أَيْضًا فِي قَوْلِهِمْ (تَمَلَّكَهُ وَمَا مَلَكَ) فَقَدْ نَقِضُوا ذَلِكَ

الاعتراف بذات الكلمة التي أثبتوا بها لله ملكا حيث أثبتوا للمعبودات الباطلة ملكا مع الله ، فكانوا

يعتقدون أن هذه المعبودات الباطلة هي وما تملكه داخله في ملك الله.

وكانت قبيلة عكٍّ إذا خرجت حاجة قدمت أممها غلامين أسودين من غلمانها ، فكانا أمام ركبهم ،

فيقولان: نحن غرابا عكٍّ ، فتقول عكٍّ من بعدهما:

(عَكٌّ إِلَيْكَ عَانِيَةٌ ، عِبَادَةٌ يَمَانِيَّةٌ ، كَمَا نَحَجُّ الثَّانِيَةَ)

مبحث في ذكر تلبية المشركين حول البيت ودعائهم لله تعالى .

قد ورد أن الكفار من المشركين كانوا يدعون الله تعالى ويلبون حال طوافهم بالبيت العتيق ، وهذا

الدعاء وتلك التلبية من مسائل توحيد الألوهية وليست من غيره . وفي ذلك دليل على أنهم كانوا

¹ تفسير القرآن العظيم (4 / 130) بتحقيق سامي بن محمد سلامة .

يعرفون مَسَائِلَ الْأُلُوهِيَّةِ وكانوا يصرفون بعضها الى الله جل وعلا ولكن ليس علي سبيل التَّوْحِيدِ الجازم من القلب له الخالي من الشرك ، بل كان إيماننا مشوبا بشرك فصار شركا خالصا لا يطلق عليه إيمان بوجه من الوجوه .

قَالَ الشَّيْخُ فَيْصَلُ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ¹ عن ابن عباس قَالَ: (كان المشركون يطوفون بالبيت، ويقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، فيقول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قد، قد». ويقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. ويقولون: غفرانك غفرانك، فأنزل الله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} ² .)³

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ⁴ رحمه الله : - ((لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ] يُعْنُونَ بِالشَّرِيكَ الصَّنَمَ يُرِيدُونَ أَنْ الصَّنَمَ وَمَا يَمْلِكُهُ وَيَخْتَصُّ بِهِ مِنَ الْأَلَاتِ الَّتِي تَكُونُ عِنْدَهُ وَحَوْلَهُ وَالتُّدْوِيرِ الَّتِي كَانُوا يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَيْهِ مَلَكَ لِلَّهِ تَعَالَى فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ : تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ)⁵

قَالَ الشَّيْخُ عَطِيَّةُ مُحَمَّدَ سَالِمٍ⁶ رَحِمَهُ اللَّهُ : (مع أن العرب كانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك فهم معترفون بأن آلهتهم تحت سلطة الله سبحانه ، وكانوا يقولون { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى }⁷ ، لكن اتخذوهم شركاء مع الله، فقاتلهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله.)⁸

1 فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: 1376هـ)

² [سورة الأفال: 33]

3 تطريز رياض الصالحين (1 / 1068) بترقيم الشاملة ، بتحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد .

⁴ أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري

⁵ النهاية في غريب الحديث والأثر (2 / 1144) بتحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود مُحَمَّد الطناحي

⁶ عطية بن مُحَمَّد سالم المصري نزيل المدينة (المتوفى : 1420هـ)

⁷ [سورة الزمر:3]

⁸ شرح الأربعين النووية

قَالَ الهَيْثَمِيُّ¹ رَحِمَهُ اللهُ :- (5361 - «وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَنَحْنُ إِذَا حَجَجْنَا الْبَيْتَ نَقُولُ:

هَذِي زُبَيْدٌ قَدْ أَتَتْكَ قَسْرًا ... تَعْدُو بِهَا مُضْمِرَاتٍ شَرًّا
يَقْطَعْنَ حَبْتَنَا وَجِبَالًا وَعُرًّا ... قَدْ تَرَكُوا الْأَصْنَامَ خَلَوْا صُفْرًا
وَنَحْنُ الْيَوْمَ نَقُولُ كَمَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ
لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ ».

رَوَاهُ الْبَزَّازُ² وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا مِنْ قَرْنٍ وَنَحْنُ إِذَا حَجَجْنَا قُلْنَا:

لَبَّيْكَ تَعْظِيمًا إِلَيْكَ عُدْرًا ... هَذِي زُبَيْدٌ قَدْ أَتَتْكَ قَسْرًا
يَقْطَعْنَ حَبْتَنَا وَجِبَالًا وَعُرًّا ... قَدْ خَلَفُوا الْأَنْدَادَ خَلَوْا صُفْرًا
وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَقُوفًا يَبْطُنُ مُحْسِرٍ نَخَافُ أَنْ تُخْطَفَنَا الْجِنُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ارْتَفِعُوا
عَنْ بَطْنِ عُرْتِهِ، فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ إِذَا أَسْلَمُوا ". وَعَلَّمَنَا التَّلْبِيَةَ ». فَذَكَرَهُ. وَفِيهِ شَرْقِيُّ ابْنِ قُطَيْبٍ، وَهُوَ
ضَعِيفٌ. وَقَالَ الْبَزَّازُ: إِسْنَادُهُ لَيْسَ بِالثَّابِتِ، وَزَادَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ: وَكُنَّا نَمْنَعُ النَّاسَ أَنْ يَقِفُوا فِي
الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عُرْتِهِ، فَإِنَّمَا كَانَ مَوْقِفُهُمْ يَبْطُنُ
مُحْسِرٍ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فَرَقْنَا أَنْ تُخْطَفَهُمُ الْجِنُّ. وَالْبَاقِي بِنَحْوِهِ.

5362 - وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّاسُ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَكَانَ الشَّيْطَانُ يُحَدِّثُ النَّاسَ
بِالشَّيْءِ يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ حَتَّى أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ فِي التَّلْبِيَةِ:
لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ... لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ
إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ ... تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ

1 أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)

2 مسند البزار 7188 ، البزاز أبو بكر أحمد بن عمرو البصري 292 هـ

قَالَ: فَمَا زَالَ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى الشِّرْكِ. رَوَاهُ الْبَزَّازُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

5363 - وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ يُلَبِّي أَهْلَ الشِّرْكِ:

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ... لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ

إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ ... تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} ¹. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ²، وَفِيهِ حَمَّادُ ابْنِ شُعَيْبٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ. ³

قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ أَبُو الْأَشْبَالِ ⁴ وَفَقَّهُهُ اللَّهُ: (قَالَ: [عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ

المشركون يحجون ويعتصرون]، لكن على نظام الوثنية، فكانوا يقولون في طوافهم: لبيك لا شريك لك، ولكنهم كانوا بعد ذلك يشركون في تلبيتهم فيقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت. ⁵)

وفي قصة ثمامة ابن أثال سيد أهل اليمامة ⁶ قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ) ⁷ ومعلوم أنه أخذ قبل أن يسلم، فعلم أنهم كانوا يحجون في جاهليتهم.

وقَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ أَبُو الْأَشْبَالِ وَفَقَّهُهُ اللَّهُ أَيْضًا: (وَأْتَمَّ تَعْلَمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَجَّ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالْمَشْرُوكُونَ كَانُوا يَحْجُونَ وَيَعْتَمِرُونَ إِلَى الْبَيْتِ). ⁸

1 [سورة الروم: 28]

2 المعجم الكبير 12348، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، بتحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

3 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (3 / 506) للهيتمي. بتحقيق حسام الدين القدسي

4 أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري.

5 شرح صحيح مسلم، بتصرف من شرح حديث ابن عباس في تلبية المشركين في الجاهلية.

⁶ من بلاد نجد.

⁷ الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم 4688 لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري.

⁸ شرح صحيح مسلم، بتصرف من الباب التاسع عشر: (باب ربط الأسير وجسه وجواز المن عليه).

مبحث في ذكر شيء من صيام أهل الجاهلية .

وأما عن الصيام ، فكان بعض العرب يصومون يوم عاشوراء حتى في الجاهلية موافقة لليهود ، ويوم عاشوراء هو اليوم الذي نجا الله تعالى فيه موسى عليه السلام وقومه ، وأغرق فرعون وجنده ، فصامه موسى عليه السلام شكراً لله ، وكانت اليهود تصومه ويتخذونه عيداً ، ولما كانت دعوة الرسل واحدة أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصيامه محبة لموسى ، وشكراً لله وحده ، وقد احتسب أن يكفر الله به ذنوب عام كامل ، وأمر أصحابه بصيامه وقال نحن أحق بموسى منكم فإننا موافقون له في أصول الدين ومصدقون لكتابه ، وأتم مخالفون لها بالتغيير والتحريف .

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ لَهُمْ: " مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟ " قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا ، فَتَحْنُ نَصُومُهُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: " نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ " وَصَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ، فَلَمَّا فُرِضَ شَهْرُ رَمَضَانَ ، قَالَ: مَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ ¹ وإظهاراً للمخالفة فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بصيام يوم قبله وقال: (لئن عشت - أو بقيت ² - إلى قابل لأصومن التاسع) ³ ، وصار المستحب صيام تاسوعاء وعاشوراء. وفي ذلك الصيام دليل علي أن أهل الجاهلية ومنهم اليهود كانوا يقومون ببعض شعائر الألوهية مشوبة بمظاهر الشرك لله تعالى .

مبحث في ذكر دعاءهم الله تعالى في الشدة وكفرهم في الرخاء :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ

¹ البخاري: ص 268 ، وص 481 ، ومسلم: ص 359. نقل عن (نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الأملعي في تخرج الزيلعي ، " 2 / 454 " لجمال الدين أبو

مُحَمَّدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ الزَّيْلَعِيِّ (المتوفى : 762هـ))

² «صحيح مسلم» (2 / 797 - 798 رقم 134 / 133)

³ «صحيح مسلم» (2 / 798 رقم 1134 / 134) .

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ¹

قَالَ عطاء رَحْمَةُ اللَّهِ : هَذَا فِي الدَّعَاءِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ يَنْسُونَ رَبَّهُمْ فِي الرِّخَاءِ فَإِذَا أَصَابَهُمُ الْبَلَاءُ أَخْلَصُوا فِي الدَّعَاءِ . بَيَانُهُ (وَظَنُوا أَنَّهُمْ أَحْيَطُ بِهِمْ) الْآيَةُ ، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) انْتَهَى .

قَالَ الطَّبْرِيُّ : (عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: (دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) ، قَالَ: إِذَا مَسَّهُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ أَخْلَصُوا لَهُ الدَّعَاءَ . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: (وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضِرَاءِ مَسْتَهْمٍ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ مَا يَدْعُونَ ، فَإِذَا كَانَ الضَّرُّ لَمْ يَدْعُوا إِلَّا اللَّهَ ، فَإِذَا نَجَّاهُمْ إِذَا هُمْ يَشْرِكُونَ .) ²

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحْمَةُ اللَّهِ : ({لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} أَيُّ: لَا نُشْرِكُ بِكَ أَحَدًا ، وَلَنُفْرِدَنَّكَ بِالْعِبَادَةِ هُنَاكَ كَمَا أَفْرَدْنَاكَ بِالْدُّعَاءِ هَاهُنَا) ³

وَبِمَجْرَدِ تَوْجِيهِ الدَّعَاءِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَوْ لَمَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْحَيَاةِ يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُعْتَرِفًا بِنَوْعٍ مِنَ الْأُلُوْهِيَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَغَنَ كَانَ مَخَالِطًا تِلْكَ الشَّعِيرَةَ بِأَكْوَامٍ مِنَ الشَّرِكِيَّاتِ ، وَلِذَلِكَ فَهَمَّ مُعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَلَكِنَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ أَوْ تَلْمِيهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَتَسْتَهْوِيهِمْ نَفُوسُهُمْ وَشَيْطَانِيَّتُهُمْ فَلَا يَتَذَكَّرُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ إِلَّا فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ وَمَسِ الضَّرِّ! .

¹ سورة يونس 22 - 23

² تفسير الطبري (15 / 51 - 52)

³ تفسير ابن كثير (4 / 259) بحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة

مبحث في ذكر دعاء مشركي العرب في حادثة أبرهة الحبشي ورجاءهم لله وحمدهم له تعالى.

وقد ورد في قصة هدم الكعبة التي تواتر ذكرها في كتب السير بعضاً من أنواع العبادات التي كان يقوم بها مشركوا العرب في الجاهلية ، ففي "القول المبين في سيرة سيد المرسلين" ، ذكر الشيخ محمد الطيب النجار رحمه الله بعض ما كان من عبد المطلب جد النبي صلي الله عليه وسلم فقال : (فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى المعسكر ووقف بباب أبرهة، فقيل لأبرهة: إن عبد المطلب بابك، فقال: من هو عبد المطلب؟ قيل: إنه سيد قريش وصاحب عيش مكة، وهو الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال. فأذن له أبرهة.

وكان عبد المطلب وسيماً جميلاً شديد الهيئة والوقار. فلما رآه أبرهة، أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه. فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: سله عن حاجته: فسأل الترجمان؟ فقال: حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قد كنت أعجبتي حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتي، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً، هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه؟ فقال له عبد المطلب: "إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سمينعه ويحميه". فرد أبرهة قائلاً: ما كان ليمتنع مني . فأجابه: أنت وذلك.. فرد أبرهة على عبد المطلب المائتي بعير التي أصابها.. وانطلق عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، ثم تعلق بحلقة الكعبة وأستارها في ضراعة الخائف الوجل وإنابة العائد المستغيث، وأخذ يقول:

لَا هُمْ إِنَّ الْعَبْدَ يَمُّ ... نَعِ رَحْلَهُ فَاْمَنْعَ حِلَالِكَ ، وَأَنْصُرَ عَلَى آلِ الصَّلِيبِ ... وَعَابِدِيهِ الْيَوْمَ آلَكَ
لَا يَغْلِبُنْ صَلِيبُهُمْ ... وَمِحَالُهُمْ أَبَدًا مِحَالِكَ ، هُمْ جَرَّدُوا لَكَ جَمْعَهُمْ ... وَالْفِيلَ كَيْ يَسْبُوا عِيَالَكَ
عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ ... جَهْلًا وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكَ إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَقَبْد ... لَتُنَّا فَاْمُرْ مَا بَدَا لَكَ

ثم طاف بالبيت منشدًا والناس معه يرددون:

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ ... رَبِّ فَامْنَعْ مِنْهُمْ حِمَاكَ ، اَمْنَعُهُمْوَا أَنْ يَخْرُبُوا قِرَاكَ ... إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ

وهكذا لجأ عبد المطلب ولجأت معه قريش إلى الله يطلبون عونه وحمايته، ثم خرجوا من مكة لكي يتحرزوا في شعف الجبال والشعاب، وينتظرون عدل الله مع هؤلاء الطغاة الظالمين.. (انتهى
وفي تلك القصة ما يبين أن مشركي قريش كانوا يتضرعون إلى الله تعالى ويدعونه ، وذلك في وقت الشدة كما بينا ذلك في ذكر دعاءهم الله تَعَالَى في الشدة وكفرهم في الرخاء .
وفيها أيضا فوائد منها :

- (1) اعتراف مشركي العرب وإقرارهم بألوهية الله تعالى وأنه المستحق للعبادة ولذلك هرعوا إليه داعين إياه أن يكشف عنهم ما نزل بهم من ضر وبلاء . وذلك في قولهم (اللهم) .
- (2) إقرارهم بأن الله إله واعترافهم بأنهم عبيد لله تعالى ، وذلك في قولهم (إِنَّ الْعَبْدَ) .
- (3) إقرارهم بأن الله تعالى قادر علي حفاظتهم ورد المعتدين عنهم لأنه ربهم القادر علي ذلك ولذلك دعوه ، وهذا في قولهم (فَاْمْنَعْ جَلَالَكَ أَوْ رِحَالَكَ) .
- (4) اعترافهم بأن لله صفات جلال وجمال وأنه مغاير لخلقه وأن القرشيين يرقبون جلال الله وأما المعتدون لم يرقبوا ذلك وذلك في قولهم : (وَمَا رَقِبُوا جَلَالَكَ) .
- (5) اعترافهم بألوهية الله تعالى وذلك برجاءهم إياه وذلك في قولهم (يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ رَب) .

وكذلك في (الروض الأنف) حكاية أيضا فيها ذكر نوع من العبادات التي كان أهل الجاهلية يعتقدونها: (فَقَالَ نُفَيْلٌ حِينَ رَأَى مَا أَنْزَلَ لِلَّهِ بِهِمْ مِنْ نِقْمَتِهِ
 أَيْنَ الْمَقَرِّ وَالْإِلَهِ الطَّالِبُ ... وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْعَالِبُ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قَوْلُهُ " لَيْسَ الْعَالِبُ " عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ نُفَيْلٌ أَيضًا :
 أَلَا حُبَيْتِ عَنَّا يَا رُدَيْتَا ... نَعْمَنَّاكَ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنًا
 رُدَيْتَةُ لَوْ رَأَيْتِ - وَلَا تَرِيهِ ... لَدَيْ جَنْبِ الْمُحْصَبِ مَا رَأَيْتَا
 إِذَا لَعَذَرْتِنِي وَحَمِدْتَ أَمْرِي ... وَلَمْ تَأْسَى عَلَيَّ مَا فَاتَ بَيْنَنَا
 حَمِدْتَ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتَ طَيْرًا ... وَخِفْتَ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
 وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ ... كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنًا) انتهى
 قلت وفيها ذكر الإله وانه الذي يأخذ للمستضعف من الظلوم وفيها أيضا حمد الله علي ما كان من نصره لبيته العتيق . وهذه كلها أنواع من توحيد الألوهية .

مبحث في ذكر معرفة بعض مشركي العرب الدعاء في غزوة أحد.

ومن مظاهر معرفة المشركين لبعض أنواع الألوهية ما حدث من بعضهم في غزوة أحد . قال المباركفوري في الرحيق المختوم : (ثم اندلعت نيران المعركة، واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من نقاط الميدان، وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، فقد تعاقب بنو عبد الدار لحمل اللواء بعد قتل قائدهم طلحة بن أبي طلحة، فحمله أخوه أبو شيبة عثمان بن أبي طلحة، وتقدم للقتال وهو يقول :

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللّوَاءِ حَقًّا * * أَنْ تُخْضَبَ الصَّعْدَةُ أَوْ تَنْدَقًا

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه، حتى وصلت إلى سرتة، فبانث رثته .

ثم رفع اللواء أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم أصاب حنجرتة، فأذلج لسانه ومات لحينه . وقيل : بل خرج أبو سعد يدعو إلى البراز، فتقدم إليه على بن أبي طالب، فاختلفا ضربتين، فضربه على فقتله .

ثم رفع اللواء مسافع بن طلحة بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح بسهم فقتله، فحمل اللواء بعده أخوه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة، فانقض عليه الزبير بن العوام وقتله حتى قتله، ثم حمل اللواء أخوهما الجلّاس بن طلحة بن أبي طلحة، فطعنه طلحة بن عبيد الله طعنة قضت على حياته . وقيل : بل رماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح بسهم فقتله عليه .

هؤلاء ستة نفر من بيت واحد، بيت أبي طلحة عبد الله بن عثمان بن عبد الدار، قتلوا جميعاً حول لواء المشركين، ثم حملة من بني عبد الدار أرطاة بن شرحبيل، فقتله على بن أبي طالب، وقيل : حمزة بن عبد المطلب، ثم حملة شرحبيل بن قارظ فقتله قزمان . وكان منافقاً قاتل مع المسلمين حمية، لا عن الإسلام . ثم حملة أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدري، فقتله قزمان أيضاً، ثم حملة ولد لشرحبيل بن هاشم العبدري فقتله قزمان أيضاً .

فهؤلاء عشرة من بني عبد الدار - من حملة اللواء - أبيدوا عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد يحمل اللواء . فتقدم غلام لهم حبشي - اسمه صوّاب - فحمل اللواء، وأبدي من صنوف الشجاعة والثبات

ما فاق به مواليه من حملة اللواء الذين قتلوا قبله، فقد قاتل حتى قطعت يده، فبرك على اللواء بصدرة وعنقه؛ لئلا يسقط، حتى قتل وهو يقول: اللهم هل أعزرت؟ يعني هل أعذرت؟ . وبعد أن قتل هذا الغلام - صُواب - سقط اللواء على الأرض، ولم يبق أحد يحمله، فبقي ساقطاً .

1

(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ اللَّوَاءَ لَمْ يَزَلْ صَرِيحًا حَتَّى أَخَذَتْهُ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةُ ، فَرَفَعَتْهُ لِقُرَيْشٍ فَلَاثُوا بِهِ . وَكَانَ اللَّوَاءُ مَعَ صُؤَابٍ غُلَامٌ لِبَنِي أَبِي طَلْحَةَ حَبَشِيٍّ وَكَانَ آخِرَ مَنْ أَخَذَهُ مِنْهُمْ فَقَاتَلَ بِهِ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ ثُمَّ بَرَكَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ اللَّوَاءُ بِصَدْرِهِ وَعُنُقِهِ حَتَّى قُتِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ هَلْ أَعَزَّرْتَ يَقُولُ أَعَذَّرْتَ فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي ذَلِكَ

فَحَزَّيْتُ بِاللَّوَاءِ وَشَرَّ فَحْرٍ ... لِيَاءٍ حِينَ رُدَّ إِلَى صُؤَابٍ

جَعَلْتُمْ فَحْرَكُمْ فِيهِ بَعْدَ ... وَالْأُمِّ مَنْ يَطَّأُ عَفْرَ التُّرَابِ

ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيهُ لَهُ ظُنُونٌ ... وَمَا إِنَّ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصُّؤَابِ

بِأَنَّ جِلَادَنَا يَوْمَ التَّقِينَا ... بِمَكَّةَ يَبْعُكُمْ حُمَرَ الْعِيَابِ

أَقْرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ ... وَمَا إِنَّ تَعْصَبَانَ عَلَى خِصَابٍ .)²

ومحل شاهدنا في القصة قول صُواب: (اللهم هل أعزرت؟ يعني هل أعذرت؟) فقد توجه إلي الله بقوله ذلك لمعرفة بان هناك إله يلتجئ إليه العبيد في أحلك الظروف ، وفي ذلك ما يبين أن

¹ الرحيق المختوم 226 بترقيم الشاملة ، صفي الرحمن المباركفوري

² الروض الأنفص 263

مشركي العرب كانوا يعرفون بعض أنواع توحيد الألوهية ولكنها كانت مشوبة بشرك في كثير من صورها وأشكالها فلذلك كانت مردودة عليهم غير مقبولة منهم .

مبحث في ذكر اختتان أهل الجاهلية .

ولما كان الختان من العبادة ، إذ هو في كل الأحوال بين الواجب والمندوب وكليهما فيه أمر من الله تعالى ، فلذلك كان القائم به قائماً بنوع عبادة ، ففي الصحيحين عن عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال:

(" كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ ¹ وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى ² لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ " ، وَكَانَ قَيْصَرٌ لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارِسَ مَشَى مِنْ حِمَصَ إِلَى إِبِلْيَاءَ ³) ⁴ (عَلَى الزَّرَائِيِّ ⁵ تُبَسِّطُ لَهُ) ⁶ (شُكْرًا لِمَا أَبْلَاهُ اللَّهُ ⁷) ⁸ (وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ ⁹ صَاحِبُ إِبِلْيَاءَ ¹⁰ وَهَرَقْلُ ¹¹ سَقْفًا ¹ عَلَى نَصَارَى الشَّامِ) ² (فَأَصْبَحَ هَرَقْلُ يَوْمًا حِينَ قَدِمَ إِبِلْيَاءَ خَبِيثَ النَّفْسِ ³

¹ هو ابن خليفة الكلبى، صحابي جليل كان أحسن الناس وجهًا، وأسلم قديمًا، وبعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - في آخر سنة ست بعد أن رجع من الخديبية بكتابه إلى هرقل، وكان وصوله إلى هرقل في المحرم سنة سبع، ومات دحية في خلافة معاوية. فتح الباري لابن حجر - (ح7)

² (بصرى): مدينة معروفة ، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل، وهي مدينة حوران ، بينها وبين مكة شهر ، وعظمتها هو الحارث بن أبي شمر الغساني، وكانت وفاة الحارث عام الفتح.

³ أي: بيت المقدس

⁴ البخاري 2782 .

⁵ الزرّايّ البسط. لسان العرب - (ج 1 / ص 447).

⁶ مسند أحمد 2370 ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

⁷ وكان سبب ذلك ما رواه الطبري وابن عبد الحكم من طرق متعاضدة ملخصها أن كسرى أغرى جيشه بلاد هرقل، فحربوا كثيرا من بلاده، ثم استنبط كسرى أميره فأراد قتله وتولية غيره، فأطلع أميره على ذلك فباطن هرقل واضطاح معه على كسرى ، وانهمز عنه بجنود فارس، فمضى هرقل إلى بيت المقدس شكرا لله تعالى على ذلك. فتح الباري لابن حجر - (ح7)

⁸ البخاري 2782 .

⁹ (الناطور): هو بالعربية حارس البستان. ووقع في رواية الليث عن يونس " ابن ناطورا " بزيادة ألف في آخره ، فعلى هذا هو اسم أعجمي. فتح الباري لابن حجر - (ح7).

¹⁰ (صاحب إبلياء) أي أميرها.

¹¹ (هرقل) هو ملك الروم، وهرقل: اسمه، ولقبه قيصر، كما يلقب ملك الفرس: كسرى ونحوه. فتح الباري.

فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقِيهِ⁴ : قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ - قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هِرْقُلُ حَزَاءً⁵ يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ - فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ⁶ فَمَنْ يَحْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ⁷ ؟ ، فَقَالُوا: لَيْسَ يَحْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ⁸ ، فَلَا يُهَمُّكَ شَأْنُهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ⁹ (فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ حِينَ قَرَأَهُ)¹⁰ (: اذْهَبُوا فَانظُرُوا أَمْحَتَيْنِ هُوَ أَمْ لَا ، فَانظُرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُحْتَتِنٌ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَحْتَتِنُونَ ، فَقَالَ هِرْقُلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ)¹¹ (الْتِمِسُوا لِي هَا هُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ لِأَسْأَلَهُمْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ¹² أَنَّهُ كَانَ بِالشَّامِ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، قَدِمُوا تِجَارًا فِي الْمُدَّةِ¹³ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبَيْنَ كِفَارِ قُرَيْشٍ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَوَجَدْنَا رَسُولَ قَيْصَرَ

¹ الْأُسْفُفُ وَالسُّفُفُ لَفْظٌ أَعْجَبِي ، وَمَعْنَاهُ رَيْسُ دِينِ النَّصَارَى .

² البخاري .

³ (خَبِيثُ النَّفْسِ) أَي: غَيْرُ طَيِّبِهَا ، أَي: مَهْمُومًا . وَقَدْ تَشْتَعَلُ فِي كَسَلِ النَّفْسِ ، وَفِي الصَّحِيحِ " لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ خَبِيثٌ نَفْسِي " كَأَنَّهُ كَرِهَ اللَّفْظَ ، وَالْمُرَادُ بِالْخَطَابِ الْمُسْلِمُونَ وَأَمَّا فِي حَقِّ هِرْقُلٍ فَغَيْرُ مُمْتَنِعٍ ، وَصَرَّحَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ بِقَوْلِهِمْ لَهُ " لَقَدْ أَصْبَحْتَ مَهْمُومًا " . فَتَحَ الْبَارِي لابن حجر - (ح7) .

⁴ الْبَطَارِقَةُ جَمْعُ بَطْرِيقٍ ، وَهُمْ خَوَاصُ دَوْلَةِ الرُّومِ .

⁵ أَي: كَاهِنًا ، فَإِنَّ قِيلَ: كَيْفَ سَاعَ لِلْبُخَارِيِّ إِيرَادُ هَذَا الْخَبَرِ الْمُشْعِرَ بِتَقْوِيَةِ أَمْرِ الْمُتَجَبِّينَ وَالِاعْتِمَادَ عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ أَحْكَامُهُمْ ؟ ، فَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ ، بَلْ قَصَدَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الْإِشَارَاتِ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَاءَتْ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْ كَاهِنٍ أَوْ مَنْجِمٍ مُحِقٍّ أَوْ مُبْطِلٍ لِإِسْبَاطِ أَوْ جَنِّيٍّ ، وَهَذَا مِنْ أَدْعَى مَا يُبَشِّرُ إِلَيْهِ عَالَمٌ أَوْ يَحْتَجُّ إِلَيْهِ مُحْتَجٌّ . فَتَحَ الْبَارِي لابن حجر - (ح7) .

⁶ أَي: غَلَبَ ، يَعْنِي ذَلَّةَ نَظَرِهِ فِي حُكْمِ النُّجُومِ عَلَى أَنَّ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ غَلَبَ ، وَهُوَ كَمَا قَالَ: لِأَنَّ فِي تَأْكِدِ الْأَيَّامِ كَانَ ابْتِدَاءَ ظُهُورِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ صَالَحَ كِفَارًا مَكَّةَ بِالْحَدِيثِيَّةِ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا) . إِذْ فَتَحَ مَكَّةَ كَانَ سَبَبُهُ نَقْضُ فَرِيضِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمُ بِالْحَدِيثِيَّةِ ، وَمَقْدَمَةُ الظُّهُورِ ظُهُورٌ . فَتَحَ الْبَارِي .

⁷ مُرَادَةُ الْعَرَبِ خَاصَّةً ، وَالْحَصْرُ فِي قَوْلِهِمْ إِلَّا الْيَهُودَ هُوَ بِمُقْتَضَى عِلْمِهِمْ: لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا بَنِيَتِ الْمَقْدِسِ كَثِيرِينَ تَحْتَ الذَّلَّةِ مَعَ الرُّومِ ، بِخِلَافِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَحْتَ طَاعَةِ مَلِكِ الرُّومِ كَالْعَسَانَ ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا مُلُوكًا بِرَأْسِهِمْ . فَتَحَ الْبَارِي .

⁸ قَالَ الْقِسْطَلَانِيُّ : - (أَجَابُوا بِمُقْتَضَى عِلْمِهِمْ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا بِإِيلَاءِ تَحْتَ الذَّلَّةِ مَعَ النَّصَارَى بِخِلَافِ الْعَرَبِ) . (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (82/1) ، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس ، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ) .

⁹ البخاري .

¹⁰ البخاري 2782 .

¹¹ البخاري .

¹² هُوَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ . فَتَحَ الْبَارِي .

¹³ يَعْنِي مُدَّةَ الصَّلْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ .

بِبَعْضِ الشَّامِ ، فَانْطَلَقَ بِي وَبِأَصْحَابِي ¹ حَتَّى قَدِمْنَا إِيْلِيَاءَ ، فَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِ مُلْكِهِ وَعَلَيْهِ التَّاجُ ، وَإِذَا حَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ، فَقَالَ لِتَرْجَمَانِهِ ² : سَلَهُمْ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا ، قَالَ: مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؟ ، فَقُلْتُ: هُوَ ابْنُ عَمِّي - وَلَيْسَ فِي الرَّكْبِ ³ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرِي ⁴ - فَقَالَ قَيْصَرٌ: أَدْنُوهُ ، وَأَمَرَ بِأَصْحَابِي فَجَعَلُوا خَلْفَ ظَهْرِي عِنْدَ كَتِفِي ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجَمَانِهِ: قُلْ لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا الرَّجُلَ عَنِ الَّذِي يُزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ⁵ (فَإِنْ كَذَّبَنِي فَكَذِّبُوهُ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ) ⁶ (يَوْمَئِذٍ مِنْ أَنْ يَأْتُرَ أَصْحَابِي عَنِّي الْكَذِبَ لَكَذَّبْتُهُ حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ ، وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْتُرُوا الْكَذِبَ عَنِّي فَصَدَقْتُهُ ⁷) ⁸

وشاهدنا في تلك القصة الطويلة هو قولهم : - (فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَرُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ ، فَقَالُوا: لَيْسَ يَخْتَرُ إِلَّا الْيَهُودُ ، فَلَا يُهَمُّكَ شَأْنُهُمْ ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ) (فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ حِينَ قَرَأَهُ) (: اذْهَبُوا فَاظْهَرُوا أَمْخَتَيْنِ هُوَ أَمٌّ لَا ، فَانظُرُوا

¹ وفي رواية ابن إسحاق: فَقَالَ هِرْقُلٌ لِصَاحِبِ شُرْطِيهِ: قَلْبُ الشَّامِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ حَتَّى تَأْتِيَ بِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِ هَذَا أَسْأَلُهُ عَنْ شَأْنِهِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي وَأَصْحَابِي بَعْدَهُ، إِذْ هَجَمَ عَلَيْنَا فَسَاقَنَا جَمِيعًا. فتح الباري.

² التَّرْجَمَانُ: الْمُعَبَّرُ عَنْ لُغَةٍ بِلُغَةٍ.

³ جَمْعُ رَاكِبٍ ، كَصَحْبٍ وَصَاحِبٍ ، وَهُمْ أَوْلُو الْأَيْلِ الْعَشْرَةِ فَمَا فَوْقَهَا. فتح الباري.

⁴ عَبْدُ مَنَافٍ الْأَبُ الرَّابِعُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَذَا لِأَبِي سُفْيَانَ، وَأَطْلَقَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لِأَنَّهُ نَزَلَ كِلَا مِنْهُمَا مَنَزَلَةً جَدِّهِ، فَعَبَدَ الْمُطَّلِبُ بْنُ هَاشِمٍ بَنَ عَبْدِ مَنَافٍ ابْنَ عَمٍّ أُمِّيَّةَ بِنَ عَبْدِ شَمْسٍ بَنَ عَبْدِ مَنَافٍ، وَإِنَّمَا خَصَّ هِرْقُلُ الْأَقْرَبَ لِأَنَّهُ أُخْرَى بِالْإِطْلَاعِ عَلَى أُمُورِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَلِأَنَّ الْأَبْعَدَ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَقْدَحَ فِي نَسَبِهِ بِخِلَافِ الْأَقْرَبِ، وَظَهَرَ ذَلِكَ فِي سُؤَالِهِ بَعْدَ ذَلِكَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فَيْكُمْ؟. فتح الباري

⁵ البخاري 2782 .

⁶ البخاري .

⁷ أَي: يَنْقُلُوا عَلَيَّ الْكَذِبَ لَكَذِّبْتُ عَلَيْهِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْبِحُونَ الْكَذِبَ ، وَفِي قَوْلِهِ بَأْتُرُوا دُونَ قَوْلِهِ يَكْذِبُوا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ وَاقِعًا مِنْهُمْ بَعْدَمُ التَّكْذِيبِ أَنْ لَوْ كَذَّبَ لِاشْتِرَاكِهِمْ مَعَهُ فِي عِدَاوَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، لَكِنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ اسْتِحْيَاءً وَأَقْفَهُ مِنْ أَنْ يَتَحَدَّثُوا بِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَرْجِعُوا فَيَصِيرُ عِنْدَ سَامِعِي ذَلِكَ كَذَابًا ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ وَلَقَطَهُ: " فَوَاللَّهِ لَوْ قَدْ كَذَّبْتُ مَا رَدُّوا عَلَيَّ " وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا سَيِّدًا أَتَكْرَمُ عَنِ الْكَذِبِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ أَيْسَرَ مَا فِي ذَلِكَ إِنْ أَنَا كَذَّبْتُهُ أَنْ يَحْفَظُوا ذَلِكَ عَنِّي ثُمَّ يَتَحَدَّثُوا بِهِ ، فَلَمْ أَكْذِبْهُ " . فتح الباري

⁸ الجامع الصحيح للسنن والمسند (453/9) للشيخ صهيب عبد الجبار .

إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَنٌ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَنُونَ ، فَقَالَ هِرْقُلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ
قَدْ ظَهَرَ

قال العيني¹ رحمه الله : - (ولكن ذكر هذا بناء على عادة² العرب فإنهم يختنون النساء)³

وفي ذلك دلالة علي أنه كانت هناك بقايا من دين إبراهيم عند بعض مشركي الجاهلية ، ومعلوم أن الختان من شعائر الألوهية وليس من مظاهر الربوبية ! وفي ذلك بيان أن المشركين كانوا يقومون ببعض شعائر الألوهية ولو من غير اعتقاد ، ولكن يبقى أنهم يفعلون الشعيرة ولو عريّة عن اليقين وإرادة الله تعالى بهذا الفعل وهو المطلوب إثباته .

فإن قيل كان الختان عندهم من العادة وليس العبادة ، قلنا لو كان من العادة لما اختن إبراهيم عليه السلام في عمر الثمانين ! قال الملا علي القاري⁴ :- (وذكر صاحب الشريعة أنه قد ولد الأنبياء كلهم محتونين مسرورين أي مقطوعي السرة كرامة لهم لئلا ينظر أحد إلى عوراتهم إلا إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإنه قد ختن نفسه ليستن بسننه بعدها هذا للرجال وأما للنساء فمكرمة ففي خزنة الفتاوى ختان الرجال سنة واختلفوا في ختان المرأة قال في أدب القاضي مكروه وفي موضع آخر سنة وقال بعض العلماء واجب وقال بعضهم فرض قلت والصحيح أنه سنة لقوله عليه الصلاة والسلام الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء)⁵ .

¹ محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين المتوفي 855 هـ .

² فإن قيل الختان من العادة وليس العبادة ، رددنا عليه بقول الملا على القاري رحمه الله : - (قال في شرح شرعة الإسلام من السنة الختان وبه قال أبو حنيفة وقال الأكثرون ومنهم الشافعي أنه واجب لأنه من شعائر الإسلام وشدد ابن عباس رضي الله تعالى عنها فيه وقال الأقف لا تقبل شهادته وصلاته وذبيحته وقال ابن شريح ستر العورة واجب اتفاقاً فلولا وجوب الختان لم يجز كشفها فجاوز الكشف دليل وجوبه كذا في التنوير ويمكن أن مراد أبي حنيفة أنه ثابت بالسنة لا أنه غير واجب لكن غالب الكتب مشحون بأن الختان سنة لكن إن لم يولد محتوناً ختاناً تاماً وإنما قيدنا به لما في الخلاصة وجمع الفتاوى صبي ولد محتوناً بحيث لو رآه إنسان يراه كأنه ختن ويشق عليه الختان مرة أخرى واعترف بذلك أهل البصرة من الحجامين ترك ولا يتعرض له وذكر زين العرب إن أربعة عشر نبياً ولدوا محتونين آدم وشيث ونوح وصالح وشعيب ويوسف وموسى وزكريا وسليمان وعيسى وحنظلة بن صفوان وهو نبي أصحاب الرس ونبينا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (158/13).

³ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (336/5) .

⁵ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (159/13)

قال الشيخ أبو الأشبال¹ وفقه الله : - (وهذا يدل على أن العرب في الجاهلية قبل الإسلام كانوا يختنون. أي: أن الختان ليست عادة فرعونية. قال: (إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختن من هذه الأمة؟). أي: أنه يريد أن يعرف من على وجه الأرض يختن؟ قال: (قالوا: ليس يختن إلا اليهود). وكأنهم يقولون له: النصارى لا يختنون، إنما اليهود من عاداتهم الختان. قالوا: (فلا يهمنك شأنهم). أي: يا هرقل! لا يهمنك، وهذه هي بطانة السوء التي تستدرجه. قالوا: لا تخف. الذين يختنون على وجه الأرض كلها اليهود.)²

مبحث في ذكر معرفة بعض مشركي قريش قدرة الله ورجاءهم إياه.

ورد في صحيح مسلم عن عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَتْ هِنْدٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلٌ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُذِلَّهُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ وَمَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلٌ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُعَزَّهُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ » . ثُمَّ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مُمَسِكٌ فَهَلْ عَلَيَّ حَرْجٌ أَنْ أُتْفِقَ عَلَى عِيَالِهِ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « لَا حَرْجَ عَلَيْكَ أَنْ تُتْفِقِي عَلَيْهِمْ بِالْمَعْرُوفِ »³ .

وفي الحديث معرفة كفار قريش حال كفرهم أن الله تعالى هو الذي بيده إذلال عزيز أو عز ذليل ، ولذلك أحبت هند رضي الله عنها - قبل إسلامها - أن يذل الله تعالى النبي محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

¹ أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري وفقه الله .

² شرح صحيح مسلم (8/92) تفريغ محاضرات .

³ صحيح مسلم (1714) و (4576) ، صحيح بن حبان (4257) ، مسند أبي عوانه (6383) ، مسند إسحاق بن راهوية (734) ، مصنف عبد الرزاق (16612)

مبحث في ذكر معرفة بعض كفار الجاهلية صدق نبوة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد كان كثير من عرب الجاهلية يعرفون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه نبي آخر الزمان وكثير من اليهود أيضا يعلمون ذلك بصفته ، ومع علمهم بصدق نبوته وختام رسالته إلا أن ذلك لا يشفع لهم من نار ولا ينجيهم من عذاب ولا يدخلهم في إسلام إذا لم ينطقوا بألسنتهم بالكلمة الطيبة التي بعث لأجلها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعتقدوا ذلك من صميم قلوبهم وينقادوا للوازعها ويموتوا علي ذلك .

فانظر رَحِمَكَ اللهُ كيف أن من عرف صدق النبي وما يقوله ولكنه لم ينقد له فليس بمؤمن ولا مسلم ، ومعرفته هذه من باب الألوهية وليس من باب الرُّبُوبِيَّة ، لأن التصديق بالرسالة من أفعال العبد التي أمره بها الله تَعَالَى .

قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مبينا أن من عرف الحق ولم يتبعه فليس بمسلم : (وفيها ¹ : أن إقرار الكاهن الكتابي لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه نبي لا يدخله في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته، فإذا تمسك بدينه بعد هذا الإقرار لا يكون رِدَّةً منه، ونظيرُ هذا قول الحَبْرين له، وقد سألاه ثلاث مَسَائِلَ، فلما أجابها، قَالَ: نشهد أنك نبي، قَالَ: "فما يمنعكما من اتباعي"؟ قَالَ: نخاف أن تقتلنا اليهود، ولم يلزمها بذلك الإسلام، ونظير ذلك شهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق، وأن دينه من خير أديان البرية ديناً، ولم تُدْخِلْهُ هذه الشهادة في الإسلام.) ²

وقال أيضا : (ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له بالرسالة، وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علم أن الإسلام أمر وراء ذلك،

¹ قصة قدوم وفد نجران على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

² زاد المعاد (3 / 638)

وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار، والانتقاد، والتزام طاعته ودينه ظاهراً وباطناً) وأول ذلك توحيد الله عز وجل في كل ما يستحق .

وتأملوا في القصة المشهورة التي تذكر مدى تأثرهم بالقرآن ، يذكر أصحاب السير أنه اجتمع الأحنس ابن شريق و أبو جهل و الوليد ابن المغيرة -وهم من صناديد قريش- ، ويأتون في الليل ليستمعوا القرآن من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه يسحرهم ويجذبهم ببلاغته وبيانه وفصاحته؛ لأنهم ملوك البيان وأساطين الفصاحة، وهم يتلذذون بالكلام العظيم، وأتوا يسمعون، فتلاقوا في الطريق، فقال بعضهم لبعض: أتم الكبار، فإذا رآكم سفهاء قريش فماذا يصنعون؟! قَالَ الأحنس ابن شريق: نتعاهد على ألا نرجع، فتعاهدوا على ألا يرجعوا، وفي الليلة الثانية إذا بهم يتقابلون، وقد نقضوا العهد وجاءوا لسماع القرآن، لم يستطيعوا أن يصبروا عن بلاغة القرآن؛ لأنهم أصحاب تذوق في هذا المجال، فقال الأحنس: ما دمنا نحن العقلاء ونتعاهد ونخلف، فلماذا لا نسلم، ما يضرنا لو أسلمنا؟ فقام أبو جهل -عليه من الله ما يستحق، فرعون هذه الأمة - وقال: والله لا نسلم، قال: ولم؟ قال: نحن سابقنا بني هاشم في المجد حتى إذا كنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي، فمتى يصير هذا منا، والله لا نسلم!! فمنعه كبره وعناده من الانتقاد والاعتراف بنبوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلا فهو واثق أنه رسول من عند الله.

وكذا أبو طالب - عم النبي "صلي الله علي مُحَمَّد" - الذي يلفظ أنفاسه على ملة عبد المطلب يعرف الحق وَهُوَ على يقين من صدقه ويدافع عنه، ولكن رأسه (يابس) وصلب، على الكفر ما تزحزح -والعياذ بالله- فهم لا يكذبون الرسول؛ لأنهم يعلمون صدقه، وَهُوَ القائل: ولقد علمت بأن دين مُحَمَّد... من خير أديان البرية دينا

ولكنه إنكار وجحود وتكبر وعناد، ولهذا قال الله: { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }¹.

مبحث في ذكر إقرار مشركي العرب ببعض مسائل الأسماء والصفات :

وقد كان المشركون يقرون لله تعالى ببعض الأسماء والصفات ولكنهم كانوا يلحدون فيها قال الله تعالى : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)² **قال الطبري رحمه الله** : (فإنه يعني به المشركين ، وكان إلحادهم في أسماء الله ، أنهم عدلوا بها عما هي عليه ، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم ، وزادوا فيها ونقصوا منها ، فسموا بعضها "اللات" اشتقاقاً منهم لها من اسم الله الذي هو "الله" ، وسموا بعضها "العزى" اشتقاقاً لها من اسم الله الذي هو "العزير" .)³

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير تلك الآية : (وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} قَالَ: إِلْحَادُ الْمُلْحِدِينَ: أَنْ دَعَوْا "اللات" فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} قَالَ: اشْتَقُّوا "اللات" مِنْ اللَّهِ، وَاشْتَقُّوا "العزى" مِنْ الْعَزِيرِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: {يُلْحِدُونَ} يُشْرِكُونَ.)⁴

وقال تعالى مخبراً عن حالهم : {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} ⁵

¹ سورة الأنعام (33)

² سورة الأعراف (180)

³ تفسير الطبري (13 / 282) بتحقيق أحمد محمد شاكر رحمه الله.

⁴ تفسير بن كثير (3 / 515)

⁵ [سورة الزخرف:9]

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : (يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا مُحَمَّد هؤلاء المشركين من قومك: من خلق السموات السبع والأرضين، فأحدثهن وأنشأهن؟ ليقولن: خلقهن العزيز في سلطانه وانتقامه من أعدائه، العليم بهن وما فيهن من الأشياء، لا يخفى عليه شيء.)¹

وَقَالَ البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَأَقْرَأُوا بَعْزَهُ وَعَلِمَهُ ثُمَّ عَبَدُوا غَيْرَهُ وَأَنْكَرُوا قُدْرَتَهُ عَلَى الْبَعْثِ لِقْرِطِ جَهْلِهِمْ.)²

وَقَالَ القشيري³ رَحِمَهُ اللَّهُ : (كانوا يقرّون بأن الله خالقهم، وأنه خلق السموات والأرض، وإنما جحدوا حديث الأنبياء، وحديث البعث وجوازه.)⁴

وَقَالَ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (يخبر تعالى عن المشركين، أنك لو { سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ } الله وحده لا شريك له، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات، العليم بظواهر الأمور وبواطنها، وأوائلها وأواخرها، فإذا كانوا مقرين بذلك، فكيف يجعلون له الولد والصاحبة والشريك؟! وكيف يشركون به من لا يخلق ولا يرزق، ولا يميت ولا يحيي؟!)⁵ وفيه تصريح من الشيخ بأنهم كانوا يقرّون لله تعالى ببعض الصفات والأسماء .

وفي المنتخب : (إن سألت الكافرين - أيها الرسول - عن خلق السموات والأرض؟ ليقولن - جواباً لذلك - : خلقهن الله ، المتصف في واقع الأمر بالعزة والعلم المحيط .)⁶

1 جامع البيان في تأويل القرآن (21 / 572) ، بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاكِر رحمه الله .

2 تفسير البغوي المسمي " معالم التنزيل في تفسير القرآن " (7 / 207) ، بتحقيق مُحَمَّد عبد الله الغمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش

3 عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)

4 تفسير القشيري المسمي " لطائف الإشارات " (3 / 362) بتحقيق إبراهيم البسيوني.

5 تفسير السعدي (1 / 763) ، بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحي .

6 تفسير المنتخب (2 / 353) ، لجنة من علماء الأزهر .

قَالَ الشَّيْخُ الْحَوِينِي¹ وَفَقَهُ اللهُ : (إِذَا: نَخِصُ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّوْحِيدَ الْكَبِيرَ الَّذِي كَانَ فِرْقَانًا بَيْنَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَعْرِفُ بَعْضًا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} ²، وَإِنَّمَا أَنْكَرُوا صِفَةَ الرَّحْمَنِ جُحُودًا وَاسْتِكْبَارًا مِنْهُمْ: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ} ³ نَوْعٌ مِنَ الْجُحُودِ.)⁴

وَقَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : (أَمَا كُونَ اللهُ فِي السَّمَاءِ ؛ فَكَانَتِ عَقِيدَةُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ)⁵

قَالَ⁶ فِي عَوْنِ الْمَعْبُودِ : (وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ لِأَبِي يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا ؟ قَالَ أَبِي سَبْعَةَ سِتَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ ، قَالَ فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ ؟ قَالَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، قَالَ يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسَلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ يَنْفَعَانِكَ قَالَ فَلَمَّا أَسَلِمَ حُصَيْنٌ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَّمْنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي قَالَ قُلِ اللَّهُمَّ الْهَمْنِي رُشْدِي وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي)⁷

وَقَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ مُقَرَّرًا أَنَّ كُفَّارَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْرِفُونَ لِلَّهِ تَعَالَى أَسْمَاءً وَصِفَاتًا وَكَانُوا يُنْكِرُونَ كَذَلِكَ قِسْمًا آخَرَ مِنْ أَسْمَاءِهِ وَصِفَاتِهِ : (قَوْلُهُ ⁸ : إِنَّ الْمَشْرِكِينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ لِهَذَا الْكَوْنِ خَالِقًا مُدَبِّرًا، لَوْ وَقَفَ إِلَى هُنَا لَكَانَ الْكَلَامُ مُسَلِّمًا، وَلَكِنَّهُ أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ وَصْفًا وَصِفَةً أُخْرَى وَهِيَ صِفَةُ حَقِّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَكِنَّهُ نَسَبَ إِلَى الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي اللهِ هَذِهِ الصِّفَةَ أَيْضًا وَهِيَ أَنَّهُ حَكِيمٌ.

¹ أبو إسحاق حجازي مُحمَّد شريف الحويني الأثري ، المصري حفظه الله .

² [سورة الزخرف:9]

³ [سورة الفرقان:60]

⁴ دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني (5/111) بترقيم الشاملة .

⁵ السلسلة الصحيحة (24 / 13) في الرد على الكوثري حديث 3161 .

⁶ مُحمَّد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر ، أبو عبد الرحمن ، شرف الحق ، الصديقي ، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ)

⁷ عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته (13 / 15) ، قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ ضعيف ، المشكاة)

⁸ 2476 / التحقيق الثاني) ، ضعيف الجامع الصغير (4098) القسم الأخير .

⁸ يقصد به الشيخ عيد عباسي

من المؤسف أن أقول -وهذا هو الشيء الآخر الذي أرمي إليه في هذا الكلام :- إن اعتقاد أن الله حكيم ليس فقط مما لا يعتقد المشركون الذين كانوا يشركون في توحيد الألوهية، وفي توحيد الصفات كما سمعتم شيئاً من التفصيل في ذلك، ليس المشركون هؤلاء وحدهم كانوا لا يعرفون الله حكيماً، يعرفونه خالقاً مريباً مدبراً، أما أنهم يعرفونه حكيماً فلا، ولكن مع الأسف الشديد هناك جماهير من المسلمين اليوم لا يعتقدون هذه الصفة لله رب العالمين، هذا ما أردت التنبيه عليه، يعني: وصف المشركين بأنهم يعتقدون بأن الله حكيم خطأ؛ لأننا نعلم أن هذه الحكمة هي في كثير من الأمور الإيمانية،¹ ومن خلال ما سبق يتبين أن مشركي العرب كانوا يقرون ببعض مسائل الأسماء والصفات وينكرون بعضها .

فصل في ذكر طرف من تناقض مشركي العرب في اعترافهم بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

اعلم بارك الله فيك أن العرب في الجاهلية وقعوا في مخالفات كثيرة ، ونقضوا بتلك المخالفات صريح الإيمان من جميع جوانبه ، فإن رحمت تنظر إلى قسم الألوهية ستجدهم كانوا يعرفون بعضاً من مسائله ولكنهم كانوا يشركون فيها مع الله أندادا وكانوا ينكرون بعض مسائل الألوهية الأخرى ، وكذلك توحيد الربوبية كانوا يقرون ببعض المسائل الظاهرة التي لا محيص عن الاعتراف بها وهناك أيضا بعض المسائل التي تندرج في باب الربوبية كانوا يقعون في الشرك فيها ، وكذلك باب الأسماء والصفات ، وهنا سنبين أنهم لم يخلص لهم قسم من أقسام التوحيد نقيا صافيا ، بل كانوا مخالفين في الأقسام الثلاثة .

¹ دروس صوتية للشيخ محمد ناصر الدين الألباني قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (38 / 14) بترقيم الشاملة .

مبحث في ذكر إقرار بعض العرب ومعرفتهم لبعض أنواع التوحيد الثلاثة .

إعلم - رَحِمَكَ اللهُ - أن بعض العرب أقرّوا واعترفوا بأنواع التوحيد الثلاثة ولكن علي درجات مختلفة ومتفاوتة ، فمنهم من أقر بنوع ومجد نوعا آخر ، ومنهم من أقر ببعض الأنواع وأشرك مع الله غيره في بعضها ومجد أنواعا أخرى ، ومنهم من مجد غالب أنواعه ، ومنهم من أقر بالأنواع الثلاثة ولكنهم لم يجعلوها لله تَعَالَى خالصة ، وجميع هذه الفرق في الحكم واحد ، فكلهم كفر بالله تَعَالَى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، ولا ينفعهم إقرارهم بجميع الأنواع مجتمعة من غير انقياد ولا يطلق عليهم أنهم مؤمنون أو موحدون فكيف بمن مجد قسما وأقر بقسم آخر ؟!

والأدلة متوافرة في إثبات إقرار بعض مشركي الجاهلية لبعض المسائل من الألوهية والرؤوبية والأسماء والصفات ، ولا حاجة لإفرادها في هذا المبحث لتوافرها في أجزاء كثيرة من الرسالة ، قال ابن القيم¹ رَحِمَهُ اللهُ : «ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له بالرسالة، وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علم أن الإسلام أمر وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار، والالتقاد، والتزام طاعته ودينه ظاهراً وباطناً»² .

مبحث في بيان خطأ من يطلق³ أن العرب أقرّوا⁴ بتوحيد الرؤوبية وبيان وجوب تقييدها بقوله (ببعض مسائل) .

قال قائل: (لأن المشركين جميعاً يقرون بتوحيد الرؤوبية، ولا يجحدون أن الله عز وجل هو الذي خلق ورزق وأحيا وأمات، لا يخالفون في ذلك كله، ما علمنا من المشركين من يقول: إن آلهة

¹ مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : 751هـ)

² زاد المعاد في هدي خير العباد (3 / 639)

³ من الإطلاق دون تقييد بمسألة .

⁴ هنا نناقش من يقول " أقرّوا " ولكنه لا يقيد الربوبية ويطلقها ، وفرق بين الإقرار بالربوبية كلها وبين الإقرار ببعض مسائلها.

شاركت الله في خلق السموات والأرض، بل كانوا يقرون بذلك)¹ . فقد جعل القائل أن إقرارهم بالإحياء والإماتة والخلق والرزق دليل علي إقرارهم بتوحيد الربوبية ، وهذا مخالف للصحيح ، بل الأصح أن يقيد إقرارهم بالمسائل التي أقرها بها ولا يطلق علي العموم أنهم أقرها بتوحيد الربوبية ، وإلا فهم قد شكوا في صفات للربوبية أيضا فنسبوا الله تعالى إلي العجز وهذا شرك في الربوبية . وإن كان القائل وغيره - قد - يقولوا نحن لم نقصد أنهم استكملوا توحيد الربوبية ! فنقول : أنت لم تقصد ذلك ولكنك قلتها وفهم من اطلاقك أنهم مقرون بتوحيد الربوبية ، وأكدت كلامك بأنهم لم يشركوا في الربوبية بقولك : (ما علمنا من المشركين من يقول: إن آلهة شاركت الله في خلق السموات والأرض ، بل كانوا يقرون بذلك)

فالصحيح - حتى لا يتقوّل علي الله تعالى وأن لا يكون الكلام علي بعض الناس فتنة - أن يقال : (إن مشركي العرب كانوا مقرين بمسائل من الربوبية ، وليس مقرين بتوحيد الربوبية) والله أعلم . وقد بين الشيخ الحازمي حفظه الله معني توحيد الربوبية ووضح أن ليس كل من أقر بشيء من التوحيد يسمي موحدا بالربوبية إلا إذا استكمل التوحيد ولم ينقضه وأنه لا بد من الإقرار بوجود الله تعالى وبأفعاله كلها من غير نقض لأحد تلك الأفعال والإقرار بانفراده بذلك فلا مماثل له ولا معاون ولا منازع ثم صرح بأنه لا يصح أن يقال عمن أقر لله بالخلق بالربوبية ، فقال - بتصرف - : (توحيد الربوبية هو: الإقرار الجازم بأن الله وحده رب كل شيء ومليكه ، وأنه الخالق للعالم ، المحيي المميت ، الرزاق ذو القوة المتين ، لم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، ولا مضاد له ، ولا مماثل ، ولا سمي ، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته . والمشهور أن توحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بأفعاله ، يعني

¹ هو الشيخ الحويني حفظه الله وذكر هذا القول أو شبيهها له عن كثير من المعاصرين .

الإيمان بأفعاله الواردة في الكتاب والسنة ، والإيمان بأنه منفرد جل وعلا في هذه الأفعال ، ولذلك قلنا : أن توحيد الربوبية يشتمل على أمور أربعة لا بد من إثباتها ولا تتم خلل في الاعتقاد .

أولاً : إثبات الذات . الثاني : الإيمان بأفعال الله تعالى العامة ك : الخلق ، والرزق ، والتدبير ، والملك ، والإحياء ، والإماتة ، ونحو ذلك . ثالثاً : الإيمان بقضاء الله وقدره ، إذ هو من توحيد الربوبية . رابعاً : إفراده تعالى فيما ذكر . هل إثبات كون الله تعالى خالقاً هكذا ونكتفي ، هل هذا توحيد الربوبية ؟ الجواب : لا ، لا بد أن تثبت أنه الخالق على ما جاء في الكتاب والسنة ، يعني : على المعنى الذي أراد الله عز وجل دون تحريف ، ثم تفرد ، بمعنى أنك تعتقد أنه لا شريك له في هذه الصفة ، هكذا في سائر الصفات ، إذا لا بد فيه من الأفراد ، فلا يتحقق الأفراد إلا بإثبات ونفي ، لا بد من اجتماعها كلها ، إذا هذه أربعة أمور لا بد أن ينتظمها توحيد الربوبية والا كان فيه خلاً¹)

وقد وضح التناقض الذي وقعوا فيه من إقرارهم ببعض مسائل الربوبية وإنكارهم مسائل أخرى من نفس الباب الإمام الماتريدي رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ)² : (في قولهم وجوابهم: أن الله خلق السماوات والأرض - دلالة أنهم قد عرفوا أنه رسول، لكن كذبوه عناداً ومكابرة؛ لأن أهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسول حتى يزعموا أننا عرفنا أن الله خلق السماوات والأرض بقولهم، وينكرون رسالته خاصة؛ بل ينكرون الرسل أجمع، ثم هم ما عرفوا أن الله هو خلق السماوات والأرض إلا بالرسول؛ إذ هم ليسوا من الذين عادتهم الاستدلال والنظر في الدلائل؛ ليعرفوا الله - تعالى - بالدلائل العقلية، والظاهر في العوام جملة المعرفة بالدلائل السمعية؛ فكان الظاهر هذا: أن معرفتهم: أن الله خلق السماوات والأرض بقول الرسل - عليهم السلام - لكنهم كذبوه ولم يصدقوه عناداً منهم ومكابرة، وما به عرفوا

¹ شرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، للشيخ أحمد بن عمر الحازمي (الشريط الرابع) بتصرف .

² تفسير الماتريدي المسمى " تأويلات أهل السنة " (9 / 150) ، بتحقيق د. مجدي باسلوم .

سائر الرسل من المعجزات موجود معين في حق رسولنا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا بد أن يعرفوه رسولا، لكنهم كذبوه عنادا؛ فدل أن قولهم هَذَا دليل على معرفتهم برسالته، والله أعلم.

ثم إن تمام الاحتجاج بهَذَا أن يُقَالَ لهم: قد عرفتم أن الله هو خلق السماوات والأرض، فهلا عرفتم أنه لم يجعلها عبثًا باطلا؛ إذ لو كان على ما يزعمون أن لا رسل ولا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب يكون خلقه إياها عبثًا باطلا، فكان إقرارهم بخلقه إياها إقرارًا لخلقه على وجه الحكمة، ولن يخرج خلقه على الحكمة إلا بالإقرار بالرسول والبعث والثواب والعقاب؛ على ما عرف غير مرة.

أو أن يُقَالَ: فإذا عرفتم أن الله - تعالى - هو خلق السماوات والأرض وما ذكر إلى آخره. . . فكيف أنكرتم قدرته على البعث والإعادة بعد الموت، والأعجوبة في خلق السماوات والأرض أعظم وأكثر من الأعجوبة في بعثكم وإعادتكم، فكيف أنكرتم ما هو أقل في القدرة والأعجوبة؟ (

وفي كلامه رَحِمَهُ اللهُ رد علي من زعم أنهم آمنوا بالربوبية، مطلقا القول من غير تقييد، والسلامة في التفظن لكل لفظ وما يستلزمه، فتنبه لذلك يَرِحَمَك اللهُ .

قال الشيخ محمد أبو زهرة¹ في رده علي سؤال، هل يجوز القول عن المشركين أنهم كانوا يوحدون الله تعالى في الربوبية بناء على إقرارهم بربوبية الله تعالى؟ : - (لا يجوز أن يقال عن المشركين أنهم كانوا يوحدون الله تعالى في الربوبية! لأن التوحيد شيء آخر غير الإقرار، فالتوحيد هو الإخلاص، والمشركون ليسوا مخلصين لله تعالى لا في ربوبية ولا في ألوهية أبدا، التوحيد هو نفي الأنداد والشركاء عن الله، والمشركون يثبتون لله تعالى الأنداد والشركاء، فلا يصح أن يقال عنهم أنهم يوحدون الله تعالى في الربوبية، إذ الأنداد والشركاء الذين جعلوهم مع الله يعتقدون أنهم يتصرفون مع الله تصرف الند مع نده وتصرف الشريك مع شريكه، وهذا التصرف يحدث في نظر المشركين فيما يتعلق بالربوبية، إن العبد يوحد الله تعالى بأفعال الله (أي بأفعال الربوبية) بحيث

¹ هو الشيخ محمد أبو زهرة المغربي، أحد الدعاة المعروفين وليس هو الشيخ الدكتور محمد أبو زهرة المصري .

يجعل أفعال الله كلها لله وحده ولا ينسب منها شيئاً لغير الله ، فإذا نسب فعلاً واحداً من أفعال الله (أفعال الربوبية) لغير الله فقد أشرك مع الله ذلك الغير في ربوبية الله تعالى .

مبحث في بيان أن نقد الإقرار بالربوبية واقع بإنكار صفة واحدة من صفاتها فضلاً عما هو أكثر من ذلك .

قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله في معرض رده علي الشيخ حسن المالكي : - (تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية جاء في القرآن الكريم في آيات كثيرة، فيها بيان أن الكفار الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم **مُقرّون بتوحيد الربوبية**، ومنكرون لتوحيد الألوهية، ويُقرّر الله في هذه الآيات توحيد الربوبية الذي أقرّ به الكفار؛ لإلزامهم بتوحيد الألوهية الذي جحدوه،¹ وانظر إلي قوله " مقرّون " وهذا في حد ذاته قريب جداً من الصواب ، فهو لم يقل " مؤمنون " كما قال البعض في إقرار المشركين ، ولكن كان يلزمه أن يستثني في ذلك الإقرار أيضاً فيقول " مقرّون ببعض مسائل الربوبية " ، لأن حقيقة حالهم لم يكن إقرار بالربوبية كلها ، بل كانوا مقرّين ببعض مسائلها مشركين ببعضها الآخر ، ولو ءامنوا بألوهية الله تعالى علي إقرارهم المزعوم هذا - في

¹ تمام كلامه : (ويُقرّر الله في هذه الآيات توحيد الربوبية الذي أقرّ به الكفار؛ لإلزامهم بتوحيد الألوهية الذي جحدوه، ومن هذه الآيات قول الله عزّ وجلّ: {إِنَّا أَنبَأْنَا النَّاسَ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } ، فبدأها بالأمر بعبادة الله، وختمها بالنهي عن الشرك، وقَرّر فيما بين ذلك توحيد الربوبية؛ لبيان أنّ من تفرّد بالخلق والإيجاد وإنزال المطر وإخراج الرزق من الأرض هو المستحقّ لأنّ يُعبد وحده لا شريك له، وقال تعالى: {وَلَوْئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَرَجَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} ، وقال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَعْلَمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} ، وقال تعالى: {قُلْ لَعَنَ الْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ} ، وقال تعالى: {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ نَهْجٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَيْعَهَا اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَدِينُكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

² الانتصار لأهل السنة والحديث في الرد علي أباطيل حسن المالكي 177 ، للشيخ عبد المحسن العباد .

الربوبية - لما كانوا مؤمنين لأنهم واقعين في بعض مسائل الربوبية ، ولن يقبل منهم إيمانهم بالألوهية إلا بعد أن يستكملوا الإيمان بالربوبية .

وقول الشيخ بأن " تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية جاء في القرآن الكريم في آيات كثيرة " لا يخالف في ذلك سوي التقييد بأن الوارد في القرآن هو مضمون التقسيم لا التقسيم ذاته ! حتي لا يفهمها قاصر بأن الأقسام ذاتها وردت بأسمائها وعددها ! بل الحق أنها وردت بمضمونها وليس بأسمائها ، ولذلك نجد علماء أهل السنة أنفسهم مختلفين تقسيم التوحيد فمنهم من يجعله قسمين ومنهم من يجعله ثلاثة ومنهم من يجعله أربعة ومنهم من يزيد ، ولكل وجهه ، والخلاف في مثل هذا مما لا يشغب به علي المخالف ولا يبدع علي أساسه .

وقد بين الشيخ ما قلناه في نفس الكتاب بقوله : (أقسام التوحيد عند أهل السنة ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات... - ثم قال ... وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عُرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة، ويتضح ذلك بأول سورة في القرآن وآخر سورة؛ فإنَّ كلاً منها مشتملةٌ على أنواع التوحيد الثلاثة).¹ فانظر رحمك الله إلي قوله هذا المبين لقوله السابق ترشد . عليه نصل إلي القول بأن مشركي العرب لم يؤمنوا بقسم التوحيد كاملاً بل كانوا مقرين ببعض أجزاءه.

¹ الانتصار لأهل السنة والحديث في الرد علي أباطيل حسن المالكي 181 ، للشيخ عبد المحسن العباد .

مبحث في الرد علي من زعم أن الأنبياء بعثوا من أجل توحيد الألوهية ولم يبعثوا من أجل توحيد الربوبية¹.

ولعل العقيدة المستقرة في نفوس كثير من طلبة العلم في زماننا أن مشركي العرب كانوا مؤمنين بالربوبية ! والعامل منهم يقول بأنهم كانوا مقربين بالربوبية بلا استثناء ولا تفصيل ، وقد بينا في طول الرسالة خطأ هذا الفهم والاعتقاد .

وكذلك من الأفهام المغلوطة عند البعض زعمهم أن الأنبياء لم يبعثوا إلا لدعوة أقوامهم إلى ألوهية الله تعالى لا إلى ربوبيته ! وهذا فهم خاطيء أيضا ، حيث قد قرر القرآن والسنة بأن بعثة الرسل كانت من أجل دعوة الناس إلى الله تعالى وبيان توحيد الله ، وتوحيد الله تعالى جامع للألوهية وهو أعظمها وكذلك الأسماء والصفات والربوبية ، لأن التوحيد كله شيء لا يتجزأ في الميزان ! فهو إما عمل مقبول أو مردود ، وقد علمنا أن الأنبياء كانوا يدعون أقوامهم إلى المخالفات التي يقعون فيها ، وقد استقرت كلمة علماء السنة علي أن المشركين كانوا مشركين في أنواع التوحيد كلها مع تفاوت فيها وليس معنى إقرارهم أو اعترافهم باللسان في جزء من نوع من أنواع التوحيد يعد إيما بذلك القسم أبدا ، ولعلنا نورد بعض أقوال العلماء في كفر بعض الكفرة في الربوبية خاصة ، لأنها محل الخلاف والغلط .

قال بن كثير² رحمه الله تعالى : - (وَمَعْنَى قَوْلِهِ: {أَلَمْ تَرَ} أَي: بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ {إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} أَي: [فِي] وُجُودِ رَبِّهِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ إِلَهَ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ بَعْدَهُ فِرْعَوْنُ لِمَلَأِهِ:

¹ هو مناقشة للشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه الله في زعمه أن الأنبياء لم يبعثوا لتصحيح شرك الربوبية ، وكذلك من يقول بقوله من عامة من يتبنون هذا القول

² أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ).

{ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي }¹ وَمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذَا الطُّغْيَانِ وَالْكَفْرِ الْعَلِيظِ وَالْمُعَانَدَةِ الشَّدِيدَةِ إِلَّا تَجْبُرُهُ، وَطُولُ مُدَّتِهِ فِي الْمُلْكِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ: إِنَّهُ مَكَثَ أَرْبَعِمِائَةَ سَنَةٍ فِي مُلْكِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: { أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ } وَكَأَنَّهُ طَلَبَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِ الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: { رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ } أَي: الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِهِ حُدُوثُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمَشَاهِدَةِ بَعْدَ عَدَمِهَا، وَعَدَمُهَا بَعْدَ وُجُودِهَا. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ ضَرُورَةً؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَحْدُثْ بِنَفْسِهَا فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُوجِدٍ أَوْجَدَهَا وَهُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الْمُحَاجُّ - وَهُوَ التُّمْرُودُ -: { أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ } قَالَ قَتَادَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرٌ وَاحِدٍ: وَذَلِكَ أَنِّي أَوْتِي بِالرَّجُلَيْنِ قَدْ اسْتَحَقَّا الْقَتْلَ فَأَمُرُ بِقَتْلِ أَحَدِهِمَا فَيُقْتَلُ، وَبِالْعَفْوِ عَنِ الْآخَرِ فَلَا يُقْتَلُ. فَذَلِكَ مَعْنَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ. وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ مَا أَرَادَ هَذَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابًا لِمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَلَا فِي مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَانِعٍ لَوْجُودِ الصَّانِعِ. وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَدَّعِي لِنَفْسِهِ هَذَا الْمَقَامَ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً وَيُوهِمُ أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، كَمَا افْتَدَى بِهِ فِرْعَوْنُ فِي قَوْلِهِ: { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } وَلِهَذَا قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا ادَّعَى هَذِهِ الْمُكَابَرَةَ: { فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ } أَي: إِذَا كُنْتَ كَمَا تَدَّعِي مِنْ أَنَّكَ [أَنْتَ الَّذِي] تُحْيِي وَتُمِيتُ فَالَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ هُوَ الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي الْوُجُودِ فِي خَلْقِ ذَوَاتِهِ وَتَسْخِيرِ كَوَاكِبِهِ وَحَرَكَاتِهِ فَهَذِهِ الشَّمْسُ تَبْدُو كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَإِنْ كُنْتَ إِلَهًا كَمَا ادَّعَيْتَ تُحْيِي وَتُمِيتُ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ. فَلَمَّا عَلِمَ عَجْزَهُ وَانْقِطَاعَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمُكَابَرَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ بَهْتِ أَي: أُخْرِسَ فَلَا يَتَكَلَّمُ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ..)² وَفِي كَلَامِ بْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَدَلَةِ عَلَيَّ بَطْلَانِ زَعَمَ الْقَوْمُ بَطْلَانًا ظَاهِرًا يُتَعَجَّبُ مِنْ خَفَاءِهِ عَلَيَّ أَمْثَلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ .

¹ سورة القصص 38 .² تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، بتحقيق سامي بن محمد سلامة .

فانظر إلي قوله :- ({لَمْ تَرَ} أَي: بِقَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ {إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} أَي: [فِي] وُجُودِ رَبِّهِ) أبعـد قول بن كثير هذا في أن النمرود يُشك في وجود الله تعالى وربوبيته ؟! وفي قوله رحمه الله رد علي من يكابر ويزعم أنهم لم يكونوا منكرين لوجود الله تعالى ، ولا دخل لتيقن نفوسهم من وجوده هنا لأن الظاهر لنا مقالاتهم ولا سبيل لنا لدواخل نفوسهم إلا ما أخبرنا الله تعالى به عنهم من أنهم جاحدين بتلك الآيات بعدما تيقنوا ، فلا يحتج أحد علي ذلك ويرده بأنه يعرف أنهم مستيقنين بوجود الله ! لأن هذا غيب لا يعلمه إلا الله وهو من أطلعنا عليه ، ولكننا الآن في مدار البحث عن شبهته التي طرحها ومقولته التي قالها ، وإبراهيم عليه السلام نفسه وموسي عليه السلام حينما وردت لهم تلك الشبهات من كفره زمانهم لم يكونوا عالمين بما في داخل أعداءهم من هذا اليقين ، اللهم إلا أن يكون الله تعالى أعلمهم بها كما أعلمنا ، ومع كونهم علموا أو لم يعلموا لم يمنعهم علمهم من الرد علي شبهاتهم ومسائرتهم فيها حتي تفرغ حجتهم . فليعقل العاقل مثل هذا ولا يكابر .

وانظر إلي قوله رحمه الله :- ({أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} وَكَانَهُ طَلَبَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِ الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ) تصریح آخر من الإمام بأن الكافر كان منكرا أو مشككا في وجود الله تعالى ، وهذا من أصرح أنواع الكفر والتكذيب . فلا يقال إنهم كانوا مقربين بالربوبية ! فأين هذا الإقرار الذي صار قانونا عند المتأخرين لا ينخرم ولا يستثني ؟! ثم ، هل خفي مثل هذا المتفق عليه عند أهل السنة - علي حد زعمهم - علي مثل بن كثير رحمه الله وغيره من كونه لم ينكر أحد الربوبية ؟! وعلي حد زعمهم أن الأنبياء يبعثون للدعوة إلي الألوهية لا إلي الربوبية ! هل سكت إبراهيم عليه السلام علي ادعاء النمرود الربوبية أم جادله بالحجة القاطعة والأدلة الظاهرة حتي أقض مضجعه وفند شبهته ؟!

ثم انظر - رحمك الله أيضا - إلي قوله رحمه الله :- (وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّهُ مَا أَرَادَ هَذَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابًا لِمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَلَا فِي مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَانِعٍ لَوْجُودِ الصَّانِعِ. وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَدَّعِي لِنَفْسِهِ

هَذَا الْمَقَامَ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً وَيُوهِمُ أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ،) فَإِنْ كَانَ النَّمْرُودُ غَيْرَ مَانِعٍ لَوْجُودِ الصَّانِعِ أَيِ اللَّهِ تَعَالَى الْخَالِقِ، إِلَّا أَنَّهُ أَرَادَ لِنَفْسِهِ التَّشْرِيكَ فَبِتِلْكَ الصِّفَةِ الَّتِي لَا تَتَّبَعِي لِخَلْقٍ! عِنَادًا وَمُكَابَرَةً! فَهِيَ هُنَا ادْعَى الرَّبُوبِيَّةَ، وَلَا يَخَالِفُ فِي ذَلِكَ عَاقِلٌ يَفْهَمُ أَبْجَدِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَقَالَ بَنُ أَبِي حَاتِمٍ 1 رَحِمَهُ اللَّهُ مَقْرَرًا أَنَّ النَّمْرُودَ ادْعَى صِفَاتِ الرَّبُوبِيَّةِ وَحَاقِلًا جَاهِدًا إِظْهَارَ نَفْسِهِ رَبًّا طَلِبًا لِعِبَادَةِ النَّاسِ لَهُ :- (2636 - حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ ثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ بِنِ طَلْحَةَ، ثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السَّدِيِّ قَالَ: وَأَخْرَجُوا إِبْرَاهِيمَ - يَعْنِي مِنَ النَّارِ - فَأَدْخَلُوهُ عَلَى الْمَلِكِ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْهِ، فَكَلَّمَهُ وَقَالَ: مَنْ رَبُّكَ؟ قَالَ: رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ. قَالَ نَمْرُودُ: أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ، أَنَا آخُذُ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ، فَأَدْخِلُهُمْ بَيْتًا، فَلَا يُطْعَمُوا وَلَا يُسْقَوُا، حَتَّى إِذَا هَلَكُوا مِنَ الْجُوعِ، أَطْعَمْتُ اثْنَيْنِ وَسَقَيْتُهُمَا، فَعَاشَا، وَتَرَكْتُ الْاِثْنَيْنِ، فَمَاتَا فَعَرَفَ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ لَهُ قُدْرَةً وَتَسْلِيطًا فِي مُلْكِهِ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ. قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَقَالَ: إِن هَذَا إِنْسَانٌ مَجْنُونٌ، فَأَخْرَجُوهُ إِلَّا تَرَوْنَ أَنَّهُ مَجْنُونٌ، اجْتَرَأَ عَلَى آلِهَتِكُمْ فَكَسَرَهَا، وَأَنَّ النَّارَ لَمْ تَأْكُلْهُ. وَخَشِيَ أَنْ يُفْتَضَّحَ فِي قَوْمِهِ.

2637 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَادٍ الطُّهْرَانِيُّ، ابْنَا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍو، ابْنَا الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنِ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ: أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ يَقُولُ: أَنَا أَقْتُلُ مَنْ شِئْتُ، وَأَتْرُكُ مَنْ شِئْتُ.

2638 - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الرَّبِيعِ، ابْنَا عَبْدِ الرَّزَاقِ ابْنَا مَعْمَرٍ، عَنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ جَبَّارٍ كَانَ فِي الْأَرْضِ نَمْرُودٌ، وَكَانَ النَّاسُ يَخْرُجُونَ فَيَمْتَارُونَ مِنْ عِنْدِهِ الطَّعَامَ. قَالَ: فَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ، يَمْتَارُ مَعَ مَنْ يَمْتَارُ، فَإِذَا مَرَّ بِهِ نَاسٌ قَالَ: مَنْ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: أَنْتَ. حَتَّى مَرَّ بِهِ إِبْرَاهِيمُ. قَالَ: مَنْ رَبُّكَ؟ قَالَ: الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ. قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا

¹ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ).

مِنَ الْمَغْرِبِ فَبِئْسَ الَّذِي كَفَرَ فَرَدَّهُ بِغَيْرِ طَعَامٍ . (1 وفي ذلك بيان لزعمه الربوبية ، لأنه كان من يبدأ إبراهيم بالسؤال عن الربوبية وليس الألوهية ! فلما جاوبه بأنه له رب آخر حصلت المجادلة بينهما ولو - فرضا - أجابه بأنك ربي - وحاشا للنبي إبراهيم أن يفعل - لما حدثت تلك المجادلة ، ولو قال قائل بأنه يقصد بمن ربك الألوهية قلنا فلماذا أجابه إبراهيم بالربوبية ؟! ومن هنا علمنا أن الربوبية والألوهية متلازمان لا ينفكان علي أرض الواقع ، فالرب إله والإله رب فبطل زعم المفرق بينهما علي أرض الواقع .

ولعل قائلًا يزعم أن النمرود لم يقصد حقيقة الربوبية وإنما كان يقصد الألوهية وعبر بلفظ الربوبية ، فرد عليه بأن فعله يقصد به الربوبية وليس الألوهية لأن الألوهية هي فعل العبد ، وهذا صريح في قول الطبري 2 رحمه الله : - (وذلك عند العرب يسمى "إحياء" ، كما قال تعالى ذكره: (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا)) 3 فعلم أن مقصود الطاغية هو صفة الربوبية بما هو متوفر معه من قدرة ولو كان مستطيعا لقدرة أعلي منها لأظهرها .

وقال الثعلبي 4 رحمه الله : - (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَي خَاصِمٍ وَجَادِلٍ وَأَصْلَهَا مِنَ الْحِجَّةِ ، وَهُوَ نَمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ بْنِ سَخْرِيْبِ بْنِ كُوشِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ وَتَجَبَّرَ فِي الْأَرْضِ وَادَّعَى الرَّبُوبِيَّةَ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ أَي لَأَنَّ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ فَطَغَى ، وَمَوْضِعُ (أَنْ) نَصَبُ بِنَزْعِ حَرْفِ الصِّفَةِ .) 5 ففي كلامه صريح العبارة أنه ادعي الربوبية ! فهل يكابر في ذلك أحد ؟!

¹ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 498/2 بتحقيق أسعد محمد الطيب .

² محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ).

³ جامع البيان في تأويل القرآن 432/5 بتحقيق العلامة أحمد محمد شاکر .

⁴ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ) .

⁵ الكشف والبيان عن تفسير القرآن 239/2 ، بتحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي .

وقال السمعاني 1 رحمه الله : - (قوله تعالى: {ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه} معناه: هل انتهى إليك خبر الذي حاج إبراهيم وهو نمرود؟ قاله قتادة. وهو أول من تجبر في الأرض وادعى الربوبية. والمحاجة: المجادلة، ثم بين المحاجة في سياق الآية. قوله: {أن آتاه الله الملك} أي: كانت تلك المحاجة في الربوبية من نظر الملك وطغيانه.) 2 وفي ذلك تصريح بأن المجادلة بين إبراهيم والنمرود كانت في صفات الربوبية لما ادعاها وليست في الألوهية أصالة .

ولعل ما قاله البغوي 3 رحمه الله من الصراحة والوضوح بمكان حيث يبين بما لا التباس فيه ادعاء الطاغية النموذج الربوبية فيقول :- (معناه هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم أي خاصم وجادل، وهو نمرود وهو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟) 4 **وأصرح منه قول الراغب الأصفهاني 5 رحمه الله** حيث فصل الكلام فيها فقال:- (إن قيل: ما الذي ادعى هذا الكافر؟ ادعى نفي الخالق؟ أم ادعى لنفسه الربوبية؟ أم الأمرين؟ فإن ادعى الربوبية، فعلى أي وجه ادعى، فبعيد أن يزعم من وجد بعد أن لم يكن أنه موجد الخلائق... قيل: قد ذكر المخلصون في ذلك وجهين، أحدهما: أن هذا الكافر نمرود، وكان الناس حينئذ يعظمون ملكهم حتى كانوا يسمونه الرب والإله، ولهذا قيل: (الله رب الأرباب وإله الآلهة)، وكانوا يدعون له أفعالاً إلهية تقصر قدر البشر عنها، وقد حكى الفرس عن ملوكهم شيئاً كبيراً من ذلك كما ادعوا لكن خسرو أنه ألجأ عدو له إلى سفح جبل، فحملته الملائكة، وأن شابور لما حارب التينين، فأظلم عليه الدنيا، أنزل عليه نارا، فصارت على عرف فرسه، فاستضاء بها حتى قتل التينين، وكان نمرود لما طغى سام الناس أن يعبدوه عبادتهم لله، إذ هو بزعمهم سايسهم، وملكهم، وربهم، وإلههم، فهذا أحد

¹ أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المرزوي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ).

² تفسير القرآن 261/1 للسمعاني، بتحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم.

³ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى 516 هـ].

⁴ معالم التنزيل 315 /1 حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش.

⁵ أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (أو الأصبهاني) أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. (المتوفى: 502هـ).

الوجهين، والثاني: أنه كان يذهب مذهب من يقول بالحلول، أن الباري- تعالي عن ذلك- يحل في أشخاص الأئمة حسب ما ادعى بعض المنتصرة وبعض المتشيعه الملحده، وكان نمرود يدعي الربوبية على أحد هذين الوجهين، لا أنه ينكر رب العزة ...) 1 وفي كلامه تصريح بأن نمرودا ادعي الربوبية ، وهو الأمر الذي يحاول التعامي أو التغافل عنه جمع من أهل العلم .

قال سراج الدين الدمشقي 2 : - (قال مجاهد 3 هو النمرود بن كنعان بن سام بن نوح 4، هو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر وادعى الربوبية) 5 فانظر إلي صريح قول مجاهد ادعي الربوبية ! وفيه أنه أشرك في الربوبية إلي جانب عدم انسياقه للعبوديه والألوهية ! وهذا من أصرح ما يكون في رد شبهة القوم بأن الرسل لم تبث للدعوة إلي توحيد الربوبية ! فتنبه .

وقال أسعد حومد6 في تفسيره : - (ألم ينته إلى علمك يا محمد نبأ الملك الذي ادعى الربوبية ، فجادل إبراهيم في وجود ربه؟ وما حملة على ذلك إلا الطغيان والكفر والتجبر وطول مدته في الملك ، فطلب من إبراهيم دليلاً على وجود الله ، الذي يدعو إليه . فقال إبراهيم : إن ربي هو الذي يخلق الحياة ، وهو الذي يعدمها . فقال له الملك المجادل المدعي الربوبية (وقيل إنه النمرود بن كنعان) ؛ إنه قادر على أن يحيي بالعفو من حكم عليه بالإعدام ، ويُميت من شاء إمامته بأن يأمر بقتله . فقال إبراهيم : إن الذي يحيي ويُميت قادر على التصرف في الوجود ، وتسخير الكواكب وحركاتها ، فإن كنت كما تدعي إلهاً فبذل حركة الشمس التي تطلع من المشرق ، فأجعلها تطلع من

¹ تفسير الراغب الأصفهاني 537/1 بتحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني .

² أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ).

³ أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي الخزومي (المتوفى: 104هـ) .

⁴ تفسير مجاهد 243 بتحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل.

⁵ الباب في علوم الكتاب 337/4 بتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض .

⁶

المَغْرِبِ . فَبِهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَأُبْلِسَ ، إِذْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وَلَا يُلْهِمُهُمْ حُجَّةً وَلَا بُرْهَانًا . (1)

وقال بن جزى : - ({ الذي حَاجَّ إبراهيم } هو نمروذ الملك وكان يدعي الربوبية) 2

وبعد هذه النقول المتكاثرة وما تركناه أكثر مما نقلناه ما يرسخ في ذهن المسلم أن المشركين كانوا مشركين في الربوبية بجانب شركهم في الربوبية ، وإن لم يكن الرك في هذا النوع شهيراً كما الألوهية غير أنهم لم يكونوا بها مؤمنين ولا - حتي - بجملتها مقربين ، فمن أقر بنوع أنكر نوعاً آخر .

وفي جملة ما ذكرنا رد صريح علي زعم الشيخ عبد المحسن العباد وفقه الله حينما أراد الرد علي المالكي ولم يصب في رده وكان رداً هزلياً في بعض جوانبه ، قال الشيخ العباد في رده علي المالكي 3 :- (فهذه الآيات كلها تدلُّ على أَنَّ الرسلَ إِنَّمَا بُعِثُوا لِأَمْرِ أَقْوَامِهِمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ ، وَعَلَى هَذَا فَأَهْلُ السَّنَةِ جَعَلُوا عِنَايَتَهُمْ وَاهْتِمَامَهُمْ بِمَا اعْتَنَى بِهِ الرَّسُلَ وَبَلَّغُوهُ لِأَقْوَامِهِمْ ، وَهَذَا بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ ، الَّذِينَ جَعَلُوا عِنَايَتَهُمْ بِتَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَالِاسْتِغْثَالِ بِالِاسْتِدْلَالِ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ وَاهْمَالِ بَيَانِ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشِّرْكِ ، مِمَّا تَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ افْتِتَانٌ كَثِيرٌ

¹ أيسرالتفسير لأسعد حومد 256/1 نسخة الشاملة غير موافق للمطبوع .

² التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى 137/1 .

³ وكلام الشيخ بتمامه (قوله: " وهذا التفريق هو الذي جعل مقلدي ابن تيمية يزعمون أَنَّ الله لم يعث الرسل إلا من أجل توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فقد أقر به الكفار!! " . أقول: إنَّ بَعَثَ اللهُ الرَّسُلَ وَإِنزَالَهُ الْكِتَابَ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ ذَلِكَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَتَرْكِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ ، وَقَدْ جَاءَتْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ ، أَمَّا الْإِجْمَالُ فِيهِ مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} ، وَقَوْلُهُ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} . وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي فِيهَا التَّفْصِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْأَعْرَافِ عَنْ نُوحٍ: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، وَقَوْلُهُ عَنْ هُودٍ: {وَأَلِيَّ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، وَقَوْلُهُ عَنْ شُعَيْبٍ: {وَأَلِيَّ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ أَنَّهُمْ قَالَوا لِأَقْوَامِهِمْ: {إِنَّا نُرْسِلُكُمْ بِالْبُرْهَانِ وَالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ} ، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: {وَإِذْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} . فَهَذِهِ الْآيَاتُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّسُلَ إِنَّمَا بُعِثُوا لِأَمْرِ أَقْوَامِهِمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ ، وَعَلَى هَذَا فَأَهْلُ السَّنَةِ جَعَلُوا عِنَايَتَهُمْ وَاهْتِمَامَهُمْ بِمَا اعْتَنَى بِهِ الرَّسُلَ وَبَلَّغُوهُ لِأَقْوَامِهِمْ ، وَهَذَا بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ ، الَّذِينَ جَعَلُوا عِنَايَتَهُمْ بِتَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَالِاسْتِغْثَالِ بِالِاسْتِدْلَالِ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ وَاهْمَالِ بَيَانِ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الشِّرْكِ ، مِمَّا تَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ افْتِتَانٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالِاسْتِغْثَالِ بَعْدَ اللَّهِ وَدَعَائِهِ وَالتَّوْحِيدِ لَهُ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَمَنْ حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ وَبَلَّغَتْهُ الْحُجَّةُ وَلَمْ يَنْبَغْ مِنْهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ ، وَهَذَا هُوَ الشِّرْكَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ الرَّسُلَ لِذَعْوَةِ أَقْوَامِهِمْ إِلَى تَرْكِهِ ، أَمَّا تَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ فَإِنَّ آيَاتِ الْكُرْآنِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا تَدُلُّ عَلَى اعْتِرَافِهِمْ بِهِ ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ: إِنَّهُ مُشَارِكٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْخَلْقِ وَالْإِبْرَادِ) انتهى .

من المسلمين بالاستغاثة بغير الله ودعائه والذبح له، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه، ومَن حصل منه ذلك وبلغته الحجّة ولم يتب منه فهو مشرك بالله، وهذا هو الشرك الذي بعث الله الرسل لدعوة أقوامهم إلى تركه، أمّا توحيد الربوبية فإنّ الآيات الكريمة التي مرّ ذكرها تدلُّ على اعترافهم به، ولم يقل أحد منهم: إنّه مشارك لله عزّ وجلّ في الخلق والإيجاد. (1 ولا نخالف الشيخ في اعتقاد أن الأمر الذي أرسل الله تعالى الرسل من أجله هو عبادة الله وتعبيد الناس لله تعالى ، لصريح قول الله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) 2 . فالله تعالى هو الرب المعبود المتصف بصفات الكمال والجلال .

ولكننا نخالف الشيخ في ظنه أن المقصود من عبادة الله تعالى وحده هو الألوهية دون الربوبية والأسماء والصفات ، وهذا ظن خاطيء ، والصحيح - ولا يخالف في ذلك سني - أن عبادة الله جامعة لأقسام التوحيد كلها فإن تخلفت عن ذلك مسألة واحدة كانت تلك العبادة ناقصة مردودة علي صاحبها ، لأن الأقسام نظرية لتقريب الأفهام وليست للتفريق بين مقصد بعثة الأنبياء ومكان عليه المشركون !.

فمن زعم أن المشركين في أي زمان كانوا مؤمنين بالربوبية فقد زعم باطلا ، وإنما ما ذكره الله عنهم كان إقرار ببعض مسائلها وليس إيمانا بها علي وجه الكمال ، ولذلك حينما كان يزعم بعض الكفرة الربوبية بقولهم أنا أحبي وأميت كما حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى :- (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْبَبْتُ وَأُمِيتُ) 3 كانت بعثة النبي إليه لنفي ذلك الشرك أيضا وتجريد التوحيد لله تعالى مما يشوبه من صنوف الشرك كلها ، ولا يُرد علي ذلك بالرد الهزيل - الذي لا يثبت ولا يستقيم - الذي قال به الشيخ العباد (أقول: لم ينس أهل السنّة ما ذكره الله عن فرعون ومَن

¹ الانتصار لأهل السنّة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي 178-179

² سورة الذاريت 56

³ سورة البقرة 258

حاج إبراهيم في ربه؛ لأنها مثالان من شواذ الخلق، ولم يذكر الله عن رسله أنهم أمروا أقوامهم بأن يُقرّوا بوجود الله وربوبيته للعالمين، بل إنّنا أمروهم بعبادة الله وحده، كما هو واضح من الآيات المتقدّمة؛ وذلك لأنّ الكفار الذين بعثوا فيهم إمّا مقرّون برؤية الله، وإمّا منكرون لها علوّاً واستكباراً (فالمحصّة من قول هؤلاء الكفار أنهم زعموا الربوبية أو شاركوا الله تعالي فيها ، ومجرد شركهم حتي ولو كانوا مقرّبين لله تعالي بها في نفوسهم يعد قادحا في إقرارهم وهذا الشرك واجب التصحيح لا يمرر أمره ولا يهون شأنه ، ولا يقدر الشيخ أن يقول بأن دعوة إبراهيم له لم تكن لإبطال زعمه الربوبية ! فهناك آيات صريحة في سورة البقرة تفند شبهة زعمه الربوبية ، ومن العجيب قول الشيخ السابق : (ولم يذكر الله عن رسله أنهم أمروا أقوامهم بأن يُقرّوا بوجود الله وربوبيته للعالمين ،) فكيف يقول الشيخ في قول الله تعالي : (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) ؟! أليست هذه محاجة في باب أفعال الله تعالي ؟! وبهذا يبطل زعم الشيخ ومن قال بقوله بأن الأنبياء لم يبعثوا لتصحيح الربوبية بل بعثوا لتصحيح الألوهية .

ثم نقول علي فرض صحة زعمكم بأن أكثر آيات القرآن لتقرير توحيد الألوهية فإن هذه الأكثرية ينقضها موقف واحد - كمثلنا هذا - وليس كما تزعمون بأن صاحب إبراهيم " النمرود 1 " وصاحب موسى " فرعون " كانا من شواذ الخلق هؤلاء كانوا محل دعوة هؤلاء الأنبياء ، فتنبه لذلك رحمك الله ولا تنصر لقول أصحابك وتكابر .

ولعل قائلًا يتطاول علينا ويرميننا بما نحن منه براء - من بدعة أو موافقة مبتدعة أو مالي ذلك من قائمة التهم الملفقة لكل راد علي مشايخهم - لمجرد ردنا علي الشيخ ، فحسن بنا أن نقل أقوال بعض علماء المذهب المنتشر في الأرض التي نشأ فيها الشيخ العباد ، فه 11 شيخه - وشيخنا - الشيخ

¹ - هذا الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ويقال نمرود بن فالخ بن عبار بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، والأول قول مجاهد وغيره، قال مجاهد: وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمرود وبختنصر، والله أعلم. تفسير بن كثير 525/1 بتحقيق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت. وفيه نمرود بالذال المهملة . وفي نسخة دار طيبة بتحقيق سامي بن محمد سلامة (نمرود) بالذال المعجمة.

بن سعدي رحمه الله حين تطرق لتفسير تلك الآية التي لم يأخذها الشيخ العباد ومن ذهب مذهبه في اعتباره حينما قرروا أن الأنبياء لم يدعوا لتوحيد الربوبية : (يقول تعالى: { ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه { أي: إلى جرائته وتجاهله وعناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك، وما حمله على ذلك إلا { أن آتاه الله الملك { فطغى وبغى ورأى نفسه مترئسا على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله، فقال إبراهيم {ربي الذي يحيي ويميت { أي: هو المنفرد بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال ذلك المحاج: {أنا أحيي وأميت { ولم يقل أنا الذي أحيي وأميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصا فيكون قد أماته، ويستبقي شخصا فيكون قد أحياه، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلا عن كونه حجة، اطرده معه في الدليل فقال إبراهيم: {فإن الله يأتي بالشمس من المشرق { أي: عيانا يقر به كل أحد حتى ذلك الكافر {فأت بها من المغرب { وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقا في دعواه، فلما قال له أمرا لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحا يقدر في سبيله {بهت الذي كفر { أي: تحير فلم يرجع إليه جوابا وانقطعت حجته وسقطت شبهته، وهذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، فلذلك قال تعالى: {والله لا يهدي القوم الظالمين { بل يقيمهم على كفرهم وضلالهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك، وإلا فلو كان قصدهم الحق والهداية لهداهم إليه ويسر لهم أسباب الوصول إليه، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في جميع الأحوال. 1

¹ تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان 111-112 للشيخ عبد الرحمن بن سعدي .

ولعلك تلاحظ في تفسيره رحمه الله قوله:- " فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله) وهذا صريح في أن الكفار كانوا يشركون في ربوبية الله تعالى ، وليسوا شواذ كما ذكر الشيخ ! وهذا رجل من أهل السنة أيضا فلا أدري أخفي عليه أم أن لقب أهل السنة صار علما علي من يوافق منهج الكاتب !؟

وقوله :- " فقال إبراهيم {ربي الذي يحيي ويميت} أي: هو المنفرد بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، " وهذا فيه تصريح لا يكابر أمامه مكابر في أن إبراهيم عني بتصحيح شرك المشرك في ربوبية الله . ولم يقل له بأن ربي الله المستحق للعبادة . فحينما كلمه إبراهيم كلمه بما هو مستقر في النفوس الطبيعية من نسبة الخلق والإحياء والإماتة إلي الرب دون باقي صفات الربوبية التي قد تخفي علي الدهماء ولا يعقلها إلا أصحاب الفطر النقية السليمة .

وقوله رحمه الله : " فقال ذلك المحاج: {أنا أحيي وأميت} ولم يقل أنا الذي أحيي وأميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، " يدل علي أن النمرود أشرك في ربوبية الله تعالى ، وأن هذا الشرك كان محل دعوة إبراهيم عليه السلام ، فلما قوبل إبراهيم بهذا الشرك الصريح في الربوبية قابلهم بتنفيذ شبههم والرد علي باطلهم ، ولم يسكت علي ذلك ، بل أنكر عليهم زعمهم ذلك ، فلا ندري من أين أتى هؤلاء الزاعمون بأن الأنبياء لم يكن مقصد بعثتهم الدعوة إلي الربوبية ؟! والحق أن بعثتهم كانت لأجل التوحيد الكامل الخالص لا لأجل ألوهية دون ربوبية ، وما نتج هذا الخلط إلا عن التفريق بين أقسك التوحيد الاصطلاحية ومحاولة إسقاطها علي أرض الواقع . وقول إبراهيم عليه السلام {فأت بها من المغرب} دليل صريح علي رده علي زعمه ربوبية الله تعالى .

وانظر سلمك الله إلي قول الشيخ : - " ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير " ففيه استشهاد بما حدث من إبراهيم عليه السلام أنه إثبات لربوبية الله ، وإلا لو كانت ربوبية الله الخالصة - له وحده دون منازعة ومشاركة - مستقرة في نفوس الكفار لما كان هذا الاستنباط ذا جدوي وفائدة ! ولكن الشيخ صرح به حتي إن زعمه زاعم فيكون ذلك ردا شافيا عليه مفتحاً له كما أحم سلفه الضال .

وخالصة ما نستنبطه من كلام الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله هو الرد الصريح علي من زعم أن الأنبياء لم يبعثوا من أجل توحيد الربوبية ! وأن أهل السنة متفقون علي ذلك . ولا ننسي هنا أن نقيد الكلام حتي لا يفهم من بعض ضيقي العقول علي غير مراده فنقول ، إن الله تعالي لم يبعث الرسل إلا لتعبيد الناس لله تعالي عبادة كاملة ، والعبادة الكاملة لا تكون إلا بإفراد الله تعالي في ربوبية وألوهيته وأسماء وصفاته ، وقد كان شرك الأمم السابقة في تلك الأنواع كلها مع اختلاف قليل بينهم فمنهم من يشرك في نوع دون نوع ومنهم من يقر بنوع دون نوع إلي غير ذلك ولما كان شرك الأولين في القسمين الآخرين أظهر من القسم الأول انصبت دعوة الرسل إلي تحقيقه وتصحيحه وحينما يجدون من أمهم من يقع في أي نوع من الشرك يصححوه وهذه عقيدتنا وهي عقيدة أهل السنة والجماعة المبنية في الكتاب والسنة وليس في الكتاب والسنة ما يخالفها .

كما صرح الإمام الأوسي¹ رحمه الله بادعاء النمرود الربوبية حيث قال :- (والمراد بالموصول نمرود بن كنعان بن سنجاريب وهو أول من تجبر وادعى الربوبية ، كما قاله مجاهد وغيره)²

وقال الشيخ الجزائري³ حفظه الله : - ({ فِي رَبِّهِ } : في شأن ربه من وجوده تعالي وربوبيته وألوهيته للخلق كلهم .)¹ وقال أيضا : - (فقال تعالي مخاطباً رسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : {

¹ شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الأوسي

² روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 326/2 نسخة الشاملة غير موافق للطبع.

³ أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري نزيل المدينة النبوية المنورة .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ { أَي: لم ينته إلى علمك حجاج ذاك الطاغية الذي بطرته نعمة الملك الذي آتيناه امتحاناً له فكفر وادعى الربوبية وحاج خليلنا فيبين إنه لأمر عجب. إذ قال له إبراهيم ربي الذي يحي ويميت، وأنت لا تحيي ولا تميت، فقال أنا أحيي وأميت، فرد عليه إبراهيم حجته قائلاً: ربي يأتي بالشمس من المشرق فات بها أنت من المغرب، فاندھش وتحير وانقطع وأيد الله وليه إبراهيم فانتصر)

وفي التفسير الميسر 2 :- (هل رأيت -أيها الرسول- أعجب من حال هذا الذي جادل إبراهيم عليه السلام في توحيد الله تعالى وربوبيته) 3 وبهذا نكون قد فندنا شبهة علقنا في أذهان كثير من منتسبي منهج السلف في زماننا المعاصر تقليدا لبعض مشايخهم دونما أعمال لعقل ولا بحث عن حقيقة ، فتنبه رحمك الله لذلك ولا تتسرع في الحكم علي من خالفك أو رد عليك ، فلعل كلمة خفيت عليك تتكبر عنها هي الحق الذي أراده الله تعالى ورسوله وكانت هي منهاج النبوة . أسأل الله تعالى التوفيق والسداد .

مبحث في ذكر الجزء المردود من قول المتأخرين ووجه التوفيق بين القولين.

ونلخص ما نتعقبه في كلام مشايخنا وهو زعمهم إيمان كفار العرب أو توحيدهم في الربوبية . بل الحق أنهم كانوا كفارا بالربوبية ككفرهم بالألوهية والأسماء والصفات . فهم قد كفروا بكل أنواع التوحيد لم يؤمنوا بنوع منه ، وإن كانوا مقرين بمسائل في كل نوع من أنواع التوحيد الثلاثة فهذا لا يدخلهم في الإسلام ولا يطلق عليهم مسمي مؤمنين أو موحدين بقسم من الأقسام .⁴

¹ أيسر التفسير لكلام العلي الكبير 248/1 .

² لمجموعة من العلماء - عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، صادر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

³ التفسير الميسر 271/1.

⁴ قال ابو القاسم المدني : (وأزيد إما أن هذا من مشكلات التقسيم وأن من قسم من العلماء أدخل بعضها في بعض فأثبت أشياء لا ينبغي أن تثبت لأقوام بأعينهم كمن يقول إن الفاكهة هي الموز والبرتقال والتفاح والقتاء مثلا فإذا قال كان فلان يأكل فاكهة فسيفهم أنه ربما كان يأكل قثاء والعكس إذا قيل ليس من الفاكهة العنب فإذا قيل كان

فهم - أي المشركون - قد أقروا ببعض مَسَائِلِ الرُّبُوبِيَّةِ فلا يُقَالُ **آمَنُوا** بِالرُّبُوبِيَّةِ أو **وحدوا** الله توحيد ربوبية ، ولكن يُقَالُ أقروا ببعض مَسَائِلِ الرُّبُوبِيَّةِ وقد يُقَالُ كفروا بِالرُّبُوبِيَّةِ لأن إنكارهم مَسَائِلَ فيها - أي في الربوبية - عاد بهم إلى الكفر فيها ، فحق عليهم كفرهم بِالرُّبُوبِيَّةِ كلها ، فإثبات الكفر المطلق - لكفار قريش - في قسم من أقسام التوحيد الاصطلاحية أو في مجمله له وجه مقبول لان الكفر في جزء من جزئيات التوحيد ينقض التوحيد كله ، بخلاف إثبات الايمان المطلق في قسم من أقسام التوحيد الاصطلاحية أو في مجمله لأن الإقرار أو الإيمان - تنزلا - بجزء من التوحيد لا يكمل التوحيد ولا يعد مؤمنا ولا حتي في تلك الجزئية التي زعم أنه مؤمن بها ، وكذلك أقروا ببعض مَسَائِلِ الأُلُوهِيَّةِ فلا يُقَالُ آمَنُوا بِالأُلُوهِيَّةِ أو وحدوا الله بِالأُلُوهِيَّةِ - وهذا لم يقل به مسلم ، ولكننا قلناه استطرادا للمسألة السابقة - بل يُقَالُ أقروا ببعض مَسَائِلِ الأُلُوهِيَّةِ وكفروا ببعضها ، وقد يُقَالُ كفروا بِالأُلُوهِيَّةِ لأن كفرهم في بعض مَسَائِلِها عاد بإقرارهم في مَسَائِلِ أُخري إلى الكفر فحقت عليهم التسمية وإطلاق الكفر . وكذلك القول في الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ .

ومنشأ الخاط في تلك المسألة هي حصر - أو توهم أو عدم التفطن لدقائق الكلام وجعل - توحيد الرُّبُوبِيَّةِ ممثل - فقط - في الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة ، ولكن - البصير - يعلم أن توحيد الرُّبُوبِيَّةِ هو توحيد الله تَعَالَى بأفعاله ، فكل ما كان من أفعاله داخل في توحيد الرُّبُوبِيَّةِ ، فمن ءامن بذلك فهو موحد بِالرُّبُوبِيَّةِ ومن نقض مسألة من مَسَائِلِها فقد نقض كل هَذَا النوع ويصبح إطلاق الإيمان عليه من باب السفسطة و تسمية الشيء بغير اسمه .

فلان يأكل فاكهة فلا بد أنه لم يكن يأكل العنب وهكذا ، وأن التقسيم صحيح في مجمله أولا يترتب علي عدم الدقة فيه مشكلة حقيقية ولكننا نحن من نحجف ونزيد ما لم يزد الله ورسوله فمثلا لم يقل الله تَعَالَى ولئن سألتهم من ربهم ليقولن الله بل ولا معني هَذَا اللفظ إذ كان الأمر علي العكس حيث يطالبهم بتحقيق هَذَا القول أي أن يقولوا ربنا الله).

والأحكام الوقوف علي ما ثبت في الشرع بعدم إطلاق الإيمان والتوحيد عليهم في أي من أنواع التوحيد الاصطلاحية وعليه فلا يطلق لفظ إيمان بالربوبية أو آمنوا بتوحيد الربوبية أو غير مشركين بالربوبية ولا يقال أقروا بتوحيد الربوبية إذ هم لم يقرؤا بكل مسأله والله المستعان .

مبحث في الرد علي زعم أن مدلول كلمة الإيمان مختلف ، وبيان الإيمان الذي أراه الله تعالى من

خلقه

قَالَ قائل : (ففرق بين تعريف الإيمان عند أهل السُّنَّة والذي كما يقول شيخ الإسلام هو تعريفه عند الإطلاق وفرق بين تعريفه عند التقييد فتنبه قَالَ تعالى : " أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ " ⁽¹⁾ ⁽²⁾

أقول : حينما يطلق عالم لفظة إيمان فيتبادر الذهن إلي الإيمان المطلوب من العباد ، فلا يصح أن يطلق عالم - مهما علا قدره - لفظة يكون في سماعها فتنة لبعض المسلمين ، وعليه فمن يزعم أن الإيمان الذي يقوله عن مشركي العرب ليس الإيمان الذي يقوله عن المسلمين مع أن المسألتين في باب واحد من أبواب العقيدة ؟!

بل الإيمان المطلوب من العباد واحد ، حقه المسلمون ونقضه الكافرون ، ومن حقه يقال حقه ومن حقق جله ونقض مسائل فيه يقال نقضه ولا يقال حقه ، وعليه فمن ءامن بالتوحيد يقال مؤمن ومن ءامن بجل مسائله وكفر بمسائل قليلة منه يقال كافر ولا يقال مؤمن .

وقد أفهم من نقلك : (فرق بين تعريف الإيمان عند أهل السُّنَّة) أن لأهل السُّنَّة تعريف للإيمان ، ولا تجهله حفظك الله ، فلماذا حينما تذكر الكفار تذكر نفس لفظة الإيمان بلا تقييد بأن هذه اللفظة مدلولها غير مدلول لفظة الإيمان السابقة التي تذكرها عن أهل السُّنَّة ؟! هذه زلة زلت فيها حينما لبست علي الناس بلفظة واحدة قصدت بها معنيين في مكانين متقاربين ، ظن المسلم أن المراد من اللفظة واحد ثم زعمت أن لكل لفظة منهما مدلولها .

1 سورة العنكبوت 67

² هذا رد الأخ الفاضل مُحَمَّد أمين المشرفي الوهراني علي ذات الموضوع السابق ذكره .

ثم قولك بأن هناك فرق بين تعريف الإيمان عند الإطلاق والتقييد! يلزم من يقول بأن مشركي العرب كانوا مؤمنين بالرُّبُوبِيَّةِ بأن يقيد كلامه ويفصله! فإيمانهم ليس بإيمان ولا توحيد! ولكنه اعتراف وإقرار وإن سماه الله تعالى إيمانا فليس المقصود به الإيمان الذي حققناه نحن! وعليه فهناك فرق بين قولي: أنا مؤمن بالرُّبُوبِيَّةِ وأبو جهل مؤمن بالرُّبُوبِيَّةِ!!! طبعا هناك فرق شاسع، لأن إيماني ليس كإيمان أبي جهل! فإيماني اعتقاد بقلبي وقول بلساني وانقياد بجوارحي، أما إيمان أبي جهل فاعتراف باللسان في بعض المسائل! وعليه فليس هو بإيمان إلا إذا فصلت،

ثم في قول الله تَعَالَى: (أَقْبَالِ الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ)¹ أقاويل معروفة كما في تفسير القرطبي:

قَالَ قَتَادَةُ: أَقْبَالِ الشَّرْكَ . وَقَالَ يَحْيَى ابْنُ سَلَامٍ: أَقْبَالِ بِلَيْسَ .

(وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ)² قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَفْبَعَا فِيَةِ اللَّهِ . وَقَالَ ابْنُ شَجَرَةَ: أَفْبَعَاءُ اللَّهِ وَاحْسَانَهُ وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ: أَفْبَمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَهـ

فقف يا أخي حيث وقف القوم تفلح، وإلا فقد تفتح علي نفسك باب الجدل العقيم الذي يؤدي بصاحبه المهالك، ولا عليك بقول فلان أو فلان إذا تبينت لك مخالفتهم، فكل امرئ حجيج نفسه

والسبب الذي جعلنا ننبه علي هذا الأمر، هو اشتغاره بين عامة الناس، الذين لا يفرقون بين ألفاظ اللغة! - التي تجيد معانيها أنت - فرأيت كثيرا منهم يرمون أناسا بأنهم مؤمنون بالرُّبُوبِيَّةِ ومشركون بالألوهية! علي ما فهموه من هذه المسألة، وقالوا باللفظ: هم ككفار قريش، لأن كفار قريش ءامنوا بالرُّبُوبِيَّةِ وأشركوا بالألوهية!، وقولهم لا شك خطأ فادح وتكفير للمسلمين ظاهر،

¹ سورة العنكبوت 67

² سورة العنكبوت 67

نتج عن جهل فاضح وتقليد أعمي لبعض المشايخ ، وتعليم خاطيء من بعض الشيوخ جعل الأمر فتنة على كثير من العوام ، فتنبه لما نهبتك إليه . فليس الأمر ، انتقادا لمجرد الانتقاد ! أو شهوة في التكلم والرد ، عافانا الله وإياك من ذلك .

بل هناك مصيبة كبيرة يقع فيها - بالفعل - كثير من عوام المسلمين ، وهي رمي - بعض - المسلمين بالكفر الصريح ، وتشبيههم بكفار قريش ، بدعوي أن كليهما مؤمن بالرُّبُوبِيَّة ، ولم يدر المسكين الفرق بين إيمان المسلم - حتى وإن فعل المحرمات ووقع في الشبهات أو اقترف الكبائر والبدع - وإيمان رأس الكفر وطاغية الأمة أبي جهل وقومه ! فتنبه أخي رَحِمَكَ اللهُ لمغزي كلامي .

مبحث في ذكر مقالة للأخ أبي عمر السمرقندي في تصحيح خطأ مشهور انتشر بين طلبة العلم .

كتب الأخ الفاضل أبو عمر السمرقندي ¹ حَفِظَهُ اللهُ مبينا خطأ مشهورا يقع فيه كثير من طلبة العلم دون أن يشعروا ، فقال : (المحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد

- فمن الأمور الذائعة المشهورة بين كثير من طلبة العلم أنَّ مشركي العرب إنما كان شركهم في توحيد الأُلُوهُيَّة فحسب ، وأما توحيد الرُّبُوبِيَّة والأَسْمَاء وَالصِّفَات فكانوا موحدين فيها ² .
- وهذا الأمر على إطلاقه هكذا غير صحيح لدلالة نصوص الكتاب والسُّنَّة على خلافه .
- فقد دلت دلائل الكتاب والسُّنَّة على أنَّ مشركي العرب (وقريش منهم خاصة) كانوا واقعين في جمل من شرك الرُّبُوبِيَّة والأَسْمَاء وَالصِّفَات .

¹ أحد إخواننا أعضاء ملتقى أهل الحديث .

² يجادل في هذا بعض الإخوة زاعمين عدم وجود من يقول بذلك ، وسنفرد له فصلا لتبنيه فقط .

• والموضوع فيه شيء من البسط ؛ ولعلي أشير ههنا إلى نبذ مختصرة تكون جامعةً لشملة ، وافيةً بمقصوده .

• أما سبب الوهم الذي يتداوله كثير من المبتدئين وبعض الخاصة في هذا الأمر فلعل أصله ما ذكره الشيخ الإمام المجدد : مُحَمَّد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في بعض كتبه ، ومنها كشف الشبهات ، من قضايا ، كان فيها شيء من الإجمال ؛ منها :

1- ما ذكره من : أن مشركي العرب أحسن حالاً من مشركي زمانه رَحِمَهُ اللهُ وزماننا أيضاً ؛ وذلك لأنهم كانوا يدعون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده في الضراء بعد أن كانوا يشركون معه غيره في السراء ، ولهذا شواهد من الكتاب والسنة ؛ كقوله تعالى : ((وَإِذَا رَكبُوا فِي الْفَلَكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)) ، وأما مشركو زمانه وهذا الزمان فإنهم يدعون البدوي أو عبدالقادر أو غيرها حتى وقت الشدة .

2- ما ذكره من : أن المشركين كانوا مقرين لله بربوبيته وأفعاله ، موحدين إياه فيها ؛ ولهذا شواهد منها : قوله تعالى : ((وَلئن سألْتهم من خلقهم ليقولنَّ اللهُ فأنى يؤفكون)) وكقوله تعالى : ((ولئن سألْتهم من خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً)) ، وغيرها من الآيات .

• قال أبو عمر : وهاتان القضيتان صحيحتان في الجملة ؛ لكن كان في المشركين (نوع) شرك في الربوبية ، والأسماء والصفات ؛ كما كان عندهم نوع شرك في توحيد الألوهية .

• وبيان هذا في النقاط التالية :

1- النقطة الأولى : أن مشركي العرب ما كانوا يوحّدون العبادة كلها لأصنامهم ؛ بل كانت لهم عبادات لله تعالى ؛ كالذبح والنذر والصلاة والحج والصوم والإطعام وغير ذلك .

- لكن شركهم الذي كفروا به¹ إنما كان في (إشراكهم غير الله) فيما هو من خصائص الله تعالى؛ وذلك بصرف شيء من أنواع العبادة لغيره.
- كالذبح لله ولغيره، ودعاء الله ودعاء غيره، ورجاء الله ورجاء غيره، والخوف من الله والخوف من غيره ومحبة الله ومحبة غيره، و... و... الخ.
- أما أنهم كانوا متمخضين في الوثنية فهذا لم يكن؛ كحال كثير من أمم الكفر الغارقة في الوثنية؛ كطوائف من الهندوس، وأشتات من وثني أفريقيا وأدغال الأمازون و... الخ.
- فهذه الأمم - فيما يحكى عنهم - تتوجه بالعبادة كلها إلى غير الله، وكثير منهم لا يعرف أن له إلهاً في السماء أصالةً.
- إذا تبين هذا علم أن مشركي العرب كانوا يشركون بأفراد من توحيد الألوهية، وهو: توحيد الله بأفعال العباد، ولم يكونوا مشركين بصرف العبادة (كلها) لغير الله سبحانه وتعالى.
- 2- النقطة الثانية: أن مشركي العرب مع توحيدهم الله وإقرارهم له سبحانه في (أصل) توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية إلا أنهم كانوا واقعين في (أفراد) من الشرك في هذين التوحيدين أيضاً.
- قال أبو عمر: وشواهد هذا الأمر في الكتاب والسنة كثيرة:
- أما ما كان في شرك العرب في توحيد الأسماء والصفات فقوله تعالى: ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه)). وقوله تعالى: ((قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً

¹ ليس هذا شركهم فقط، بل أظهر مسألة خالفوا فيها هي توحيد العبادة لأنها المحك العملي للتوحيد.

ما تدعوا فله الأسماء الحسنى)) . وقوله تعالى : ((وهم يكفرون بالرحمن هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب)) .

• والشاهد من هذه الآيات الثلاثة : أَنَّ المشركين كانوا لا يَقْرُون ببعض أسماء الله تعالى ؛ كالرحمن .

• وأما ما كان من شركهم في الرُّبُوبِيَّةِ فقولهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مَطْرُنَا بِنُوءِ كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي نَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مَطْرُنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي ، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ)) .

• والشاهد من هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّ الشَّرْكَ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ بِالنُّجُومِ (وَهُوَ نِسْبَةُ نَزُولِ الْمَطْرِ أَوْ سَبَبِهِ إِلَى الْأَنْوَاءِ وَالنُّجُومِ) إِنَّمَا هُوَ شَرِكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ . وَوَجْهُ كَوْنِهِ شَرِكًا فِي الرُّبُوبِيَّةِ : أَنَّهُ اعْتِقَادُ تَأْثِيرِ بَعْضِ الْأَنْوَاءِ بِكُونِهَا مَنْزِلَةً لِلْمَطْرِ أَوْ سَبَبًا لِنَزُولِهِ ؛ وَالْوَاجِبُ نِسْبَةُ إِنْزَالِ الْمَطْرِ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَعَدَمُ جَعْلِ شَيْءٍ سَبَبًا لَمْ يَجْعَلْهُ اللهُ كَذَلِكَ . وَهَذِهِ النِّسْبَةُ تَنَاقُضُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ الَّذِي هُوَ تَوْحِيدُ اللهِ بِأَفْعَالِهِ ؛ وَمِنْ أَفْعَالِهِ : إِنْزَالُ الْمَطْرِ .

• وَمِنْهَا : قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الطَّيْرَةُ شَرِكٌ ، الطَّيْرَةُ شَرِكٌ) ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنْ الرِّقَى وَالتَّمَامُ وَالتَّوَلَةُ وَالتَّيْرَةُ شَرِكٌ) . وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ : أَنَّ الطَّيْرَةَ - وَهِيَ التَّشَاؤْمُ - شَرِكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ . وَوَجْهُ كَوْنِهِ شَرِكًا فِي الرُّبُوبِيَّةِ : أَنَّهُ اعْتِقَادُ تَأْثِيرِ بَعْضِ الْأَعْيَانِ أَوْ الْأَزْمَانِ بِالشَّرِّ وَالسُّوءِ عَلَى النَّاسِ ؛ وَالْوَاجِبُ نِسْبَةُ الْخَلْقِ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَهُوَ يَنَاقُضُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ ؛ الَّذِي هُوَ تَوْحِيدُ اللهِ بِأَفْعَالِهِ .

- وكذا الاعتقاد في التولة (وَهُوَ مَا يَصْنَعُ مِنَ الرَّقِيِّ الَّتِي تَحْبِبُ أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ لِلْآخَرِ) أنها جالبة للنفع ، أو الرقي عموماً أنها دافعة للضرر ؛ كالعين والسحر والجن ، فهذا كله من الشرك في توحيد الرُّبُوبِيَّةِ .
- وكذا قولهم : (وما يهلكنا إلا الدهر) ؛ فهذا نسبة الإماتة للدهر ، وَهُوَ شَرِكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ .
- وكذا قولهم في الشجرة المتبرِّك : (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) ؛ فَقَالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى : " اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة " ، ووجه اعتقاد جلب النفع من غير الله وَهُوَ شَرِكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ .
- وكذا حرمة التصوير ؛ بتعليل : (المضاهاة لله تعالى في الخلق) ، هو من هذا الباب ، وكان المشركون أصحاب تماثيل وتصاوير .
- قَالَ أَبُو عَمْرِو السَّمْرَقَنْدِيُّ : وَمَنْ تَتَبَعَ وَجَدَ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرْتُ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الْخَاطِرَةِ السَّائِرَةِ عَلَى الذَّهْنِ .
- قَالَ أَبُو عَمْرِو : وَلَوْ جَعَلْنَا (تَوْحِيدَ الْحَاكِمِيَّةِ) قِسْماً رَابِعاً مِنْ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ - وَهُوَ وَجْهَةٌ نَظَرٌ - وَلَكِنَّهُ خِلَافَ الْمَشْهُورِ إِذْ هُوَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ ، أَقُولُ : وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قِسْماً رَابِعاً لَقَلْنَا إِنَّ مَشْرِكِي الْعَرَبِ - وَغَيْرَهُمْ كَالْيَهُودِ - كَانُوا وَاقِعِينَ أَيْضاً فِي شَرِكِ الْحَاكِمِيَّةِ .
- قَالَ أَبُو عَمْرِو : قَدْ تَقَدَّمَ نِقَاشُ سَالِفٍ فِي مَسْأَلَةِ كَوْنِ الْحَاكِمِيَّةِ قِسْماً مِنْ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ أَوْ لَيْسَ مِنْهَا ؛ فَلَا دَاعِيَ لَطَرَحِهِ هَهُنَا مِنْ جَدِيدٍ .
- قَالَ أَبُو عَمْرِو : فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ - وَقَدْ قِيلَ - : فَكَيْفَ يُجْمَعُ بَيْنَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ إِقْرَارِ الْمَشْرِكِينَ بِأَفْرَادِ الرُّبُوبِيَّةِ وَبَيْنَ مَا ذُكِرَ مِنْ وَقُوعِهِمْ فِي أَجْنَاسٍ مِنَ الشَّرِكِ بِهِ ؟ ! . فَالْجَوَابُ سَهْلٌ :

وَهُوَ أَنَّ الإقرار محمول على الإقرار من حيث (الجملة) ، وليس في كل الأفراد . وأما الشرك الذي كانوا واقعين فيه فهو في بعض الأفراد دون بعض .

• قال أبو عمر : وينبغي على هذه النتيجة حمل كلام الأئمة المجمل عليه : كقول الشيخ الإمام مُحَمَّد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في كشف الشبهات : (وإلَّا فهؤلاء المشركون مقرُّون يشهدون أَنَّ اللهُ هو الخالق الرازق وحده لا شريك له ... فإذا أردت الدليل على أَنَّ هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشهدون بهذا فاقراً قوله تَعَالَى : (قل من يرزقكم من الموات والأرض ... فسيقولن الله ، فقل : أفلا تتقون ؟) ... فإذا تحققت أنهم مقرُّون بهذا وأنه لم يدخلهم في التَّوْحِيد ...) . الخ كلامه رَحِمَهُ اللهُ .

• والشيخ رَحِمَهُ اللهُ إنما أراد الردَّ على مشركي زمانه الذين كانوا يفسرون التَّوْحِيدَ بالرُّبُوبِيَّةِ فحسب ؛ فبَيَّنَّ أَنَّ شرك العرب كان (معظمه) في الألوهِيَّةِ ؛ وَهُوَ ما كانوا واقعين فيه ؛ وَهُوَ اتخاذهم الوسائط إلى الله ؛ فشركهم مثل شرك من قبلهم ؛ بل أشد .

• وقد عنون هو رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الآخر (التَّوْحِيد) أبواباً يفهم منها هذا الذي بيَّنته ونهت عليه ؛ كباب من تبرَّك بشجرة أو حجر أو نحوهما ، وباب ما جاء في التطيُّر ، وباب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء ، وباب قوله : (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ...) ، وباب من سبَّ الدهر فقد آذى الله ، وباب من مجد شيئاً من الأسماء وَالصِّفَاتِ ... الخ ، والنصوص التي أوردها تحت هذه الأبواب أوضح بيان على ما ذكرت .

• وَقَالَ في مَسَائِلِ الجاهلية : المسألة 38 : الإلحاد في الصفات ؛ كقوله تعالى : ((ولكن ظننتم أَنَّ اللهُ لا يعلم كثيراً مما تعملون)) .

- وفي المسألة 39 : الإلحاد في الأسماء ؛ كقوله : ((وهم يكفرون بالرحمن)) .
- وكذا من المجمل قول حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن : ((أما توحيد الرُّبُوبِيَّة : فهو الذي أقرَّ به الكفَّار على زمن النبي صلى الله عليه وسلم)) ؛ أقول : أقرَّ به الكفَّار جملةً .
- وكقول الإمام الصنعاني في أول كتابه : تطهير الاعتقاد ؛ نحو هذا .
- وكقول الشيخ أحمد ابن إبراهيم ابن عيسى في كتابه : (الرد على شبهات المستعنيين بغير الله) : ((القسم الأول : توحيد الرُّبُوبِيَّة ... وهذا القسم قد أقرَّ به مشركوا العرب)) فهو مجمل يحمل على ما بيَّنته من التفصيل .
- وكذا قوله وغيره في الكتاب نفسه : (أول ما حدث الإلحاد في أسماء الله وصفاته بنفي ما دلَّت عليه الأسماء والصفات مقالة لجعد ابن درهم ... الخ) فهذا غلطٌ على إجماله ، والصواب وهو الذي يحمل عليه كلام الشيخ وغيره أنه قد حصل من المشركين نفي شيءٍ منه كما تقدّم ؛ لكنَّ الأُولِيَّة التي حصلت بالجعد إنما كانت بعد ظهور الإسلام . والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .) انتهى كلامه ¹ . وقد بين ما تكلمنا عنه فأجاد في عرضه وأفاد فجزاه الله خيرا .

¹ أصل كلامه منشور في ملتي أهل الحديث تحت عنوان : (كان مشركوا العرب واقعين في الشرك في أنواع التوحيد الثلاثة (تصحيح خطأ مشهور) .) .

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ دَعْوَةِ الرَّسْلِ إِلَى تَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَبَطْلَانِ زَعْمِ مَنْ يَزْعَمُ أَنَّهُمْ لَمْ يَبْعَثُوا مِنْ أَجْلِهِ

وليعلم الناس أن التَّوْحِيدَ الذي أرادَه اللهُ تَعَالَى من العبيد هو توحيد كامل ، غير منقوص ، أي توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، فالله تَعَالَى حينما أرسل رسله إلى خلقه أرسلهم ليجردوا التَّوْحِيدَ لله تَعَالَى ، ليفردوه تَعَالَى بالتَّوْحِيدِ دون كل ما سواه في كل ما يُوحَدُ فيه سُبْحَانَهُ ، وإن كانت العبادة أشهر مسألة دعا الانبياء أقوامهم إليها فلا يعني ذلك أنهم أرسلوا من أجلها فقط ، بل أرسلوا من أجل التَّوْحِيدِ جملة وتفصيلا . ولا أعلم واشتمل وأحكم وأسلم من الوقوف على ما وقف عليه السلف الصالح .

وقد بينا فيما سبق - وبين العلماء كثيرا - أقسام وأنواع التَّوْحِيدِ التي ترجع كلها إلى كلمة واحدة وهي الإسلام . فمن زعم الإسلام فلا بد أنه قد حقق هذا التَّوْحِيدَ ، وإن نقض مسألة من مسائل التَّوْحِيدِ فقد انتقض إسلامه بقدرها ، كما ثبت عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله لعمر : (إن من حقها الزكاة) .

وعليه فقد أرسل الله تَعَالَى رسله وأنزل كتبه لدعوة الناس إلى توحيد الله تَعَالَى في كل ما يتضمنه أو يستلزمه توحيد الله . وليس كما يظن البعض أن الرسل أرسلت إلى تقرير توحيد الألوهية لا الربوبية ! بدعوى أن بعض العرب كانوا يقرون لله تَعَالَى بالربوبية ، وهذا غير صحيح ، وحجتنا أن نقول : (وما موقف من ينكر مسائل الربوبية - علي قول من يقول أن النبي بعث لتوحيد الألوهية - من دعوة النبوة ؟!) ، ثم ما موقف من ليس من عرب الجزيرة الذين ينكرون الخالق أصلا كالملاحدين أو الهندوس أو عبدة النار وغيرهم ؟!) وعليه يتبين خطأ من يزعم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث بتوحيد الألوهية لأن الكفار كانوا مؤمنين بتوحيد الربوبية ، وقد بينا -

في هذا البحث - كفرهم بتوحيد الربوبية فلا يقال عنهم ءامنوا أو وحدوا الله في الربوبية بل يقال أقروا ببعض مسائلها وكفروا بالباقي فلا يطلق عليهم ذلك .

قال الشيخ الحازمي : (حينئذ سؤال دائماً طرحه هل دعت الرسل إلى توحيد الربوبية ؟

الجواب : نعم ، خلافاً لما يظنه البعض من طلاب العلم .

هل أرسلت وبعثت الرسل من أجل توحيد الربوبية ؟ الجواب : لا .¹

هل دعا الرسل إلى توحيد الربوبية ؟

نعم قطعاً ، دعت الرسل إلى توحيد الربوبية ، ما أرسل الرسل إلا من أجل التوحيد بأنواعه الثلاثة ، فعلموا الناس وأقاموا الحجة على الخلق ببيان الأنواع الثلاثة ، لكن هل أرسلت الرسل والأنبياء من أجل توحيد الربوبية ؟ الجواب : لا ، وإنما أرسلوا من أجل تحقيق لا إله إلا الله .²

فقد بين الشيخ ما نوهنا إليه بأن الرسل دعت إلى توحيد الربوبية كما دعت إلى توحيد الألوهية ، غير أنه خالف في قوله بأن الرسل لم تبعث من أجل توحيد الربوبية . لأن الرسل - كما وضحنا - بعثت وأرسلت من أجل التوحيد - بكل أركانه وأقسامه وأنواعه وفروعه - لأقوامهم وبعثت خاتمهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا التوحيد لأمته الخاتمة التي هي كافة الناس من لدن بعثته وإلى قيام الساعة ، وفي تلك الأمة - من لدن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى قيام الساعة ، حتى لا يقال لم يكن ذلك علي عهد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الملل والنحل والأهواء والفرق والكفر ما يشيب منه الولدان ، فمنهم من ينكر الخالق ومنهم من يقر به ومنهم من يلحد ومنهم من يعتقد أن الكون خلق نفسه ومنهم من يؤمن بالتطور ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد الوثن ومنهم من يعبد

¹ إجابة هذا السؤال غير صحيحة وقد بيناه عقب النقل . فتنهه .

² شرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، للشيخ أحمد بن عمر الحازمي (الشريط الرابع) بتصرف .

البشر والحجر والشجر . وغير ذلك من الأهواء التي كانت موجودة علي عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل بقاع الأرض ، فليس بصحيح أن يقال أن النبي لم يبعث من أجل توحيد الرُّبُوبِيَّةِ ، وهنا يقال لمن يزعم ذلك : (إذا لم يبعث النبي من أجل هَذَا التَّوْحِيدِ فلماذا دعا إليه ؟!) وهنا يهت ولا يجيب ، لأن كل ما دعا الرسول إليه فقد بُعِثَ مِنْ أَجْلِهِ .

قَالَ الشَّيْخُ الألباني رَحِمَهُ اللهُ : (توحيد الرُّبُوبِيَّةِ المقصود منه أن يعتقد المسلم اعتقاداً جازماً أن خالق هَذَا الكون بما فيه واحد في ذاته، ليس له ند، .. ، وليس له شريك، المجوس يعتقدوا أنه فيه إلهين، إله خالق البشر، وإله خالق الخير، هذول أشركوا في توحيد الرُّبُوبِيَّةِ، عرفت كيف؟، فإذا المسلم - لا سمح الله - اعتقد أن مع الله من الأولياء والصالحين من يضر وينفع، ويحيي ويميت، ويطعم ويرزق، كفر بالتَّوْحِيدِ، توحيد الرُّبُوبِيَّةِ، وأشرك؛ لأنه جعل خالقين، الله يخلق الخير، يخلق الشر، وكان الأولياء والصالحين ويرزقوا وبحيوا ويموتوا، لذلك يروحوا لعندهم، يطلبون منهم بركات.)¹ ومن ذلك تعلم أن هناك من كانوا مشركين في الرُّبُوبِيَّةِ وقد أرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم أيضاً ليدهم علي التَّوْحِيدِ بكلاً أنواعه التي يتعارف عليها المتأخرون .

ومن خالف شعيرة واحدة - من أصول الدين - دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها فقد خالف الإسلام الذي بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجله . فليس عاقل يقول بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا الناس إلي شيء لم يبعث من أجله ! ولا عاقل يزعم أن شعيرة واحدة دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس إليها لم يبعث من أجلها !!! ،

وهنا لابد من ذكر لمحة مهمة وهي خطأ كثير من الإخوة الذين يزعمون أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبعث إلا من أجل التَّوْحِيدِ ! - ويالها من كلمة عظيمة ، تقول قائلها علي الله تَعَالَى

¹ موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر مُحَمَّدُ ناصر الدين الألباني (2 / 63 - 64) بترقيم الشاملة . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعان . وهي تفرغ لمادة صوتية .

وعلي رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير علم - وما دروا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث بالإسلام كاملاً غير منقوص ، فمن أداه - أي أدى ما بلغه منه واستطاعه - فقد حرم ماله ودمه وحسابه علي الله تَعَالَى ، ومن ترك أو جحد منه شيئاً فهو علي قدر تركه ومخالفته ملوم .

وياتري - أسئلة استنكارية - ؛ هل يقاتل أبو بكر الصديق أناساً لأنهم أنكروا الزكاة وطمعوا فيها ولم يخرجوها مع أنهم وحدوا الله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأدوا كل ما عليهم؟! أو لم يعلم ما علمه القائلون بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبعث إلا من أجل توحيد الألوهية؟! فيالله! كلمة تقال لا يلقي لها المسلم بالاً ربما تهوي به في جهنم وتوبق دنياه وآخرته .

فإن قالَ القائل - أي الزاعم القول السابق - : (بل كل شعيرة من الدين مطلوبه ودعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها لكنه لم يبعث من أجلها) نقول له ومن أين لك بهذا الزعم يا آخر؟! هل جهله أو لم يعلمه الأقدمون حتى أتيت به أنت؟! وما الدليل علي كلامك ، هل قالَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثت من أجل كذا ولم أبعث من أجل كذا ولكنكم مأمورون به - أو قالَ ما شابه ذلك أو قاربه -؟! كلا ، لم يقل ذلك ولا ما يقاربه .

بل وردت السُنَّة بخلاف ما تقول ، وَهُوَ أَنَّهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كانوا يتعبدون الله بكل ما قاله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يفتلوا هَذَا سنة وهَذَا واجب وهَذَا مكروه وهَذَا حرام ، بل ولم يكتر التهاون بالدين إلا حينما كثرت الفلسفة في إيصاله أو - زعم - فهمه . وماذا يضريك أخي إن وقفت علي ما وقف عليه سلفك الصالح ؟ فقف حيث وقفوا تفلح .

ولا أظن الشيخ الحازمي¹ وفقه الله تعمد لوازم كلمته التي قالها ولا أظنه يقصدها ويبين ذلك قوله في شرح كتاب التَّوْحِيد : (لَمَّا كَانَ التَّوْحِيدُ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ : تَوْحِيدَ الرَّبُّوبِيَّةِ ، وَتَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ ،

¹ أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي .

وتوحيد الأسماء وَالصِّفَات . هذه ثلاثة أنواع لا يحصل الإيمان بالله تعالى إلا بتحقيق هذه الثلاثة معاً¹ (وقوله حين قال : (دعت الرسل إلى توحيد الرُّبُوبِيَّةِ، ما أُرسِلَ الرسل إلا من أجل التَّوْحِيدِ بأنواعه الثلاثة، فعَلَّمُوا الناس وأقاموا الحجَّة على الخلق ببيان الأنواع الثلاثة)² إذ بين أن المطلوب من الانسان الإيمان كاملاً وهو التَّوْحِيدُ بأنواعه الثلاثة . وَهُوَ ما أُرسِلَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدعوة الناس إليه .

¹ شرح كتاب التَّوْحِيدِ للشيخ أحمد بن عمر الحازمي ، الشريط الثاني والثمانون .

² شرح سلم الوصول في علم الأصول (4 - 4) للحازمي .

فصل في ذكر من قال بشرك الرُّبُوبِيَّةِ في هذه الأمة والرد على من زعم أن مقصد الأنبياء هو الألوهية دون الربوبية .

قال الشيخ مُحَمَّد ابن الحسن ولد الددو وفقه الله مبينا بعض من خالف في توحيد الرُّبُوبِيَّةِ من هذه الأمة : (والذين يخالفون في هذا التَّوْحِيدِ ¹ أجناس، منهم الدهرية، والطبيعيون الذين نسميهم في زماننا هذا بالشيوعيين، الذين ينكرون وجود إله أصلاً، ويزعمون أن هذه الحياة مادة، وأن طبيعة العالم تفرز الطفرات، وأن الطفرة الكبيرة التي اقتضت الانقسام بين السماء والأرض، واقتضت توزع الكائنات هي منشأ هذا العالم، ومنها تغيرت الأمور وكانت بطبيعتها تتولد وتحتك، والاحتكاك الدائم الذي فيها يقتضي حصول تنوع شديد .

كذلك من الذين ينكرون توحيد الرُّبُوبِيَّةِ الذين يزعمون أن لهذا العالم خالقين وهما: النور، والظلمة. وهؤلاء يسمون بالمانوية، وهم يزعمون أن النور هو إله الخير، وأن الظلمة هي إله الشر، وأنه لا خالق لهذا العالم سوى هذين الإلهين، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.) ² انتهى بتصرف ، والسؤال هنا نقول : هل بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهؤلاء بتوحيد العبادة فقط دون توحيد الرُّبُوبِيَّةِ أم أنه بعث إليهم بكل أنواع التَّوْحِيدِ؟! وهل ياتري لو قبلوا عبادة الله تَعَالَى غير معتقدين فيه صفات الرُّبُوبِيَّةِ هل يقبل منهم ويكونوا محققين لما بعث به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم لا؟! وقال الشيخ مُحَمَّد ابن إبراهيم الحمد في بيان الفرق التي أشركت بالرُّبُوبِيَّةِ ³ : (هناك أقوام أشركوا بالرُّبُوبِيَّةِ، وفرق أشركت به، ومن هؤلاء:

1 - المجوس: الأصلية ، قالوا بالأصلين : النور والظلمة، وقالوا: إن النور أزلي، والظلمة محدثة.

¹ يقصد به توحيد الرُّبُوبِيَّةِ .

² دروس صوتية للشيخ مُحَمَّد بن الحسن ولد الددو قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (8 / 24) بترقيم الشاملة .

³ انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ص 24_26. عزو الشيخ الحمد .

2 - الثنوية: أصحاب الاثنيين الأثنيين : يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام، لكن قالوا باختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والخبر، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح، ولم يقولوا بتماثلها في الصفات والأفعال، كما ترى، وإن قالوا بتساويهما في القدم.

3 - المانوية: أصحاب ماني ابن فاتك : قالوا: إن العالم مصنوع من أصليين قديمين، ولكن قالوا باختلافهما في النفس، والصورة، والفعل، والتدبير.

4 - النصارى: القائلون بالتثليث : فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم. أما الأقاليم فإنهم عجزوا عن تفسيرها. وقولهم هذا متناقض أيما تناقض وتصوره كافٍ في رده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى: =ولهذا قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصورُها إلا مقالة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولاً.

وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً، وامرأته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً¹.

وقال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - في معرض رده عليهم : أما خبر ما عندكم أتم فلا نعم أمة أشدَّ اختلافاً في معبودها منكم؛ فلو سألت الرجل، وامرأته، وابنته، وأمه، وأباه، عن دينهم لأجابك كلُّ منهم بغير جواب الآخر¹.

¹ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية 155/2.

بل قيل فيهم: لو توجهت إلى أي نصراني على وجه الأرض، وطلبت منه أن يصور لك حقيقة دينه، وما يعتقد في طبيعة المسيح تصويراً دقيقاً لما استطاع ذلك².

هَذَا وَقَدْ بَيَّنَّ الشَّيْخُ رَحْمَةُ اللَّهِ الْهِنْدِيُّ³ رَحْمَةَ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ (إِظْهَارِ الْحَقِّ) مَا عِنْدَهُمْ مِنَ التَّنَاقُضِ، وَكَذَلِكَ الشَّيْخُ الْفَقِيهَ مُحَمَّدَ أَبُو زَهْرَةَ⁴ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (مَحَاضِرَاتِ فِي النَّصْرَانِيَّةِ).

5 - القدرية: هم في الحقيقة مشركون في الرُّبُوبِيَّةِ، وَهَذَا لَازِمٌ لِمَذْهَبِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ خَالِقٌ لِفَعْلِهِ، فَهَمْ أَثْبَتُوا لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ خَلْقَ فَعْلِهِ.

وَالْخَلْقُ إِنَّمَا هُوَ مِمَّا اخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ]⁵.

وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه - عز وجل -⁶.

6 - الفلاسفة الدهرية: في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله يحدث ما يقدره في الأرض.

7 - عبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم: ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر وتنفع، فيتقربون إليها، ويندرون لها، ويتبركون بها.

8 - غلاة الصوفية: لغوهم في الأولياء، وزعمهم أنهم يضررون، وينفعون، ويتصرفون في الأكوان، ويعلمون الغيب، ولقولهم بوحدة الوجود، وربوبية كل شيء¹.

¹ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، ص 321.

² ما يجب أن يعرفه المسلم عن حقائق النصرانية والتبشير لإبراهيم الجبهان، ص 13.

³ مُحَمَّدٌ رَحِمَتْهُ اللَّهُ بْنُ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ الْكِرَانَوِيِّ الْعُثْمَانِيِّ الْهِنْدِيِّ الْحَنْفِيِّ (المتوفى: 1308هـ)

⁴ محمد بن أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة المتوفى 1974م

⁵ (سورة الصافات: 96)

⁶ انظر مجموع الفتاوى 258/8 والإيمان بالقضاء والقدر للكاتب ص 173_174.

9 - الروافض: لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاء من كل داء، وأمان من كل خوف، ولقولهم: إن أمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

وهذا باطل، وبطلانه لا يحتاج إلى دليل، بل إن فساده يغني عن إفساده².

10 - النصيرية: لقولهم بالوهية علي ابن أبي طالب، وبأنه المتصرف بالكون، لوصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله - عز وجل - مع اختلاف أقوالهم في هذا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويسمّون به الشمسية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويسمّون به القمرية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في السحاب، ولذا إذا رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير النحل³.

11 - الدروز: لقولهم بالوهية الحاكم بأمر الله العبيد، وغلوهم فيه، ووصفه بأوصاف لا تليق إلا بالله وحده، كقولهم عنه: إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور⁴.

12 - من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء: وذلك كحال الذين يتتبعون الأبراج ويقولون - رجماً بالغيب - إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه

¹ انظر هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل، ص 35_38 و133.

² انظر الخطوط العريضة لمحّب الدين الخطيب، تحقيق: محمّد مال الله، ص 69، وانظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر القفازي، ج 1/290، والشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير، ص 66.

³ انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمّد بن أحمد الخطيب، ص 341، ودراسات في الفرق لصابر طعمية، ص 42، والنصيرية، د. سهر الفيل، ص 93_103، والباكورة السلجمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية لسليمان الأذني، دار الصحة.

⁴ انظر عقيدة الدروز، عرض ونقض د. محمّد بن أحمد الخطيب، ص 117، وانظر الحركات الباطنية، ص 233_238.

يبدأ بحرف كذا أو كذا - فسيصيه كذا وكذا، ويضعون عليها دعايات تقول: من شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك.

كل ذلك شرك في الرُّبُوبِيَّة؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

13 - القانونيون: الذين يصدون ويصدفون عن شرع الله، والذين يحكمون الناس بالقوانين الوضعية، التي هي من نحاة أفكارهم، وزبالة أذهانهم. فهؤلاء محاربون لله، منازعون له في ربوبيته وحكمه وشرعه¹ .² انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ .

وفي كلامه تفصيل كاف للمسألة يتبين منها أن في أمتنا صنوف كثيرة من المشركين بالله تَعَالَى شركاً أصلياً ، ومن كلامه نفهم أن كل هذه الفرق والصنوف الكفرية داخلة في أمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد بعث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُم بِالتَّوْحِيدِ الخَالصِ وَهُوَ كَمَا أَسْلَفْنَا تَوْحِيدَ لَا يَشْتَمِلُ عَلَي شَرِكٍ فِي جِزِيَّةٍ مِنْ جِزِيَّاتِهِ بِلَا تَقْسِيمٍ وَلَا تَفْرِيعٍ ، فَهَلْ نَقُولُ لِمَنْ يَزْعُمُ أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَبْعَثْ مِنْ أَجْلِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ أَنَّ شَرِكاً هَؤُلَاءِ خَارِجٌ عَنِ مَضْمُونِ الرِّسَالَةِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا نَبِيْنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟! فَإِنْ قَالَ نَعَمْ فَقَدْ رَدَّ الْكِتَابَ وَإِنْ قَالَ لَا فَقَدْ عَادَ إِلَي قَوْلِنَا بِأَنَّ النَّبِيَّ بَعَثَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَدَعَا إِلَيْهِمْ جَمِيعاً وَلَزِمَهُ الرَّجُوعُ عَنِ زَعْمِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَبْعَثْ مِنْ أَجْلِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ .

وخلاصة القول - حتي لا يتشتت الذهن - أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ بِالتَّوْحِيدِ الكَامِلِ - ألوهية وربوبية وأسماء وصفات وشرائع وعبادات³ - يدعوا الناس إليه ويعرفهم عليه ، فمن قبل

¹ انظر رسالة تحكيم القوانين لساحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ .

² رسائل الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد في العقيدة (3 / 8 - 11)

³ لأن من انكر مسألة شرعية من العبادات التي هي أصول الدين لا يجوز مخالفتها فقد نقض شهادة التوحيد بل والإسلام كله وعليه يكفر .

منه - ما بلغه واستطاعه من - التوحيد أسلم ونجا ومن رد عليه مسألة منه كفر وخاب وخسر -
وكل بحسبه - .

فصل في بيان تناقض القائل - بأن شرك مشركي العرب كان في العبودية وأنهم كانوا مؤمنين بالربوبية - مع لازم قوله.¹

بعدما تبين لك أيها البصير ما قدمناه من وجوب اتباع الحق والتجرد له وحرمة التعصب لأقوال البشر فيما خالفوا فيه الهدي النبوي² ، نبين لك - حفظك الله - الرد علي زعم من زعم - وإن كان من كان ! فلا عليك بالأسماء بقدر الأقوال - أن مشركي العرب كانوا مؤمنين أو موحدين بالربوبية وأنهم كانوا كفارا بالألوهية وأن الأنبياء بعثوا من أجل توحيد العبادة وليس من أجل توحيد الربوبية . فأعزني سمعك وبصرك .

فأبدأ بالجواب علي سؤال السائل : هل شرك العرب كان في الربوبية أم في الألوهية ؟

أقول : التوحيد الذي أراده الله تعالى وأمر به من حيث القبول كل لا يتجزأ . ومن قسمه فقد قسمه اصطلاحياً لتقريب المفاهيم ، وأما في الحقيقة وعلى أرض الواقع فالتوحيد شيء واحد لا يمكن تقسيمه أبداً . ولذلك فلا ينبغي علي التقسيم ذاته فعل .

فلم يقسمه ربنا تبارك وتعالى في كتابه ولم يقسمه نبينا صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه رضي الله عنهم ولا أحدا من السابقين من صالح السلف .

بل دُعينا إلى التوحيد جملة ولم يفصل ربنا بأن التوحيد كذا دون كذا ، وقبلناه جملة ورد الكفار ما لم تهواه عقولهم وتقبله نفوسهم واعترفوا بما لم يؤثر علي شهواتهم واهوائهم ، فقسم العلماء بناء علي أهواء الكفار وقبولهم وردهم التوحيد والأجدر والأولي أن يكون التوحيد كما يحب ربنا ويرضي وليس كما يفعل الكفار ويألفون . وعليه ، فمن نقض مسألة من التوحيد فقد نقض التوحيد كله ولم

¹ (فيه بيان خطأ قول من يقول هذا ، لأنه تكلم من كيسه وحمل الكلام على غير الظاهر منه ، و أن هذا الفهم مغيبته عظيمة على القوام حيث يرمون الناس بهذا الامر العظيم وليس كل مقرر ومعتزف مؤمن إلا علي طريقة من قال بأن الإيمان هو المعرفة)

² انظر الفصل الأول في الكتاب .

يعد مؤمنا بجزء كافرا بجزء!

وليس من السُنَّة الاستطراد في هذه التقسيمات - إلا على سبيل المدارس بين أهل الفن - حتى لا تكون على بعض الجهلاء - وقد كانت - ترة وفتنة.

أما من باب الاصطلاح بين أهل الفن - العقيده - ، فتعارف جمع من العلماء على تقسيم التوحيد إلى قسمين وبعضهم إلى ثلاثة أقسام وبعضهم إلى أربعة أقسام ، ولكل وجهة هو موليا ، وعلى كل ، فكل هذه التقسيمات صحيحة وسائغة من باب الاصطلاح لتقريب المفهوم الشرعي من التوحيد ولا يترتب عليها عمل أو حكم مطلقا ، ولكن ثارت ثائرة بعض من لا يقبل خلافا سائغا من أحد ، ومن أرباب التعصب المذهبي على إخوانهم ، وبدعوهم وشنعوا عليهم لمجرد اجتهادهم في هذا التقسيم ، وهذا - ولا حول ولا قوة إلا بالله - للجهل الفاضح والتعصب الجامح الذي وقعوا فيه!

فياليت شعري! كيف ينكر رجل على رجل مسألة قال فيها بذات القول؟! والله المستعان.

ثم إن أشهر تقسيمات العلماء اصطلاحيا للتوحيد هي القول الثاني وهو القول بثلاثة أقسام.

حيث قسم بعض العلماء التوحيد إلى : - توحيد الربوبية و توحيد الألوهية و توحيد الأسماء

والصفات وهو أشهر التقسيمات بين المتأخرين .

ثم صنف العلماء الفرق والطوائف اصطلاحيا حسب مخالفتهم في أقسام التوحيد حسب كل قسم

، وهو اجتهاد مقبول لا نكير عليه وإن كان لا يخلوا من مناقشة!

فصنفوا كفار قريش على أنهم أثبتوا - أو آمنوا - قسما من التوحيد وهو توحيد الربوبية! وأنكروا

باقي أقسامه وهو توحيد الألوهية والأسماء والصفات!

والحق أنهم لم يثبتوا لله توحيد الربوبية كاملا! ولم ينكروا توحيد الألوهية كاملا! ، بل اعترفوا

بالربوبية وأقروا لله ببعض مسائله فقط! وليس الاعتراف والإقرار بإثبات لتوحيد ولا بإيمان ،

وليس إقرارهم لله بالألوهية مع اتخاذهم معه شركاء بمدخل لهم في الإسلام ، لأنهم خالفوا كل أنواع

التَّوْحِيدَ وأشركوا بالله تعالى في الرُّبُوبِيَّةِ واتخذوا أصناما يضاهئون بها الله تعالى وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى!

وعليه فهم لم يؤمنوا بأن الله تعالى هو رب هذا الكون ، وإن زعموا الإيمان فهو ليس بإيمان بقدر ما هو اعتراف إجمالي وتَقْوُلٌ لفظي فقط !! فافهم ذلك رعيت .

فليس كل من اعترف بشيء فهو مؤمن به ! وليس كل من ادعي دعوي فهو صادق فيها !

فهذا إبليس اللعين الذي يعترف بأن الله هو الخالق الباريء المستحق للعبادة ، ومع ذلك فهو رأس الكفر والضلال والشرك والإلحاد !! فليس اعترافه بإيمان ، وعليه فلم يقل أحد من أهل العلم بأن إبليس مؤمن بالله تعالى ربا وإلها ومستيقن بذلك قلبه غير أنه كافر كفر إباء واستكبار فقط، مع أن هذا كلام حق لا شك فيه ! غير أن كفره هذا نفي عنه جميع التَّوْحِيدِ فسمي كافرا مشركا .

وكذا ليس اعتراف كفار قريش بأن الله خالق السماوات والأرض بدليل على أنهم مؤمنون بربوبية الله تعالى ! إذ كيف تزعم أنهم آمنوا بقسم كبير من التَّوْحِيدِ مع أنهم لم يقروا إلا ببعض جزئياته فاثبتته لهم كله ؟! ثم وقعت في تناقض مع نفسك حينما - خالفت قاعدتك السابقة التي قعدتها -

زعمت أنهم كفروا بالألوهية مع أنهم أقروا ببعض جزئياته أيضا ؟!

ولأن الرُّبُوبِيَّةِ والألوهية شيء واحد لا يتجزأ إلا في العقول !!! أما على أرض الواقع فهما مترابطان متلازمان وأقل شك في أحدهما ينقض الآخر !

وعليه فلا يجوز ولا يصح أن يُنشر بين عموم الناس بأن كفار قريش كانوا مؤمنين بربوبية الله أو موحدين توحيد ربوبية - !! كما يفعل بعض إخواننا عفا الله عنهم - فهذا من الجهل الفاضح ! إلا إذا

بينت ووضحت بأن هذا تقسيم لفظي اصطلاحِي وليس بتقسيم شرعي!

فليسوا في الشرع موحدين ولا مؤمنين ! بل هم كفار أصليون أي كفار بالتَّوْحِيدِ كله و كفار بأجزائه كلها.

كمن ءامن بنبوة كل الأنبياء وأنكر نبوة مُحَمَّد أو عيسي أو موسى أو إبراهيم ! فليس بمؤمن بل هو كافر ، لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة ولأن الكفر بواحد منهم يستلزم - بل هو بالفعل - الكفر بالباقيين ، ولأنهم إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى.

وكمن ءامن بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمُحَمَّد نبياً وبالقرآن دستوراً وبكل شرائعه ثم انكر الزكاة ولم يؤدها وحجدها ! فهو ليس بمسلم ، بل هو مرتد كافر حلال الدم إذا لم يتب ، ويَجِبُ على ولى الأمر محاربتة إن كان له شوكة أو أخذ الزكاة منه ونصف ماله معها تعزيراً ، كما فعل خليفة المسلمين الأول أبو بكر الصديق مع مانعي الزكاة!

قال الشيخ رضا أحمد صمدي حَفِظَهُ اللهُ مقرراً ما قلناه : (أما كون المشركين أقروا بالزُّبُوبِيَّة ولم يقرؤا بالألوهيَّة فليس دقيقاً ، فمن المشركين من أقر بالألوهيَّة ولكنهم لم يوحدهوا بالألوهيَّة وبالاستحقاق الكامل والفرد للعبادة ... كما أن من المشركين من أنكروا الزُّبُوبِيَّة أيضاً فجعلوا لكل شيء في الخليقة ربا يخلقه ويتولى أمره .. ولعل تفصيل شيخ الإسلام مبني على ما قص القرآن من حال مشركي العرب وغالبهم كان على هذه الحال ، ولكن هَذَا لا يمنع أن هناك مشركين على صفات أخرى ، ونص القرآن ينطبق عليهم..)¹

فافهم ذلك بارك الله فيك ، ولا تنسق وراء قول كل قائل وفهمه دون مراعاة لنصوص الشرع فتهلك ، فدونك البحر الرائق فخذ منه واخل القنوات

وكذا لا يَجُوزُ تشديد النكير على من خالف في اجتهاده هذه التفسيرات ! فهي ليست بتفسيرات واجبة الاتباع ! وهي محض اجتهادات للعلماء من استقرأهم للكتاب والسنة ! فلا يصح أن تنزل اجتهادهم في غير منزلته ، ولا يصح تبديع - في أقصي الحالات وأشدّها مخالفة - من ينكر هذه التفسيرات ، ما دام معتقدا مضمونها ، الذي اعتقده الصَّحَابَةُ الاطهار ومن تبعهم

¹ في رد علي موضوع (الفروق بين توحيد الزُّبُوبِيَّة والألوهيَّة) للشيخ عبدالله زقيل ، منشورا علي ملتقي أهل الحديث .

ياحسان ! ، فليس هذا من السنة....

فمن ينكر ويشدد النكير على من يؤمن بالله تعالى ربا وما يستحقه من صفات الجلال والكمال ويتعبد الله بما أمر سائرا على فهم السلف ولكنه رفض هذه التقسيمات ، فقد دخل - الذي ينكر علي من هذا حاله - في الضلال المبين والفهم السقيم والفتنة الجامحة التي لن تبقى ولن تذر. فضع كل قول في محله وافهمه بضوابطه ولا تميع أو تشدد فالدين يسر ولن يشاده أحد إلا غلبه.

مبحث في الرد علي من زعم أن الرسل لم يبعثوا من أجل توحيد الربوبية .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله متحدثا عن إقرار مشركي العرب بالربوبية : - (وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة، والأنبياء، والأولياء، يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم. عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبي عن الإقرار به المشركون.) بالطبع إقرارهم ببعض مسائل الربوبية لم يدخلهم في الاسلام وهذا كان واقع حالهم ، ولو أنهم أقروا بكل مسائل الربوبية والألوهية إلا مسألة واحدة فلن يدخلوا كذلك في الإسلام ، حالهم كحال من يؤمن إيمانا كاملا بكل الأنبياء ولكنه ينكر نبوة نبي واحد منهم ! فهو كافر بالله تعالى وبأنبياءه ! وقد رد الشيخ بن عبد الوهاب رحمه الله علي شبهة قريبة من هذا فقال : " كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا - أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} ¹ فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة. وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء في كتابه الذي أرسله إلينا. ويقال أيضا: إن كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء، وجد وجوب الصلاة أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث،

¹ سورة النساء: 150 - 151

وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا. فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر، سبحانه الله ما أعجب هذا الجهل.¹

وأما قول الشيخ " عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبي عن الإقرار به المشركون " فلا تظن أن مراده أن التوحيد الذي دعا له الانبياء هو الألوهية فقط ! بل هو التوحيد بكل أقسامه وفروعه ! فلو لم يكن يقصد الشيخ التوحيد بجميع مشتقاته لكان مخطئاً ! لأن التوحيد الذي تدعو إليه الرسل واحد لا يقبل جزء منه دون جزء ، وأما حالة المشركين - هنا - في قريش كانت ظاهرة في شركهم في الألوهية ! ولو أنهم كانوا مقرين في الألوهية ومنكرين في الربوبية لقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل معهم تماماً ! ولن يتغير الوضع أبداً .

فلا تخلط رحمك الله وتظن أنه صلى الله عليه وسلم ما قاتلهم إلا من أجل الألوهية ! فيحتج عليك عقلائي بأنه قد يقر بالألوهية كلها ولكنه يعتقد ربوبية غير الله أو ينسب لله تعالى نقصاً أو يجرده تعالى عن صفات كماله ونعوت جلاله ! فإن رحمت تكفره قال لك :- لم تكفري وتقاتلني وأنت تزعم أن النبي لم يقاتل المشركين إلا من أجل الألوهية ! وها أنذا أقر بالألوهية ! فتقع في شرك .

ومن هذا الباب أيضاً تكفير أهل السنة للفرق المبتدعة المنكرة لأسماء الله تعالى الحسنی ! فلم يعدوهم في داخل دائرة الإسلام ! بل أخرجوهم من الملة ! مع أنهم مثبتين لله تعالى الألوهية - في زعمهم - ولكنهم أنكروا أسماء وصفاته !

¹ كشف الشبهات 38-39

والصحيح أن الدعوة تكون إلى التوحيد كله ! فمن قبله كله فهو مسلم ومن رد شيئاً منه كان كمن رده كله لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً . فافهم ذلك ترشد .

وقال الشيخ الحازمي وفقه الله : (هل الرسل دعت إلى توحيد الربوبية ؟ أجيبوا : نعم . قل : نعم . هل الرسل بعثت من أجل توحيد الربوبية ؟ لا . حدد لك المراد ، سين جيم . وذكر بعضهم فروقاً بين نوعي التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء وتوحيد الألوهية ، منها الاختلاف في الاشتقاق ، لا بد أن نميز بين النوعين لأنه من الشبه وخاصة في هذا العصر وهو شبه قديمة لكن الآن أحييت وهي شبه المتكلمين والأشاعرة ألا فرق بين النوعين البتة ، لا فرق بينهما ، ولذلك إذا أبطل التقسيم رجعنا إلى هذا المعنى ، يعني : إذا أبطلنا التقسيم الثلاثي معناه سويناً بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية . نقول : لا تَمَّ فروقاً بينهما في الشرع .¹ أهـ

ولا يخلوا كلامه من اعتراضات ، فاجابته علي السؤال الأول ، هل دعت الرسل إلى توحيد الربوبية ؟ قال نعم . ثم قال ، هل بعثت من أجل توحيد الربوبية ؟ قال لا ! وتلك هي المخالفة التي لا نوافقه عليها .

فالرسل إنما بعثت من أجل توحيد الله تعالى الكامل ، المشتمل علي كل مسألة فيه من غير تقسيم لشيء كما نقسمه نحن في زماننا ، فإن التوحيد الذي فرضه الله علي العبيد شيء واحد يقبل كله أو يرد كله ، فإن كان الله تعالى لا يقبل التوحيد إلا كاملاً كان مرسل الأنبياء به كاملاً يدعون إليه كاملاً ، فمن أعجب العجب أن يفرق طالب علم بين دعوة الأنبياء إلى توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ! وهذا ناتج عن خلل في التصور العام لمسائل التوحيد الذي أوجبه الله علي العبيد !

¹ شرح كنف الشبهات للشيخ الحازمي الشريط الثاني .

وسؤال يطرح نفسه : هل لو - افترضنا أنه - كان المشركون مشركون بالربوبية ومقرون بالالوهية ! سياترهم النبي صلي الله عليه وسلم ولا يدعوهم إلى إصلاح الخلل في ربوبية الله ؟! الجواب بالطبع لا .

لماذا لم يولي النبي اهتماما كبيرا في دعوتهم للربوبية ؟! الجواب لأنهم كانوا في الظاهر مقرين ببعضها ولكنهم كانوا مخالفين ومنكرين وجاحدين جملة وتفصيلا لألوهية الله تعالى فلذلك أخذت حجما أكبر من غيرها .

هل ثبت أن النبي صلي الله عليه وسلم دعا الناس إلى ربوبية الله ؟ الجواب نعم ، وإليك تفصيل موقف من تلك المواقف .

لما كانت صفات الربوبية كل ما يختص بفعل الرب سبحانه وتعالى ، من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة ، وسماع المخلوقين وعلم سرهم ونجواهم وغير ذلك من صفاته تعالى ، كان الشك في شيء منها شك في ربوبية الله تبارك وتعالى ، وقد ورد في القرآن حكاية عن المشركين قوله تعالى : { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ } فحكي ظنهم في الله تعالى ! وأن هذا الظن الفاسد في الله تعالى هو سبب فسادهم ووقوعهم .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنْتُ مُسْتَتِرًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَجَاءَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ: قُرَشِيٌّ، وَخَتَنَاهُ ثَقْفِيَّانِ - أَوْ ثَقْفِيٍّ وَخَتَنَاهُ قُرَشِيَّانِ - كَثِيرٌ شَحْمٌ بَطُونِهِمْ قَلِيلٌ فَقَهُ قُلُوبِهِمْ، فَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ لَمْ أَسْمَعُهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرُونَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا هَذَا؟ فَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّا إِذَا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا سَمِعَهُ ، وَإِذَا لَمْ نَرْفَعْهُ لَمْ يَسْمَعْهُ، فَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا سَمِعَهُ كُلَّهُ. قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا

أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ} إِلَى قَوْلِهِ: {مِنَ الْخَاسِرِينَ} وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ هَنَادٍ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، بِإِسْنَادِهِ نَحْوَهُ . وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِنَحْوِهِ . وَرَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَيْضًا، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِهِ . (انتهى بتصرف .

فتبين من النقل السابق أن مشركي العرب كانوا واقعين في شرك الرُّبُوبِيَّةِ ، وإن كانوا مقرين بأجزاء منه ، لأن علم الغيب من الرُّبُوبِيَّةِ وسماع المخلوقين والقدرة عليهم من صفات الرُّبُوبِيَّةِ ، فلما أشركوا بالله واعتقدوا فيه ما يجوز في حقه تعالى ، أنكر الله تعالى عليهم ذلك ، وهذه دعوة الرسل ، فإن الرسل قد بلغت أقوامها ذلك وناصحتهم ، فكانت الدعوة إلى إصلاح ما انخرم من توحيد الربوبية من دعوة المرسلينوبطل زعم من يزعم أن الأنبياء لم ترسلن أجل توحيد الربوبية .

ثم نقول لمن يفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ! إن النبي صلى الله عليه وسلم ما كتم أمته شيئاً أمره الله تعالى بتبليغه إياهم ، وما بلغهم شيئاً لم يأمره الله تعالى بتبليغه ! فما ينطق عن الهوي وما هو إلا مبلغ عن ربه جل جلاله .

وإن - فرضنا جدلاً أنه - كتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً مما هو بين أيدينا الآن لكان غير مبلغ لرسالة ربه علي وجه التمام والكمال ! فلما بلغها علمنا أنها من أصل دعوته ومن صلب رسالته .

وعليه فإنكار النبي صلى الله عليه وسلم علي صحابته المسلمين المؤمنين وتعليمه لهم هو من صلب الدين وإن لم يكن كذلك لما أنكر النبي عليهم ذلكوما أنكر عليهم النبي إلا لما رأى منهم مخالفة ولم يصح لهم النبي ذلك إلا لأنه مأمور بتصحيح ما يجده من مخالفات في كل الدين وهي مقصد بعثته وغاية رسالته ، فقد روي في الصحيح عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ) ¹ (ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ

أَكْبَرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)¹ (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْزِعُوا² عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا عَائِيًّا³ إِنَّهُ مَعَكُمْ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ⁴)⁵ (هُوَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رُءُوسِ رِحَالِكُمْ⁶)⁷ (تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ⁸)⁹ " ¹⁰ فهنا تجد الخلل - وان لم يكن مقصودا وهو الظن بهم رضي الله عنهم أجمعين - الذي وقع من الصحابة قد وضحه وبينه النبي الكريم مباشرة ، مع أنه ليس في باب العبادة بل في باب الاعتقاد في صفات الله تعالى .

من الحديث السابق يتضح جليا خطأ ما ذهب إليه الشيخ وغيره من يزعمون بأن النبي لم يبعث إلا من أجل توحيد الألوهية فقط وليس من أجل توحيد الربوبية ، والصحيح أن النبي صلي الله عليه وسلم قد أرسل من أجل التوحيد كاملا ، بكل مشتملاته ودقائقه .

مبحث في ذكر الرد علي من تعصب لقوله وزعم أن المشركين كانوا مؤمنين بالربوبية بعدما تبين له كفرهم بالأدلة .

قَالَ قائل : (العرب كانوا يؤمنون بالربوبية وكان شركهم شرك وسائط وحملهم ذلك على ما يقدر في الربوبية لكن لم تفسد فطرتهم كلية لذلك صح إلزام القرءان لهم وقامت بذلك الحجة عليهم فكون

1 البخاري 3968 ، مسلم 2704

2 (ارزعوا) أي: أزرعوا ولا تجهدوا أنفسكم. فتح الباري لابن حجر - (ج 9 / ص 189)

3 لَمَّا كَانَ الْعَائِبَ كَالْأَعْمَى فِي عَدَمِ الرُّبُوبِيَّةِ نَحَى لَارِمَهُ لِيَكُونَ أَبْلَغَ وَأَشْمَلَ

4 زَادَ " قَرِيبًا " ؛ لِأَنَّ الْجَبِيدَ وَإِنْ كَانَ مَعْنَى يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ لِكَيْتِهِ لِيُبْعِدَهُ قَدْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ قُرْبَ الْمَسَافَةِ ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَوْلِ . فتح الباري لابن حجر - (ج 20 / ص 458)

5 البخاري 2830 ، مسلم 2704

6 هذه عند الترمذي 3374 ، قال أبو عيسى: وَمَعْنَى قَوْلِهِ (هُوَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رُءُوسِ رِحَالِكُمْ) إِنَّمَا يَعْني عِلْمَهُ وَقُدْرَتَهُ.

7 (ت) 3374 ، مسلم 2704

8 قَالَ الطَّبْرِيُّ: فِيهِ كِرَاهِيَةٌ رَفَعَ الصَّوْتُ بِالذِّعَاءِ وَالذِّكْرِ ، وَبِهِ قَالَ عَائِمَةُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ . فتح الباري لابن حجر - (ج 9 / ص 189)

9 البخاري 2830 ، مسلم 2704

10 الجامع الصحيح للسنن والمسند للشيخ صهيب بن عبد الجبار (عيسى الميناوي النابلسي حفظه الله) (1444/1)

التقسيم اصطلاحياً ، هَذَا في العبارات ، أما الأنواع فهي شرعية ، من خالفها فهو مبتدع إن لم يكن كافراً " ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله " كيف نسبي هَذَا الإِيمان ؟

ولماذا ذكره رب العزة؟ وهل الإِيمان بالرُّبُوبِيَّة هو توحيد الرُّبُوبِيَّة؟

إن كنا وظفنا ما ذكره علماءنا توظيفا خطأ هَذَا لا يعني خطأ العلم الحق الذي جاء في الكتاب فيقال تقسيم اصطلاحياً !

ولفظة التَّوْحِيد كأنها جرت على معنى ما يستحقه الله سُبْحَانَهُ . لا على أساس تحقيق ذلك من العرب ، فكون العرب أمة تؤمن بالله إيمان المشركين وتعبد عبادة المشركين وأنهم كانوا يحجون ويسعون ويطوفون ويكرمون الحجيج تقرباً لله على ما زعموه ملة إبراهيم عليه السلام هَذَا لا ينكره إلا مكابر ..

وقصة ابتداء الشرك فيهم من عمرو ابن لحي الخزاعي دلالة واضحة وصریحة في إيمانهم بالرُّبُوبِيَّة بل وتوحيدهم به حيث قالوا " إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك "

لكن أن يوصف كل العرب بأنهم وحدوا في الرُّبُوبِيَّة هَذَا لم يقله فيما أحسب عالم من علماء التَّوْحِيد وإنما يصفونهم بذلك في القدر الذي يصدق معه إطلاق أنهم آمنوا بالرُّبُوبِيَّة أو وحدوا في الرُّبُوبِيَّة وذلك في إثبات إلهين متماثلين متكافئين في الصفات والأفعال ، وهَذَا القدر هو الذي لأجله قيل أن العقلاء اتفقوا على توحيد الرُّبُوبِيَّة بما في ذلك العرب فليتأمل هَذَا الموضع ولا يتسرع الإخوة في إثبات شيء أو إنكاره فيزيد الخرق على الرافع والله وحده النصير)¹ انتهى .

¹ ذكر ذلك الأخ الفاضل مُحَمَّد أمين المشرفي الوهراني حَفِظَهُ اللهُ في الرد علي موضوع في ملتقى أهل الحديث بعنوان : (هل شرك العرب كان في الرُّبُوبِيَّة أم في الألوهية ؟!) . وقال قريبا من كلامه غيره . وقد رددنا بذات الرد في الملتقى غير ألفاظ يسيرة لمناسبة الكتابه .

وقد ورد في شرح الشيخ خالد المصلح¹ وفقه الله لكشف الشبهات عنوانا منه : - (إيمان كفار قريش بتوحيد الربوبية)² ثم قرر ما هو مشتهر بين علماء عصره من إقرار مشركي العرب بالربوبية من غير تقييد بمسائل دون مسائل . ولكن ليس هنا ثمة تعقب اللهم إلا في العنوان " إيمان كفار قريش " ! ولا أدري أهذا العنوان من تصرف بعض طلبته في تفرغ أشربة المحاضرات أم من قول الشيخ ذاته ؟! وعلي كل وجب التنبيه علي أنه لا يجوز القول بأنهم كانوا مؤمنين بالربوبية مطلقا ! فهذا كذب علي الله ورسوله .

فقولك : (العرب كانوا يؤمنون بالربوبية وكان شركهم شرك وسائط وحملهم ذلك على ما يقدر في الربوبية لكن لم تفسد فطرتهم كلية لذلك صح إزام القرآن لهم وقامت بذلك الحجة عليهم فكون التقسيم اصطلاحيا هذا في العبارات أما الأنواع فهي شرعية من خالفها فهو مبتدع إن لم يكن كافرا "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" كيف نسمي هذا الإيمان ؟ ولماذا ذكره رب العزة ؟ وهل الإيمان بالربوبية هو توحيد الربوبية ؟)

أقول : لا يصح أن تصف من اعترف بمسائل من مسائل الربوبية مؤمنا بالربوبية ! إذ الربوبية مسائل كثيرة لا بد للإيمان بها الإيمان بكل جزئياتها .

وعليه فلم يكن العرب قبل الإسلام مؤمنين بالربوبية ! وإن اعترفوا بها باللسان جملة ! لأنهم واقعون في نواقضها من مسائل الربوبية ذاتها فضلا عن غيرها . فالاعتراف شيء والإيمان شيء آخر !

¹ خالد بن عبد الله بن محمد المصلح حفظه الله .

² شرح كشف الشبهات للشيخ خالد المصلح (4/2) نسخة الشاملة .

لأن الإعتراف يكون باللسان ولا يلزم أن كل من اعترف بلسانه منقاد قلبه لذلك ، أما الإيمان فيكون بالقلب واللسان والإنقياد بالجوارح ! وعليه فلا يصح أن تصفهم بالإيمان في الربوبية ! ولم يقل هَذَا ربنا جل وعلا ولا نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولا أحد من الصَّحَابَةِ !

أي نعم . لم يقل أحد منهم أن عرب الجاهلية كانوا مؤمنين بالربوبية مطلقا ،

بل حكوا اعترافهم ببعض مسائل الربوبية كما ذكرت - حفظك الله - قول الله تعالى : (ولئن سألتهم

من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ") وليس هَذَا الاعتراف إيمانا !!!

ولا أدري من أين فهمت - أنت - أن اعترافهم بشيء يكون إيمانا به ؟! هَذَا خطأ في الفهم يا أخي .

ثم إن كنت تري أنهم مؤمنون بربوبية الله لمجرد اعترافهم ببعض مسائل الربوبية ، فلماذا لم تعترف

بإيمانهم بالوهيته أيضا لأنهم يدعونه كما ذكرت أنت في الأثر الذي نقلته : (" لبيك اللهم لبيك ، لبيك

لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ") !!!؟

من خلال نقلك أنت الذي نقلته ، أليسوا يدعونه ؟! بلى يدعونه !

أليسوا يطوفون بيته ؟! بلى يطوفون !

هل هَذَا اعتراف بالربوبية أم بالألوهية ؟!

اعتراف بالألوهية ! إذن ،

لماذا لم تقل أنهم مؤمنون بالوهيته ولكنهم كانوا مشركين به في الألوهية فقدح اعترافهم بها ؟! (قياسا

على قولك السابق (وكان شركهم شرك وسائط وحملهم ذلك على ما يقدر في الربوبية)

(..... اترك الجواب لك)

وخلاصة القول هنا ، أنهم كانوا معترفين ببعض مَسَائِلِ ربوبية الله تعالى ولم يكونوا مؤمنين بالربوبية .

فالإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ! ولا يطلق الإيمان إلا علي من استكمل الثلاثة معا ، أو من فعل ما استطاعه منها ولم يشرك بالله شيئا ، ولم يكن الكفار في مسألة الربوبية هكذا أبدا !! بل كانوا معترفين باللسان فقط ! ولا يعد هذا إيمانا .

وأما قولك : (كيف نسمي هذا الإيمان ؟ ولماذا ذكره رب العزة ؟)

فقلنا أنه اعتراف وليس بإيمان ، فلم يقل الله أنهم مؤمنون ولم يذكره ، بل ذكر اعترافهم وإقرارهم وليس هذا بإيمان ، فمن أين أتيت بأن الله قال أنهم مؤمنون ؟ . والإيمان كما أسلفت لك تعريفه غير خاف عليك .

وأما سؤالك : (وهل الإيمان بالربوبية هو توحيد الربوبية ؟) فجوابه نعم . الإيمان هو التوحيد ، فمن وحد الله بربوبيته كان كمن آمن بربوبيته ، فقف حيث الدليل تفلح .

وقولك : (إن كنا وظفنا ما ذكره علماءنا توظيفا خطأ ، فهذا لا يعني خطأ العلم الحق الذي جاء في الكتاب فيقال تقسيم اصطلاحى) أقول : بل إن كنا وظفنا ما ذكره علماءنا توظيفا خطأ فهذا يعني أننا ملزمون بأن نعود إلى الحق ونوظف كلامه توظيفا صحيحا .

وغير صحيح ما تقوله بأن إطلاق لفظ تقسيم اصطلاحى على هذا التقسيم خطأ !!

لأنه بالفعل اجتهاد علماء من استقرأهم للكتاب والسنة ! فلم يقل ربنا بأن التوحيد ثلاثة أقسام أو اثنين أو أربعة ! ولم يقل نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ! ولم يقل أحد الصحابة ذلك ! بل نقل عنهم بأن التوحيد توحيد ! والإيمان إيمان !

وإن كبرت في تلك النقطة فيلزمك الدليل الصريح من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة بأن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام هم توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات !

وإن عجزت عن الإتيان بالدليل - وبالطبع لن تحضره لعدم وجوده - فقد رجعت إلى قولنا بأن هذا التقسيم اصطلاحياً ، ويحسن بك أن تراجع عن تخطئك لمن خطأته .

وقولك : (ولفظة التوحيد كأنها جرت على معنى ما يستحقه الله سبحانه . لا على أساس تحقيق ذلك من العرب) فإن كنت تعترف بأن لفظة التوحيد في الربوبية التي يذكرها العلماء عن العرب كأنها جرت على معنى ما يستحقه الله سبحانه من التوحيد في الربوبية . لا على أساس تحقيق ذلك من العرب ! فلماذا تنسب إلى العرب ما لم يحققوه؟! وهل ما أقروا به من مسائل قليلة هو ما يستحقه الله تعالى؟! كلا . وهذا هو بيت القصيد.

لم يحقق العرب توحيد الربوبية ، فلماذا تذكر أنهم موحدون الله في ربوبيته ؟ أو مؤمنون بالربوبية؟! أليس هذا خطأ محض ؟! بلي .

وقولك : (فكون العرب أمة تؤمن بالله إيمان المشركين وتعبد عبادته المشركين وأنهم كانوا يحجون ويسعون ويطوفون ويكرمون الحجيج تقرباً لله على ما زعموه ملة إبراهيم عليه السلام هذا لا ينكره إلا مكابر ..

وقصة ابتداء الشرك فيهم من عمرو ابن لحي الخزاعي دلالة واضحة وصرحة في إيمانهم بالربوبية بل وتوحيدهم به حيث قالوا "إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك" .

فيا سبحان الله ، وهل هناك إيمان مسلمين وإيمان مشركين؟! أتزعم أن العرب كانت تؤمن إيمان مشركين وتتعبد عبادته المشركين ثم تحتج بذلك علي كونهم مؤمنين؟! أي إيمان تقصد يا أخي؟!!

الإيمان الذي أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى من عباده واحد ، من فعله فهو مؤمن ومن خالف فيه فليس بمؤمن وسمه ما تشاء .

وهذه تناقضة أخرى ! منك حيث زعمت بأن العرب آمنوا بالرُّبُوبِيَّة ! واستفدت ذلك من قصة عمرو ابن لحي الخزاعي ! وعلى فرض صحة استنباطك لإيمانهم هَذَا ، أقول : ولماذا لم تزعم أنهم آمنوا في الألوهِية أيضا ، كما قلت أنهم آمنوا بإيمان المشركين وتعبدوا لعبادة المشركين وأنهم كانوا يحجون ويسعون ويطوفون ويكرمون الحجيج تقربا لله على ما زعموه ملة إبراهيم عليه السلام ! ؟ لماذا لم تسم هَذَا إيمانا بالوهية الله تعالى ؟! أليس من التناقض أن تنسبهم إلى الإيمان بالالوهية كما نسبتهم إلى الإيمان بالرُّبُوبِيَّة ، لأنهم اعترفوا ببعض مَسَائِلِ رُوبِيَّةِ اللهِ تعالى ونقضوها وكذلك اعترفوا ببعض مَسَائِلِ ألوهِيةِ اللهِ تعالى ونقضوها ؟! فالله المستعان

وقوله : (لكن أن يوصف كل العرب بأنهم وحدوا في الرُّبُوبِيَّة فهذا لم يقله فيما أحسب عالم من علماء التَّوْحِيدِ وإنما يصفونهم بذلك في القدر الذي يصدق معه إطلاق أنهم آمنوا بالرُّبُوبِيَّة أو وحدوا في الرُّبُوبِيَّة وذلك في إثبات إلهين متماثلين متكافئين في الصفات والأفعال ، وهذا القدر هو الذي لأجله قيل أن العقلاء اتفقوا على توحيد الرُّبُوبِيَّة بما في ذلك العرب فليتأمل هَذَا الموضع ولا يتسرع الإخوة في إثبات شيء أو إنكاره فيزيد الخرق على الراقع والله وحده النصير) .

نعود إلى ذات المسألة ثانية ، اعلم أن كل كلمة في الإيمان والكفر يا أخي تقاس بميزان أحس وأدق من ميزان الذهب ! فلا يصح أن تطلق قولاً عاماً وتقصد استثناءات لم تذكرها ! فهذا خطأ .

إذا أردت أن تثبتني فلتستثن ، لكن لا تتكلم بكلام مطلق وتريد أن تخرج منه أشياء لم تذكرها ، وأناي لنا بما في رأسك وخاطرك !؟

ثم : قولك : (لكن أن يوصف كل العرب بأنهم وحدوا في الربوبية فهذا لم يقله فيما أحسب عالم من علماء التوحيد)

بل قاله - بعض - العلماء في معرض العموم ، ولم يخصوه ! ولم يستثنوا ،

ولا يصح أن تفرق بين قولهم (كل العرب) الذي تريده ، وبين قولهم (العرب) مع أن قولهم العرب فقط ، يفهم منه كل العرب ! أى كل من لم يدخل في الإسلام جملة . خاصة إذا لم يستثنوا من كفر بتلك المسائل ، وإن كان هناك أفراد اعترفوا بالربوبية كلها ولم يستقيموا لها ويؤمنوا فلا يكونوا مؤمنين ! ففرق - حفظك الله - بين الإيمان والإقرار فهو مدار حديثنا ومنشأ الخلاف . لأنك أنت تعتبر الاعتراف والإقرار إيمانا !

وهذه ليست عقيدة أهل السنة ولا أظنك تقصد ما يقصده مخالفوا أهل السنة . فالاعتراف والإقرار ليس بإيمان ، والا - كما تعلم بآرك الله فيك - لكان إبليس مؤمنا ، فهو يقر ويعترف بربوبية الله ، بل وبألوهيته ! ولكنه لم ينسق لها ولم يؤمن واستكبر ! فهل سنقول عنه أنه مؤمن بربوبية الله ؟! أم انه مقر ومعترف بربوبية الله ؟! بالطبع ، مقر ومعترف ، لكنه غير مؤمن لأن الإيمان معروف لك . لا تجهله .

وقولك : (وإنما يصفونهم بذلك في القدر الذي يصدق معه إطلاق أنهم آمنوا بالربوبية أو وحدوا في الربوبية) لا يصح أن يصفوهم بالتوحيد بإطلاق بحال . فهم ليسوا موحدين . ولا يصح أن يصفوهم بالإيمان بإطلاق . فهم ليسوا مؤمنين . إلا أن يستثنوا ويبينوا كما بين ربنا حينما ذكر أنهم يزعمون الإيمان ولكنهم مشركون في إيمانهم هذا ، فقال تعالى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)¹

¹ سورة يوسف 106

هَذَا خلاصة القول ، مع حفظ مقامات العلماء بلا استثناء .

وَأعجب وحق لي العجب ، أن أناسا لم يوحدوا الله تعالى في الرُّبُوبِيَّة ولم يؤمنوا بربوبيته ، كيف تصفهم بالتَّوْحِيد في الرُّبُوبِيَّة أو الإيْمَان بها ؟! هَذَا تَقْوُلٌ على الله .

ويكفيك أن تقف حيث وقف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأصحابه رضى الله عنهم ، فهم أهدي منا سبيلا وأقوم قبلا ، فلم يقولوا ما قلت ولم يصفوهم بما وصفت ! بل ذكروا اعترافهم وإقرارهم فقط ، فسر على الخطي تسلم .

وليس قولنا هَذَا بقدرح في علم عالم أو جرح فيه ، فأني للثري أن يبلغ الثريا ، والرجوع للحق حميد ، والدليل يحج المسلمين ، ولا دليل على قولك حفظك الله .

وقوله : (وذلك في إثبات إلهين متماثلين متكافئين في الصفات والأفعال ، وهذا القدر هو الذي لأجله قيل أن العقلاء اتفقت على توحيد الرُّبُوبِيَّة بما في ذلك العرب)

عجيب كلامك ، تنقل الكلام ، وَهُوَ عليك ! سبحان ربي .

نقلك هَذَا يفيد بأن العرب تعترف بوجود إلهين متماثلين متكافئين في الصفات والأفعال ! - طيب - أنت قلت إلهين ، ولم تقل ربَّين ! فهل تعنى أنهم كانوا مؤمنين بالوهية الله تعالى ؟!

أم أنهم كانوا مؤمنين بربوبيته ولم يؤمنوا بالوهيته ؟! مع أنك من قررت إيمانهم بالرُّبُوبِيَّة وقررت أيضا لشركهم في الألوهية ! مع أنه ثبت في قصة عمرو ابن لحي الخزاعي أنهم كانوا يدعون بقولهم : (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك) فهذا الدعاء فيه اعتراف بالألوهية والرُّبُوبِيَّة وإشراك في الألوهية والرُّبُوبِيَّة ! فلماذا تصفهم بالإيمان في الرُّبُوبِيَّة ولا تصفهم به في الألوهية ؟!

ثم بلفظك الذي قلته : (وذلك في إثبات إلهين متماثلين متكافئين في الصفات والأفعال) أزعم - بل أوكد لك - أنك أثبت أنهم يثبتون أن هناك ربين ، لأنك لو قلت إثبات إلهين فقط لكان هذا إثبات لألوهية شريك مع الله - بغض النظر عن كونه يستحق أم لا - أما حينما قلت متماثلين في الصفات والأفعال فقد أشركوا مع الله في الربوبية شريكا ماثلا له وهذا شرك صريح في الربوبية يذهب بكل كلامك الذي ذكرته . والله اعلم .

مبحث في بيان معني قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك ورفع الالتباس عنه .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : - (والا فهو لاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.)¹ قلت ولم يقرؤا بكل مسائل الربوبية بل ببعضها وهي المسائل المشهورة ، ولا يلزم من اقرارهم باللسان ببعض تلك المسائل أن يكونوا مؤمنين بالربوبية ، فالربوبية باب عظيم لا يؤمن به من يزعم بلسانه الاقرار بمسائل معدودة منها . ومعني قوله رحمه الله يشهدون أن الله هو الخالق وحده ليس علي إطلاقه بأنهم مؤمنين بالله ربا ! فالربوبية ليست الخلق والرزق والاحياء والاماتة فقط ! بل هذا منقوض بجوادث كثيرة بينها وأظهرنا أنهم كانوا مشركين في مسائل باب الربوبية .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفصل الثاني من كتاب كشف الشبهات : - (بيان الأدلة على أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بتوحيد الربوبية ولم يخرجهم ذلك من الشرك في العبادة)² ثم قال : - (فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا)³ وهذا كلام مستقيم

¹كشف الشبهات ص4

²كشف الشبهات - الفصل الثاني

³كشف الشبهات - الفصل الثاني

إن كان يراد به الإقرار ببعض مسائل الربوبية ، وأما إن كان المقصود به الإقرار بباب الربوبية كله فهذا كلام غير مستقيم بل منقوض بكثير من الأدلة التي تبين أنهم كانوا مشركين فيها .

وقول الشيخ بأن إقرار المشركين بتوحيد الربوبية بحاجة إلى تدقيق ! كما أسلفنا ، فلم يكونوا مقربين بتوحيد الربوبية ! لأن التوحيد كله واحد لا يتجزأ ! وأما إقرارهم فكان في بعض مسائل الربوبية ، والاقرار ببعض المسائل لا يعد توحيداً ! ومن الخطأ الواضح أن يصدر للناس أن المسائل التي أقر بها المشركون تعد إيماناً بتوحيد الربوبية ! فالله حينما سماها إيماناً سماها بحسب ما يزعمون ويظنون وما لبث أن نقض كلامهم وفند شبهتهم ورد إقرارهم وأثبت شركهم في كل ما يزعمون ، في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، فالشرك قد طال توحيدهم بأكمله .

ولو أن المشركين كانوا أقروا الله تعالى بالألوهية كاملة لما قبلت منهم لأنهم كانوا واقعين في شرك الربوبية ! وكما أسلفنا ليست الربوبية هي الخلق والرزق والإحياء والإماتة ! بل كل ما هو من أفعال الرب تبارك وتعالى فهو توحيد الله تعالى في ربوبيته .

فصل في ذكر شرك القرشيين في بعض مسائل من الرُّبُوبِيَّة :

الشرك في الرُّبُوبِيَّة أحد أقسام الشرك الأكبر، وَهُوَ شرك يتعلق بذات الله عز وجل. وَهُوَ صرف خصائص الرُّبُوبِيَّة كلها، أو بعضها لغير الله عز وجل، أو تعطيله عز وجل عن بعضها أو بالكلية، أو الإلحاد فيها من جعل له شبيه أو شريك أو كفوء له فيها أو في بعضها . ومن أشرك في مسألة من مسائل الربوبية كمن أشرك في جميع مسائلها ، فليس موحدا بالربوبية ولا مؤمنا بها من نقض واحدة من مسائلها ، فافهم ذلك بارك الله فيك فإنه دقيق . ومثله تماما حال من كفر بنبي من الأنبياء وآمن بنبي آخر فهو مكذب للجميع كافر بهم ، وقد بينه ربنا عز وجل في مواضع من كتابه الكريم حيث قد : (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ)¹ ، وكذلك : (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ)² ، وكذلك : (كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ)³ ، وكذلك : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ)⁴ ، وكذلك : (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ)⁵ ، وكذلك : (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ)⁶ فالله تعالى لم يرسل إليهم سوي رسولا واحدا فلما كذبوه كان تكذيبهم إياه كفر وتكذيب برسالة إخوانه المرسلين وهنا لطيفة بأن الأنبياء كلهم أصحاب رسالة واحدة ، وهذا مقرر في الشرع مثبت ، قال السعدي رحمه الله : (أصحاب الأيكة: أي: البساتين الملتفة أشجارها وهم أصحاب مدين ، فكذبوا نبيهم شعيبا، الذي جاء بما جاء به المرسلون.)⁷ .

¹ سورة الحجر 80 .

² سورة الشعراء 105 .

³ سورة الشعراء 123 .

⁴ سورة الشعراء 141 .

⁵ سورة الشعراء 160 .

⁶ سورة الشعراء 176 .

⁷ تفسير السعدي لسورة الشعراء .

مبحث في ذكر نوع من الفهم القاصر لشرك الرُّبُوبِيَّة :

قد يفهم البعض أن الشرك في الرُّبُوبِيَّة أن يعتقد مثيلاً له في تلك الصفات أو شريكاً يعاونه فيها ، وهذا قصور ظاهر في فهمه لهذا الشرك ، وإنما هي أعم وأشمل من ذلك ، فكل ما يسمي صفة من صفات الرُّبُوبِيَّة يدخلها الشرك والإيمان ، فمن أقر بها وانقاد للوازمها فهو مؤمن بها وإن أقر بها أو استيقنها أو اعترف بها ولكنه لم يُؤدِّ حقها من اعتقاد لوازمها فهو مقر معترف وكافر بها غير مؤمن ، وكذا من اعترف بها ثم سب صاحبها فهو كافر بها ، ويدخل فيها أيضاً نسبة العجز إلى الله تَعَالَى في هذا النوع من الصفات ، وعليه فمن زعم أن الله تَعَالَى لا يسمع أو لا يري أو لا يعلم أو لا يحيي أو لا يميت أو لا يقدر على شيء أو غير ذلك فقد كفر برؤية الله تَعَالَى وإن قال بلسانه غير ذلك فهو مقر غير موحد ، ففرق بين هذا وذاك بِرَحْمَةِ اللَّهِ .

مبحث في ذكر أن شركهم في لازم من لوازم الربوبية يوجب شركهم في الربوبية .

ومن المقرر عند علماء الأصول بأن لازم القول ما لم يلتزمه صاحبه ليس بلازم ، وبضدها تتميز الأشياء ، وعليه صار من الواضح عند عامة العقلاء أن من اللتزم لازم قوله بفعله أو اعتقاده وإن لم يصرح باعتقاد ذلك اللازم فهو مؤاخذ به ملوم عليه ، ولذلك من يعتقد ربوبية الله تعالى يجب عليه أن يعتقد لوازمها ، فمن أقر بالربوبية ثم كفر بلوازمها عاد كفره إلى الأصل الذي أقره فنقضه ، ولا يعد إذ ذاك مؤمن بالربوبية ، ومن هذا القبيل ما قرره الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب¹ ، وهو يتحدث عن حال المشركين مع آلهتهم فقال :

(النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهاً آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته **وربوبيته**، كشرك النصراني الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر

1 « تيسير العزيز الحميد » (ص 28 - 29) نقلا عن المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد لأبي يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: 1435هـ)

إلى الظلمة. ومن هذا شرك كثير من يشرك بالكواكب العلويات، يجعلها مدبرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم. " قلت: ويلتحق به من وجه شرك غلاة عبّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات، ويفرّجون الكربات، وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم، فإن هذه من خصائص الربوبية، كما ذكره بعضهم في هذا النوع) .أ.هـ¹

قلت - القلموشي - فانظر إلي قوله رحمه الله : (ويلتحق به من وجه شرك غلاة عبّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات، ويفرّجون الكربات، وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم، فإن هذه من خصائص الربوبية) فكونهم يدعونهم فرع عن كونهم يعتقدون فيهم النفع والضرر والإحياء والإماتة والتصرف في أحوال العالم العلوية أو السفلية ، ولذلك فشركهم في قسم الألوهية فرع عن شرکهم في الربوبية ، وإن كانوا يزعمون بالسنتهم أنهم مؤمنون بالربوبية غير أن هذه دعوى باطلة لا يصدقون فيها ، وهو - أي الشرك في الربوبية - وإن لم يكن شهيراً كالشرك في الألوهية غير أنه موجود وثابت عن قسم كبير من مشركي الجاهلية ، وعليه بطل قول القائل من علمائنا بأن مشركي العرب قد آمنوا بالله تعالى في الربوبية وأشركوا به في الألوهية .

1 وتام كلامه رحمه الله في ذلك الموضوع «إذا تبين هذا فاعلم: أن الشرك ينقسم ثلاثة أقسام بالنسبة على أنواع التوحيد، وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقاً، وقد يكون أكبر بالنسبة إلى ما هو أصغر منه، ويكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه. القسم الأول: الشرك في الربوبية، وهو نوعان: أحدهما: شرك التعطيل، وهو أفتح أنواع الشرك، كشرك فرعون. إذا قال: وما رب العالمين؟ ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدوم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدوماً أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائل اقتضت إيجادها، يسمونها: العقول، والنفوس ... النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهاً آخر ولم يعطه أسماؤه وصفاته وربوبيته، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة. ومن هذا شرك كثير من يشرك بالكواكب العلويات، يجعلها مدبرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم. قلت: ويلتحق به من وجه شرك غلاة عبّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات، ويفرّجون الكربات، وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم، فإن هذه من خصائص الربوبية، كما ذكره بعضهم في هذا النوع.أ.هـ «تيسير العزيز الحميد» (ص 28 - 29)

مبحث في ذكر شيء من ظن مشركي العرب السيء بالله تعالى .

اعلم - رَحِمَكَ اللهُ - أن صفات الرُّبُوبِيَّة هي كل ما يختص بفعل الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة ، وسماع المخلوقين وعلم سرهم ونجواهم وغير ذلك من صفاته تَعَالَى ، ذكر الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عند تفسير قوله تَعَالَى : {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} ¹ أَي: تَقُولُ لَهُمُ الْأَعْضَاءُ وَالْجُلُودُ حِينَ يُلْمُونَهَا عَلَى الشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ: مَا كُنْتُمْ تَتَكْتُمُونَ مِنَّا الَّذِي كُنْتُمْ تَفْعَلُونَهُ بَلْ كُنْتُمْ تُجَاهِرُونَ اللَّهَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَلَا تَبَالُونَ مِنْهُ فِي زَعْمِكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَفْعَالِكُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأَكُمْ} ² أَي: هَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدُ - وَهُوَ اعْتِقَادُكُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ - هُوَ الَّذِي أَتْلَفَكُمْ وَأَرْدَأَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، {فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} أَي: فِي مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ خَسِرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللهُ - بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ³ قَالَ: كُنْتُ مُسْتَتِرًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَجَاءَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ: قُرَشِيٌّ، وَخَتَنَاهُ ثَقْفِيَّانِ - أَوْ ثَقْفِيٌّ وَخَتَنَاهُ قُرَشِيَّانِ - كَثِيرٌ شَحْمٌ بَطُونُهُمْ قَلِيلٌ فَقَهُ قُلُوبُهُمْ، فَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ لَمْ أَسْمَعُهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرُونَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا هَذَا؟ فَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّا إِذَا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا سَمِعَهُ ، وَإِذَا لَمْ نَرْفَعْهُ لَمْ يَسْمَعْهُ، فَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا سَمِعَهُ كُلَّهُ. قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} إِلَى قَوْلِهِ: {مِنَ الْخَاسِرِينَ} وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ هَنَادٍ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ،

¹ سورة فصلت 22

² سورة فصلت 22 - 23

³ أي عبد الله بن مسعود .

بِإِسْنَادِهِ نَحْوَهُ . وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بِنَحْوِهِ . وَرَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَيْضًا ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِهِ . (انتهى بتصريف ¹ .

وفي أوضح التفسير ² قوله: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ} من أنه لا يراكم، وأنه {لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ} {أَرْدَاكُمْ} أهللكم، وأوقعكم في النار {فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ} وقد كان في استطاعتكم أن تكونوا ضمن الفائزين . أ. هـ .

وفي الهداية إلى بلوغ النهاية ³ ، (قَالَ تَعَالَى: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ} أَي: وذلك الذي جنيتم في الدنيا على أنفسكم من معاصي الله هو ظنكم الذي ظننتم أن الله لا يعلم ما تعملون، أهللكم ذلكم الظن فأصبح في الآخرة من الذين خسروا أنفسهم.) . أ. هـ .

فتبين من النقل السابق أن مشركي العرب كانوا واقعين في شرك الرُّبُوبِيَّةِ ، وإن كانوا مقرين بأجزاء منه ، لأن علم الغيب من الرُّبُوبِيَّةِ وسماع المخلوقين والقدرة عليهم من صفات الرُّبُوبِيَّةِ .

مبحث في ذكر إنكارهم البعث والمعاد

ثبت عن بعض مشركي أنهم أنكروا البعث وبعضهم شك فيه ، وهذه العقيدة كفر بربوبية الله تعالى وقدرته علي إعادة الخلق ، فليس بدء الخلق بأهون علي الله من إعادته .

قَالَ الإمام ابن كثير عند تفسيره لقول الله تعالى : (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) ⁴ (يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ مِنَ الكُفَّارِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي العَرَبِ فِي إنْكَارِ المَعَادِ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا أَي

¹ تفسير بن كثير (170 / 7)

² للشيخ مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)

³ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجملة من فنون علومه) ، أبو مُحَمَّد مكي بن أبي طالب حَمُوش بن مُحَمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)

⁴ سورة الجاثية 24

مَا شَمَّ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ، يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَعِيشُ آخَرُونَ، وَمَا شَمَّ مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٌ، وَهَذَا يَقُولُهُ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الْمُنْكَرُونَ لِلْمَعَادِ، وَتَقُولُهُ الْفَلَّاسِفَةُ الْإِلَهِيُونَ مِنْهُمْ، وَهُمْ يُنْكَرُونَ الْبُدَاءَةَ وَالرَّجْعَةَ، وَتَقُولُهُ الْفَلَّاسِفَةُ الدَّهْرِيَّةُ الدَّوْرِيَّةُ الْمُنْكَرُونَ لِلصَّانِعِ، الْمُعْتَقِدُونَ أَنَّ فِي كُلِّ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا قَدْ تَكَرَّرَ مَرَّاتٍ لَا تَتَنَاهَى، فَكَابَرُوا الْمَعْقُولَ وَكَذَّبُوا الْمَنْقُولَ وَلِهَذَا قَالُوا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَتَوَهَّمُونَ وَيَتَخَيَّلُونَ.

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ صَاحِبَا الصَّحِيحِ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ رِوَايَةِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ تَعَالَى يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ»¹ وَفِي رِوَايَةٍ «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»² وَقَدْ أوردَهُ ابْنُ جَرِيرٍ³ بِسِيَاقٍ غَرِيبٍ جَدَا فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَهُوَ الَّذِي يَهْلِكُنَا يَمِيتُنَا وَيَحْيِينَا فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَيَسْبُونَ الدَّهْرَ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورٍ عَنِ شَرِيحِ ابْنِ النُّعْمَانَ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ مِثْلَهُ.

ثُمَّ رُوِيَ عَنِ يُونُسَ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ

¹ أخرجه البخاري في تفسير سورة 45، باب 1، والتوحيد باب 35، ومسلم في الألفاظ حديث 2، 3، وأبو داود في الأدب باب 169، وأحمد في المسند 2 / 238،

.272

² أخرجه أحمد في المسند 5 / 299، 311.

³ تفسير الطبري 11 / 264.

وَالنَّهَارُ» وَأَخْرَجَهُ صَاحِبُ الصَّحِيحِ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ يَزِيدٍ بِهِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اسْتَفْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي وَسَبَّنِي عَبْدِي، يَقُولُ وَادَّهَرَهُ وَأَنَا الدَّهْرُ» قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ» كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَتْ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ أَوْ نَكْبَةٌ قَالُوا يَا خِيبة الدهر، فينسبون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى فكانهم إنما سبوا الله عزَّ وجلَّ، لِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، فَلِهَذَا نَهَى عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي يَعُونُهُ وَيُسْنِدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْأَفْعَالَ، هَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ وَهُوَ الْمُرَادُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَقَدْ غَلَطَ ابْنُ حَزْمٍ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ مِنَ الطَّاهِرِيَّةِ فِي عَدِّهِمُ الدَّهْرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى أَخْذًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ. ¹ فَنِي هَذَا الْقَوْلِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ كَانَ فِي مُشْرِكِي الْعَرَبِ مَنْ كَانَ يَكْفُرُ بِبَعْضِ مَسَائِلِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: (يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَمَنْ وَاقَفَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا أَيُّ مَا تَمَّ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ، يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَعِيشُ آخَرُونَ، وَمَا تَمَّ مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٌ، وَهَذَا يَقُولُهُ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الْمُنْكَرُونَ لِلْمَعَادِ).

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ ² رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ: (وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ خَبْرُهُ عَنْهُمْ: مَا حَيَاةُ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا الَّتِي نَحْنُ فِيهَا لَا حَيَاةَ سِوَاهَا تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ. كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: ثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: ثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا): أَي لِعَمْرِي هَذَا قَوْلُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ. ³

1 بن كثير 7 / 247

2 مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ بْنِ يَزِيدٍ بْنِ كَثِيرٍ بْنِ غَالِبِ الْأَمَلِيِّ، أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ (المتوفى: 310هـ)

3 تفسير الطبري المسمي (جامع البيان في تأويل القرآن) 22 / 77

وقال ابن أبي حاتم¹ رحمه الله عند تفسير هذه الآية : (18539 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّمَا يَهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَقَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَقَالَ اللَّهُ: «يُؤْذِيَنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» (2)³ .

وقال البغوي رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى {وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} (4) : (وَأَقْرَبُوا بِعِزِّهِ وَعِلْمِهِ ثُمَّ عَبَدُوا غَيْرَهُ وَأَنْكَرُوا قُدْرَتَهُ عَلَى الْبَعْثِ لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ .)⁵

وقال القشيري⁶ رحمه الله عند تفسيره لآية الزخرف : (كانوا يقرّون بأن الله خالقهم، وأنه خلق السماوات والأرض، وإنما جحدوا حديث الأنبياء، وحديث البعث وجوازه .)⁷

وقال تعالى مخبرا عن كفار قريش كفرهم بالبعث بعد الموت : (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)⁸

قال ابن كثير رحمه الله مفسرا لهذه الآية : (يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُلْحِدِينَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ أَي لَتُخْبَرُنَّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ جَلِيلًا)

1 أبو مُحَمَّد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)

2 الدر 7 / 429.

3 تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 10 / 3292

4 [سورة الزخرف:9]

5 تفسير البغوي المسمي " معالم التنزيل في تفسير القرآن " (7 / 207) ، بتحقيق مُحَمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش

6 عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)

7 تفسير القشيري المسمي " لطائف الإشارات " (3 / 362) بتحقيق إبراهيم البسيوني.

8 سورة التغابن 7 .

وَحَقِيرَهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ أَيُّ بَعَثَكُمْ وَمُجَارَاتِكُمْ، وَهَذِهِ هِيَ الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْسِمَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَقُوعِ الْمَعَادِ وَوُجُودِهِ ¹ وَقَالَ الرَّازِي ² رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَالَ فِي «الْكَشَافِ» : الزَّعْمُ ادِّعَاءُ الْعِلْمِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «زَعَمُوا مَطِيئَةَ الْكُذِبِ»

وَعَنْ شُرَيْحٍ لِكُلِّ شَيْءٍ كُنْيَةٌ وَكُنْيَةُ الْكُذِبِ زَعَمُوا، وَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، تَعَدَّى، الْعِلْمِ، قَالَ الشَّاعِرُ: وَلَمْ أَزْعَمْكَ عَنْ ذَلِكَ مَعْرُولا، وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَهْلُ مَكَّةَ بَلَى إِثْبَاتٌ لِمَا بَعْدَ أَنْ وَهُوَ الْبَعْثُ وَقِيلَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: قُلْ بَلَى وَرَبِّي يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيمًا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيُّ يَعْلَمُهُ الْقَسَمُ تَأَكِيدًا لِمَا كَانَ يُخْبِرُ عَنِ الْبَعْثِ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْقَسَمِ فِي الْقُرْآنِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ أَيُّ لَا يَصْرِفُهُ صَارِفٌ، وَقِيلَ: إِنَّ أَمْرَ الْبَعْثِ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لِأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ بَعْدَ أَنْ صَارُوا تُرَابًا، فَأَخْبَرَ أَنْ إِعَادَتَهُمْ أَهْوَنُ فِي الْعُقُولِ مِنْ إِنْشَائِهِمْ ³

وَقَالَ أَبُو حِيَانَ الْأَنْدَلِسِيُّ ⁴ رَحِمَهُ اللَّهُ : (تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا: أَهْلُ مَكَّةَ، وَبَلَى: إِثْبَاتٌ لِمَا بَعْدَ حَرْفِ النَّفْيِ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ: أَيُّ لَا يَصْرِفُهُ عَنْهُ صَارِفٌ.) ⁵

وَقَالَ ابْنُ جَزِي الْكَلْبِيُّ ⁶ رَحِمَهُ اللَّهُ : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ خُطَابُ لُقْرِيشَ وَسَائِرِ الْكُفَّارِ) ⁷

وَقَالَ النَّسْفِيُّ ⁸ رَحِمَهُ اللَّهُ : {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا} أَيُّ أَهْلُ مَكَّةَ وَالزَّعْمُ ادِّعَاءُ الْعِلْمِ وَيَتَعَدَّى تَعَدَّى الْعِلْمِ {أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا} أَنْ مَعَ مَا فِي حَيْزِهِ قَائِمٌ مَقَامَ الْمَفْعُولِينَ وَتَقْدِيرُهُ أَنَّهُمْ لَنْ يَبْعَثُوا {قُلْ بَلَى} هُوَ

1 تفسير بن كثير (8 / 136) بتحقيق سامي بن محمد سلامة ، وكذا الطبعة العلمية بتحقيق محمد حسين شمس الدين .

2 أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)

3 مفاتيح الغيب المسمي بالتفسير الكبير (30 / 553) .

4 أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ).

5 البحر المحيط في التفسير (10 / 189) بتحقيق صديقي محمد جميل .

6 أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ).

7 التسهيل لعلوم التنزيل (2 / 380) بتحقيق الدكتور عبد الله الخالدي.

8 أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ).

إثبات لما بعد لن وَهُوَ البعث {وَرَيِّ لَتُبْعَثَنَّ} أكد الإخبار باليمين فإن قلت ما معنى اليمين على شيء أنكروه قلت هو جائز لأن التهديد به أعظ وقعا في اقلب فكأنه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة {ثُمَّ لَتَتَّبَعُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ} البعث {عَلَى الله يسير} هين¹

وقال ابن عطية² رَحْمَةُ اللهِ : (وقوله تعالى: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا - يريد قريشا ثم هي بعد تعم كل كافر بالبعث)³

وقال الطبري رَحْمَةُ اللهِ : (زعم الذين كفروا بالله أن لن يععثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم - ثم قال - فصدّقوا بالله ورسوله أيها المشركون المكذّبون بالبعث، وإخباره إياكم أنكم مبعوثون من بعد مماتكم، وأنكم من بعد بلاءكم تنشرون من قبوركم)⁴

وقال السمرقندي⁵ رَحْمَةُ اللهِ : (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يُبْعَثُوا يعني: مشركي العرب، زعموا أن لن يععثوا بعد الموت. قُلْ يَا مُحَمَّدُ بَلَى وَرَيِّ لَتُبْعَثَنَّ. فهذا قسم أقسم أنهم يععثون بعد الموت. ثُمَّ لَتَتَّبَعُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ يعني: تخبرون بما عملتم في دار الدنيا، ويجزون على ذلك. ثم قال: وَذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ يعني: البعث والجزاء على الله هين.)⁶

وقال السعدي رَحْمَةُ اللهِ : (يخبر تعالى عن عناد الكافرين، وزعمهم الباطل، وتكذيبهم بالبعث بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فأمر أشرف خلقه، أن يقسم بربه على بعثهم، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة، وتكذيبهم بالحق)⁷ فكما رأيت اجماع العلماء علي ذكر كفار قريش بأنهم منكرين للبعث ،

1 تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (3 / 492) بتحقيق يوسف علي بديوي.

2 أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي (المتوفى: 542هـ).

3 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (5 / 319) بتحقيق عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد.

4 جامع البيان في تأويل القرآن (23 / 418-419) بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر بتصرف .

5 أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).

6 بحر العلوم (3 / 455 - 456) للسمرقندي ..

7 تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 866 بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق .

وهذا كفر صريح بمسألة من مسائل الرُّبُوبِيَّة ، وعليه فيخطيء من يزعم انهم مؤمنون بالرُّبُوبِيَّة من غير أن يفصل قوله بأنهم يعترفون بمسائل دون مسائل .

مبحث في الكلام علي قوله تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ)

وكذلك قول الله تعالى : (أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ، وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)¹ .

فيه ما يدل علي أن هناك من العرب من كانوا يشكُّون فيه أو ينكرون البعث بعد الممات ،

قَالَ مجاهد² رحمه الله : ({ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا } قَالَ : «هُوَ أَبِي ابْنِ خَلْفٍ»)³

قَالَ ابن كثير رحمه الله : (قَالَ مجاهد وعكرمة: جَاءَ (أَبِي ابْنِ خَلْفٍ) لَعَنَهُ اللَّهُ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ عِظَمَ رَمِيمٍ، وَهُوَ يَفْتَهُ وَيَذْرُوه فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، يَمْتِيكَ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ يَبْعَثُكَ ثُمَّ يَحْشُرُكَ إِلَى النَّارِ»، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ يَس: { أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ } إِلَى آخِرِهَا، وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَنَّ الْعَاصِ ابْنَ وَائِلٍ أَخَذَ عِظْمًا مِنَ الْبَطْحَاءِ فَفَتَنَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّحْيِي اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، يُمِيتُكَ اللَّهُ ثُمَّ يُحْيِيكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ»، قَالَ: وَنَزَلَتْ

1 سورة يس 77 - 83

2 أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ)

3 تفسير مجاهد ، بتحقيق الدكتور مُحَمَّد عبد السلام أبو النيل

الآيات من آخر يس، وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في (أبي ابن خلف) أو (العاص ابن وائل) أو فيهما، فهي عامّة في كل من أنكر البعث، والألف واللام في قوله تعالى: {أولم ير الإنسان} للجنس يعم كل منكر للبعث، {إنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين} أي أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة، فإن الله ابتداء خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال عز وجل: {ألم نخلقكم من ماء مهين}، وقال تعالى: {إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج} أي من نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته؟ كما قال الإمام أحمد في مسنده عن بشر ابن جحاش قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبه، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق وأنى أوان الصدقة؟" ¹ ولهذا قال تعالى: {وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم} أي استبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة، للأجساد والعظام الرميّة، ونسي نفسه وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده، ولهذا قال عز وجل: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ أي يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهب وأين تفرقت وتمزقت.

قال الإمام أحمد، قال عقبة ابن عمرو لحذيفة رضي الله عنهما: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: "إن رجلاً حضره الموت فلما آيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً، ثم أوقدوا فيه ناراً، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي، فامتحشت (فامتحشت أي: فاحترقت) فخذوها فدقوها فذرّوها في

¹ أخرجه الإمام أحمد ورواه ابن ماجه في سننه ، قال الألباني في السلسلة الصحيحة : 1099 و 1143 حسن صحيح .

الْيَمِّ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ"، وفي الصحيحين بأنه أَمَرَ بَنِيهِ أَنْ يَحْرِقُوهُ، ثُمَّ يَسْحَقُوهُ، ثُمَّ يَذَرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ فِي يَوْمٍ رَائِحٍ، أَي كَثِيرِ الْهَوَاءِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَمَا تَلَا فَاهُ أَنْ غَفَرَ لَهُ. وقوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ} أَي الَّذِي بَدَأَ خَلَقَ هَذَا الشَّجَرَ مِنْ مَاءٍ، حَتَّى صَارَ خَضِرًا نَضْرًا ذَا ثَمَرٍ وَيَنْعُ، ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَى أَنْ صَارَ حَطْبًا يَابَسًا تُوقَدُ بِهِ النَّارُ، كَذَلِكَ هُوَ فَعَالٍ لِمَا يَشَاءُ قَادِرٌ عَلَى مَا يُرِيدُ لَا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ، قَالَ قَتَادَةَ: يَقُولُ: هَذَا الَّذِي أَخْرَجَ هَذِهِ النَّارَ مِنْ هَذَا الشَّجَرِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَهُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ شَجَرِ الْمَرْخِ وَالْغَفَارِ يَنْبُتُ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ فَيَأْتِي مَنْ أَرَادَ قَدْحَ نَارٍ وَلَيْسَ مَعَهُ زِنَادٌ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ عُودَيْنِ أَخْضَرَيْنِ، وَيَقْدَحُ أَحَدَهُمَا بِالْآخِرِ، فَتَتَوَلَّدُ النَّارُ بَيْنَهُمَا كَالزِّنَادِ سِوَاءِ، وَفِي الْمَثَلِ: لِكُلِّ شَجَرٍ نَارٌ وَاسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ وَالْغَفَارُ، وَقَالَ الْحُكَمَاءُ: فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ إِلَّا الْعَنَابَ. ¹

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (هذه الآيات الكريمة، فيها [ذكر] شبهة منكري البعث، والجواب عنها بآتم جواب وأحسنه وأوضحه، فقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ} المنكر للبعث و الشاك فيه، أمرا يفيد اليقين التام بوقوعه، وهو ابتداء خلقه { مِنْ نُطْفَةٍ } ثم تنقله في الأطوار شيئا فشيئا، حتى كبر وشب، وتم عقله واستتب، { فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرق وتمزق، من باب أولى.

{ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا } لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق. فسر هذا المثل [بقوله]: { قَالَ } ذلك

¹ مختصر تفسير ابن كثير (6 / 593)، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني.

الإنسان { مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } أي: هل أحد يحييها؟ استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت.

هَذَا وجه الشبهة والمثل، وَهُوَ أَنْ هَذَا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وَهَذَا القول الذي صدر من هَذَا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً فوجد عياناً، لم يضرب هَذَا المثل.

فَأجاب تعالى عن هَذَا الاستبعاد بجواب شاف كاف، فَقَالَ: { قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ } وَهَذَا بمجرد تصويره، يعلم به علماً يقيناً لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وَهُوَ أهون على القدرة إذا تصور المتصور، { وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ }

هَذَا أيضاً دليل ثان من صفات الله تعالى، وَهُوَ أَنْ علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم. ثم ذكر دليلاً ثالثاً { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ } فإذا أخرج [النار] اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادها وشدة تخالفها، فأخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

ثم ذكر دليلاً رابعاً فَقَالَ: { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } على سعتها وعظمتها { بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْلِقَ مِثْلَهُمْ } أي: [أن] يعيدهم [بأعيانهم]. { بَلَى } قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس. { وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ } وَهَذَا دليل خامس، فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه.

فإعادته للأموات، فرد من أفراد [آثار] خلقه، ولهذا قَالَ: { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا } نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء. { أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } أي: في الحال من غير تمنع.

{ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ } وهذا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكيمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، ولهذا قَالَ: { وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور.¹

قَالَ الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ مَسْفَرٍ حَفِظَهُ اللَّهُ : (الصف الثاني: قوم يعترفون بوجود الله تعالى، ولكنهم يكذبون بالبعث بعد الموت، ومن هؤلاء العرب الذين بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ، فإنهم كانوا يقولون بوجود الله، يقول تعالى: { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ }² فهم معترفون بأنه الخالق لهذه السماوات والأرض، ولكنهم يقولون: { إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُونا أَنَا لَمُخْرَجُونَ } * لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُونا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ }³ هذا هو الصنف الذي يؤمن بوجود الله لكنه يكذب بوجود البعث؛ يدعون أنهم يؤمنون بالله ولكنهم يدعون أن قدرة الله عاجزة عن إعادتهم وإحيائهم بعد إمامتهم، وهؤلاء هم الذين ضرب الله لهم الأمثلة والبراهين والحجج بأنه قادرٌ على البعث والنشور؛ لأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.)⁴

فيتين مما سبق أن مشركي العرب كانوا واقعين في شرك الرُّبُوبِيَّةِ وَهُوَ إنكارهم البعث والمعاد، وهذا لم يكن من عمومهم غير أن هناك طائفة منهم كانوا منكرين للبعث والمعاد وهذا كفر صريح

¹ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 1 / 699

² [سورة لقمان: 25]

³ [سورة النمل: 67-68]

⁴ دروس للشيخ سعيد بن مسفر (97 / 4) بترقيم الشاملة .

بالرُّبُوبِيَّةَ ، لأن الرب الذي يخلق يعيد ! ومن شك في الإعادة فقد كفر بالبدء وإن زعم جدلا الاقرار به .

مبحث في ذكر الاستسقاء بالأنواء وبيان مناقضته للرُبوبية .

كما أسلفنا أن توحيد الرُّبُوبِيَّةَ هو توحيد الله تَعَالَى بأفعاله ، فكل ما كان من أفعال الله تَعَالَى يَجِبُ أن يفرد به جل شأنه ولا يشرك معه أحد ، ومن ذلك تحريك الرياح وإنزال الأمطار ، وعليه فمن أشرك مع الله تَعَالَى شيئا زاعما أن لها تأثيرا في إنزال الأمطار فقد أشرك في ربوبية الله تَعَالَى ، وقد ثبت في القرآن والسُّنَّةِ وعموم مَنَهِجِ سلف الأمة ما يدل علي شرك عرب الجاهلية في هذه المسألة .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عند تفسيره لقول الله تَعَالَى : { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ } (قَالَ بَعْضُهُمْ : يَعْنِي : وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ بِمَعْنَى شُكْرِكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ، أَي : تُكذِّبُونَ بَدَل الشُّكْرِ .¹

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمَا قَرَأَهَا : " وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ " كَمَا سَيَأْتِي .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَقَدْ ذَكَرَ عَنِ الْهَيْثَمِ ابْنِ عَدِيٍّ : أَنَّ مِنْ لُغَةِ أَزْدٍ شَنْوَةٌ : مَا رُزِقَ فُلَانٌ بِمَعْنَى : مَا شَكَرَ فُلَانٌ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا حُسَيْنُ ابْنِ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ } ، يَقُولُ : " شُكْرِكُمْ { أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ } ، تَقُولُونَ : مُطْرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ، بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا " .²

وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّهْدِيِّ - وَابْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْمُثَنَّى ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ مُوسَى ، وَعَنْ يَعْقُوبَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ يَحْيَى ابْنِ أَبِي بُكَيْرٍ ، ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ

¹ قال أبو القاسم المدني وَفَقَّهُ اللهُ : - (علي هذا المعنى فالرزق بمعنى العطاء الصادر من العباد أي وتجعلون عطاءكم وبذلك مقابل نعمتي تكذيبكم بي وبرسلي وهذا هو كفر وجود لصاحب النعم جل وعلا)

² المسند (108/1) .

إِسْرَائِيلَ، بِهِ مَرْفُوعًا¹. وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ ابْنِ مَنِيعٍ، عَنْ حُسَيْنِ ابْنِ مُحَمَّدٍ - وَهُوَ الْمَرْوَزِيُّ - بِهِ. وَقَالَ: "حَسَنٌ غَرِيبٌ". وَقَدْ رَوَاهُ سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، وَلَمْ يَرْفَعْهُ².

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بَشْرِ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا مُطِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا أَصْبَحَ بَعْضُهُمْ كَافِرًا يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ". وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ، عَنْ صَالِحِ ابْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَثْبَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ زَيْدِ ابْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ فِي أَثَرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. "قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ". أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، كُلُّهُمُ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ، بِهِ³.

وَقَالَ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ، وَعَمْرُو ابْنُ سَوَادٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرُو ابْنِ الْحَارِثِ؛ أَنَّ أَبَا يُونُسَ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يَنْزِلُ الْغَيْثُ، فَيَقُولُونَ: بِكَوَكِبٍ كَذَا وَكَذَا". تَفَرَّدَ بِهِ مُسْلِمٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ⁴.

¹ تفسير الطبري (119/27).

² سنن الترمذي برقم (3295).

³ الموطأ (192/1) وصحيح البخاري برقم (846) وصحيح مسلم برقم (71) وسنن أبي داود برقم (3906) وسنن النسائي (164/3).

⁴ صحيح مسلم برقم (72).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيُصْبِحُ الْقَوْمَ بِالنِّعْمَةِ أَوْ يُمَسِّهِمْ بِهَا فَيُصْبِحُ بِهَا قَوْمٌ كَافِرِينَ يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا".¹

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ² رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ({ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ } تَقُولُونَ لِلْمَطَرِ الَّذِي سَقَيْتُمْ { أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ } تَقُولُونَ سَقَيْنَا بِالنَّوءِ الْفَلَانِي)³

وَقَالَ السَّعْدِيُّ⁴ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ تَعْرُضِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ: (وَقَوْلُهُ: { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ } أَي: تَجْعَلُونَ مَقَابِلَةَ مَنَّةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالرِّزْقِ التَّكْذِيبَ وَالْكَفْرَ لِنِعْمَةِ اللَّهِ، فَتَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا، وَتُضَيِّفُونَ النِّعْمَةَ لِغَيْرِ مُسَدِّيهَا وَمَوْلِيهَا، فَهَلَا شَكَرْتُمْ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى إِحْسَانِهِ، إِذْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ لِيَزِيدَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ التَّكْذِيبَ وَالْكَفْرَ دَاعٍ لِرَفْعِ النِّعْمِ وَحُلُولِ النِّقْمِ.)⁵

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: « هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ ». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: « قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ ».⁶

¹ تفسير القرآن العظيم (7 / 545) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) بتحقيق: سامي بن محمد سلامة .

² الصحابي الجليل عبد الله بن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - (المتوفى: 68هـ)

³ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)

⁴ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي

⁵ تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1 / 836) للسعدي ، بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحي .

⁶ متفق عليه . أخرجه : البخاري 214/1 (846) ، ومسلم 59/1 (71) (125) .

وقال النووي¹ رَحْمَةُ اللَّهِ : (وأما معنى الحديث فاختلف العلماء في كفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين أحدهما هو كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَالِب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام قالوا وهذا فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر منشيء للمطر كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم ومن أعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء والشافعي منهم وَهُوَ ظاهر الحديث)²

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن³ رحمه الله في فتح المجيد : (ودل هذا الحديث على أنه لا يَجُوزُ لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره ولو على سبيل المجاز)⁴ وقال : (فالفضل والرحمة صفتان لله، ومذهب أهل السُنَّة والجماعة: أن ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الذات: كالحياة والعلم، وصفات الأفعال؛ كالرحمة التي يرحم بها عباده، كلها صفات لله قائمة بذاته ليست قائمة بغيره، فتفطن لهذا فقد غلط فيه طوائف.

وفي هذا الحديث: إن نعم الله لا يَجُوزُ أن تضاف إلا إليه وحده، وَهُوَ الذي يحمده عليها، وهذه حال أهل التَّوْحِيد.)⁵

وقال أيضا : (قال القرطبي في شرح حديث زيد ابن خالد: " وكانت العرب إذا طلع نجم من الشرق، وسقط آخر من المغرب فحدث عند ذلك مطر أو ريح، فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب نسبة إيجاد واختراع، ويطلقون ذلك القول المذكور في الحديث. فنهى الشارع عن إطلاق ذلك؛ لئلا يعتقد أحد اعتقادهم ولا يتشبه بهم في نطقهم ". انتهى.

¹ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مرا بن حسن، أبو زكريا الحزامي النووي، المتوفى سنة 676 هـ

² المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (2 / 60).

³ عبد الرحمن بن حسن بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: 1285هـ)

⁴ فتح المجيد شرح كتاب التَّوْحِيد (1 / 326) بتحقيق مُحَمَّد حامد الفقي .

⁵ المصدر السابق .

قوله: " فمنهم من ينسبه نسبة إيجاد" يدل على أن بعضهم كان لا يعتقد ذلك، كما قال تعالى: {وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} . فدل على أن منهم من يعرف ويقر بأن الله هو الذي أوجد المطر، وقد يعتقد هؤلاء أن للنوء فيه شيئاً من التأثير، والقرطبي في شرحه لم يصرح أن العرب كلهم يعتقدون ذلك المعتقد الذي ذكره. فلا اعتراض عليه بالآية للاحتمال المذكور. ¹

وروي: (يصبح الناس مجدين فيأتيهم الله برزق من عنده فيصبحون مشركين ويقولون مطرنا بنوء كذا وكذا) ²

وفي جامع الأصول ³ عن علي ابن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تَكَذِّبُونَ} قَالَ : شُكْرُكُمْ ، تَقُولُونَ : مُطْرُنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا ، وَبِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا ؟» . ⁴

وعن معاوية الليثي قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يكون الناس مجدين فينزل الله تبارك وتعالى عليهم رزقا من رزقه فيصبحون مشركين فليل له وكيف ذاك يا رسول الله قَالَ يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا) ⁵

وَقَالَ **بن الأثير** ⁶ رحمه الله في جامع الأصول عند شرحه لحديث 5809 : (وإنما غلط النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أمر الأنواء ، لأن العرب كانت تنسب المطر إليها فأما من جعل المطر من فعل

¹ المصدر السابق . فراجع فيه شفاء لما في الصدور .

² أخرجه الطبراني (430/19) ، رقم (1043) . وأخرجه أيضاً : الطيالسي (ص 178 ، رقم 1262) ، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثنائين (195/2) ، رقم (940) ، والطبراني في الأوسط (73/3) ، رقم (2528) . من جامع الجوامع للسيوطي .

³ جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّدَ الجزري ابن الأثير (المتوفى : 606هـ) بتحقيق : عبد القادر الأرئوط

⁴ أخرجه أحمد (89/1) (677) وفي (108/1) (849) . و(الترمذي) (3295) . و(عبد الله بن أحمد) (131/1) (1087) وأخرجه أحمد (108/1) (850) .

تخرج أمين صالح شعبان .

⁵ مسند أحمد 3 / 429 (15576) وقال شعيب الأرئوط : إسناده حسن من أجل عمران القطان : وهو ابن داود وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح

⁶ أي : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّدَ الجزري ابن الأثير .

الله عز وجل وأراد بقوله : مطرنا بنوء كذا ، أي : في وقت كذا ، وهو هَذَا النوء الفلاني ، فإن ذلك جائز ¹)

(قَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ : وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ بِأَحَدِهِمْ نَازِلَةً ، أَوْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ ، أَوْ مَكْرُوهٌ يَسُبُّ الدَّهْرَ اعْتِقَادًا مِنْهُمْ أَنَّ الَّذِي أَصَابَهُ فِعْلُ الدَّهْرِ كَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَسْتَمِطِرُ بِالْأَنْوَاءِ ، وَتَقُولُ : مُطِرْنَا بِنُوءِ كَذَا اعْتِقَادًا أَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الْأَنْوَاءِ فَكَانَ هَذَا لِلْفَاعِلِ ، وَلَا فَاعِلَ لِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا اللَّهُ ، تَعَالَى ، خَالِقَ كُلِّ شَيْءٍ وَفَاعِلُهُ فَهَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ) ² .

مبحث في ذكر نسبتهم إلى الله تعالى الولد .

وقال ابن عطية ³ رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قول الله تعالى : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) ⁴ : (الضمير في قَالُوا للكفار من العرب في قولهم للملائكة بنات الله وللنصارى ولكل من كفر بهذا النوع من الكفر ،) ⁵

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : (وهذا تقييح وتشنيع لقول المعاندين الجاحدين ، الذين زعموا أن الرحمن اتخذ ولدا ، كقول النصارى: المسيح ابن الله ، واليهود: عزيز ابن الله ، والمشركين: الملائكة بنات الله ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.) ⁶

وقال في المدخل "فهؤلاء كانوا يعلنون أن الله خالقهم وخالق السموات والأرض ، ولكنهم لم يكونوا يسيرون مع منطق الفطرة في أفراد الخالق بالعبادة ، وفي إخلاص الدين كله لله بلا شريك ، وإنما كانوا يبتدعون أسطورة بنوة الملائكة لله سُبْحَانَهُ ، ثم يصوغون للملائكة تماثيل يعبدونها ، ثم يزعمون أن عبادتهم لتماثيل الملائكة - وهي التي يدعوها آلهة أمثال اللات والعزى ومناة - ليست

¹ جامع الأصول 7 / 634

² إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأحمد بن أبي بكر بن إساعيل البوصيري المصري المتوفى 840 هـ

³ أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي (المتوفى: 542هـ)

⁴ سورة مريم 88

⁵ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

⁶ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1 / 501)

عبادة لها في ذاتها، وإنما هي زلفى وقربى لله؛ كي تشفع لهم عنده في نصرهم ووزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا. وهُوَ انحراف عن الفطرة واستقامتها إلى هَذَا التعقيد والتخريف، فلا الملائكة بنات الله، ولا الأصنام تماثيل الملائكة، ولا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يرضى بهَذَا الانحراف، ولا هم يقبل فيهم شفاعة، ولا هو يقربهم إليه عن هَذَا الطريق.¹

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (عن عكرمة : هو قول الله (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) فإذا سئلوا عن الله وعن صفته ، وصفوه بغير صفته وجعلوا له ولدا وأشركوا به)²

مبحث في ذكر قولهم أن الملائكة بنات الله وإنكار الله تعالى عليهم ذلك .

وقال الله تعالى منكرا علي من نسب إليه اتخاذته من الملائكة بناتا : { أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا }³ . وهذا شرك في الربوبية وفي الأسماء والصفات ، فالرب تعالى هو الصمد الذي لا يلد ولم يولد .

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب: الملائكة بنات الله (أفأصفاكم) أيها الناس (ربكم بالبنين) يقول: أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد) واتخذ من الملائكة إناثا) وأتم لا ترضونهن لأنفسكم، بل تندونهن، وتقتلونهن، فجعلتم لله ما لا ترضونه لأنفسكم (إنكم لتقولون قولا عظيما) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قالوا من الفرية على الله ما ذكرنا: إنكم أيها الناس لتقولون بقبيلكم: الملائكة بنات الله، قولا عظيما، وتفترون على الله فرية منكم. وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا محمد، قال: ثنا محمد ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (واتخذ من الملائكة إناثا) قال: قالت اليهود: الملائكة بنات الله).⁴

¹ مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (1 / 319)

² جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (16 / 287) بترقيم الشاملة ، بتحقيق أحمد محمد شاكر .

³ سورة الاسراء 40

⁴ جامع البيان في تأويل القرآن (17 / 452) بتحقيق أحمد محمد شاكر .

قَالَ الْبَغَوِيُّ¹ رَحِمَهُ اللَّهُ : (قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ} أَي: اخْتَارَكُمْ فَجَعَلَ لَكُمْ الصَّفْوَةَ وَلِنَفْسِهِ مَا لَيْسَ بِصَفْوَةٍ يَعْنِي: اخْتَارَكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا {لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ {إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} يُخَاطَبُ مُشْرِكِي مَكَّةَ).²

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ³ رَحِمَهُ اللَّهُ : (قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ} قَالَ مَقَاتِلُ: نَزَلَتْ فِي مُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ قَالُوا:

الملائكة بنات الرحمن. وَقَالَ أَبُو عبيدة: ومعنى أَفَأَصْفَاكُمْ: اختصمكم. وَقَالَ الْمُفَضَّلُ: أَخْلَصَكُمْ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: اخْتَارَ لَكُمْ صَفْوَةَ الشَّيْءِ، وَهَذَا تَوْبِيخٌ لِلْكَفَّارِ، وَالْمَعْنَى: اخْتَارَ لَكُمْ الْبَنِينَ دُونَهُ، وَجَعَلَ الْبَنَاتَ مَشْرُوكَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، فَاخْتَصَمَكُمْ بِالْأَعْلَى وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ الْأَدُونَ؟!)⁴

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : (يَقُولُ تَعَالَى رَادًّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ الْكَاذِبِينَ الزَّاعِمِينَ - عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ - أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، فَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا، ثُمَّ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ، ثُمَّ عَبْدوهُمْ فَأَخْطَئُوا فِي كُلِّ مِنَ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثِ خَطَأً عَظِيمًا، قَالَ تَعَالَى مِنْكَرًا عَلَيْهِمْ: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ} أَي: خَصَمَكُمْ بِالذَّكُورِ {وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا} أَي: اخْتَارَ لِنَفْسِهِ عَلَى زَعْمِكُمُ الْبَنَاتَ؟ ثُمَّ شَدَّدَ الْإِنْكَارَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: {إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا} أَي: فِي زَعْمِكُمْ لِلَّهِ وَلَدًا، ثُمَّ جَعَلَكُمْ وَلَدَهُ الْإِنَاثَ الَّتِي تَأْنِفُونَ أَنْ يَكُنَّ لَكُمْ، وَرَبَّمَا قَتَلْتُمُوهُنَّ بِالْوَادِ، فَتِلْكَ إِذَا قَسَمَةَ ضِيْرَى).⁵

¹ محيي السنة، أبو مُحَمَّدَ الْحَسَنِ بْنِ مَسْعُودِ الْبَغَوِيِّ (المتوفى: 510هـ)

حقيقه وخرج أحاديثه مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ النَّمِرِ - عَثَانَ جَمْعَةَ ضَمِيرِيَّة - سَلْيَانَ مَسْلَمَ الْحَرَشِ

² تفسير البغوي المسيحي معالم التنزيل في تفسير القرآن (5 / 95) بتحقيق مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ النَّمِرِ - عَثَانَ جَمْعَةَ ضَمِيرِيَّة - سَلْيَانَ مَسْلَمَ الْحَرَشِ

³ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّدَ الْجَوْزِيِّ (المتوفى: 597هـ)

⁴ زاد المسير في علم التفسير (3 / 26) بتحقيق عبد الرزاق المهدي

⁵ تفسير القرآن العظيم (5 / 77) بتحقيق سامي بن مُحَمَّدَ سَلَامَةَ

قَالَ السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ : (وهذا إنكار شديد على من زعم أن الله اتخذ من خلقه بنات فقال: { أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ } أي: اختار لكم الصفوة والقسم الكامل واتخذ لنفسه من الملائكة إناثا حيث زعموا أن الملائكة بنات الله.)¹

وقال تعالى منكرًا علي المشركين شركهم في الرُّبُوبِيَّةِ والصفات : (فَاسْتَفْتِهِمَ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ، أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ)² .

قال الأوسي³ رَحْمَةُ اللَّهِ عند تفسيره لهذه الآية : (ثم أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه ما تنكره العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة . وسليم . وخزاعة . وبني مليح : الملائكة بنات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عما يقولون علواً كبيراً ، ثم بتبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يجعلهم إناثاً ، ثم أبطل سُبْحَانَهُ أصل كفرهم المنطوي على هذين الكافرين وَهُوَ نسبة الولد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ذلك علواً كبيراً ، ولم ينظمه سُبْحَانَهُ في سلك التبكيته لمشاركتهم اليهود القائلين عزيز ابن الله والنصارى المعتقدين عيسى ابن الله تعالى الله عن ذلك ،)⁴

وقال السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ : (يقول تعالى لنبيه مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { فَاسْتَفْتِهِمَ } أي: اسأل المشركين بالله غيره، الذين عبدوا الملائكة، وزعموا أنها بنات الله، فجمعوا بين الشرك بالله، ووصفه بما لا يليق بجلاله، { أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ } أي: هذه قسمة ضيزى، وقول جائر، من جهة جعلهم الولد لله تعالى، ومن جهة جعلهم أربداً القسامين وأخسها له وَهُوَ البنات التي لا يرضونهن

¹ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1 / 458)

² سورة الصافات 149 - 150

³ شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الأوسي .

⁴ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (17 / 247) .

لأنفسهم، كما قال في الآية الأخرى { وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ } ومن جهة جعلهم الملائكة بنات الله، وحكمهم بذلك. ¹

وقال تعالى أيضا منكرًا علي المشركين نسبتهم إلى الله تعالى الولد واصطفاء البنات من الملائكة : (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى) . وفيها شرك في الربوبية والأسماء والصفات .

قال ابن كثير رحمه الله : (يقول تعالى مُنْكَرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي تَسْمِيَتِهِمُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى، وَجَعَلَهُمْ لَهَا أَبْنَاءَ بَنَاتِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ: { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا تَأْتُوا بِمِثَالٍ وَلَئِن سَأَلْتُمْ لَتَنفَعُنَّ الْإِنسَانَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَيُغْنِيهِمْ يَوْمَئِذٍ } ²) ³

قال الألويسي رحمه الله : (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ { وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي } لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ { المنزهين عن سمات النقصان على الإطلاق } تَسْمِيَةَ الْأُنثَى { فإنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ } ⁴

قال السعدي رحمه الله : (يعني أن المشركين بالله المكذبين لرسوله، الذين لا يؤمنون بالآخرة، ويسبب عدم إيمانهم بالآخرة تجرأوا على ما تجرأوا عليه، من الأقوال، والأفعال المحادة لله ولرسوله، من قولهم: " الملائكة بنات الله " فلم ينزهوا ربهم عن الولادة، ولم يكرموا الملائكة ويجلوهم عن تسميتهم إياهم إناثًا، والحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عن الله، ولا عن رسوله، ولا دلت على ذلك الفطر والعقول، بل العلم كله دال على نقيض قولهم، وأن الله منزّه عن الأولاد والصاحبة، لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأن الملائكة كرام مقربون إلى الله، قائمون بخدمته { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } والمشركون إنما يتبعون في

¹ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1 / 708)

² [سورة الزخرف: 19]

³ تفسير بن كثير (7 / 459)

⁴ تفسير الألويسي المسمي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (20 / 4)

ذلك القول القبيح، وَهُوَ الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، فإن الحق لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة.¹

وَقَالَ تَعَالَى: (الَّذِينَ يَدْعُونَ أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ بِالْمَرْءِ وَاللَّهُ يَدْعُ بِمَنْ يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) ²

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَفَرَأَيْتُمْ: أَخْبَرُونَا أَيُّهَا الزَّاعِمُونَ أَنَّ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ بَنَاتِ اللَّهِ تَعَالَى عَمَا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا).

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ بِمَكَّةَ يَقُولُونَ الْأَصْنَامَ وَالْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ اللَّهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا بُشِّرَ بِالْأُنْثَى كَرِهَ ذَلِكَ. ³

مبحث في ذكر نسبتهم العجز عن سماع المخلوقات في آن واحد للرب جل وعلا :

يقول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله تَعَالَى: " أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا " ⁴ " وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ سَاحِرٌ كَذَّابٌ: أَجْعَلُ الْمَعْبُودَاتِ كُلَّهَا وَاحِدَةً، يَسْمَعُ دَعَاءَنَا جَمِيعًا، وَيَعْلَمُ عِبَادَةَ كُلِّ عَابِدِ عَبْدِهِ مِنَّا: [إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ] ⁵ " انتهى .

فأين قوله بأن شرك العرب كان في الألوهية فقط؟! وإن لم يكن قولاً صريحاً، فأين هو التلميح في كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ، أو من أين يفهم أن شركهم كان في الألوهية فقط؟! أقول: بل كلام الطبري دليل لمن يقول بقولنا، وَهُوَ أَنْ كَفَّارَ قُرَيْشٍ كَانُوا كَافِرِينَ بَرِّيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى! وإن اعترفوا بها في بعض المواضع!

¹ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1 / 820)

² سورة النجم 21 .

³ تفسير البغوي (4 / 309) بتحقيق عبد الرزاق المهدي .

⁴ سورة ص 5

⁵ سورة ص 5

لأن كون الكفار لم يعترفوا لله بربوبيته وهي كونه يسمع جميع المسموعات التي خلقها ، ويبصر جميع المبصرات التي خلقها ، ويعامل كل عامل بما يريد مع أنه خالقهم جميعا !! وهذا نقض لاعترافهم بأن الله رب هذا الكون !!

فقد اعترفوا بأن الله خالقهم : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)¹ ومع ذلك لم يعتقدوا أن

خالقهم هذا قادر على سماعهم في آن واحد لعجزه ، فبطل اعترافهم بأنه قادر على خلقهم !

وقال الرازي² رحمه الله : (الْقَوْمَ مَا كَانُوا مِنْ أَصْحَابِ النَّظْرِ وَالِاسْتِدْلَالِ بَلْ كَانَتْ أَوْهَامُهُمْ تَابِعَةً

لِلْمَحْسُوسَاتِ فَلَمَّا وَجَدُوا فِي الشَّاهِدِ أَنَّ الْفَاعِلَ الْوَاحِدَ لَا تَفِي قُدْرَتُهُ وَعَمَلُهُ بِحِفْظِ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ

قَاسُوا الْغَائِبَ عَلَى الشَّاهِدِ ، فَقَالُوا لَا بُدَّ فِي حِفْظِ هَذَا الْعَالَمِ الْكَثِيرِ مِنْ آلِهَةٍ كَثِيرَةٍ يَتَكَلَّفُ كُلُّ وَاحِدٍ

مِنْهُمْ بِحِفْظِ نَوْعٍ آخَرَ)³ فهذا تصريح من الإمام الرازي رحمه الله بأنهم نقضوا اعترافهم بربوبية الله

تعالى في مواضع أخرى معلومة مشهورة بهذا التعجب الدافع إلى الكفر ، ووقعوا في الشرك في

الرُّبُوبِيَّةِ . ولا شك أن تعجبهم ذلك شرك صريح في الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ جَرَّهُمْ إِلَى الشَّرْكِ فِي

الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعِيَاذِ بِاللَّهِ .

مبحث في ذكر شرك الجاهلية في الحكم وبيان أنه شرك في الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ وَالصِّفَاتِ .

ومن أصول دين المسلمين أن الحكم لله تعالى وحده ، فهو رب هذا الكون ، خالقه والمتصرف فيه ،

ولا يستحق العبادة إلا هو ، لما له من صفات الجلال والجمال والكمال ، وهو الذي يحكم في خلقه بما

يريد . والأدلة المتكاثرة على أن الحكم لا يكون إلا لله تعالى .

¹ سورة الزخرف 87

² أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين النجفي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)

³ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (28 / 368) للرازي .

وكثيرا ما يبين ربنا تبارك وتعالى في كتابه أنه الخالق ليستدل به علي استحقاقه العبادة فيقول تعالى : (**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**) ¹ . فبين أن له الأمر بكل شيء .

قال أهل العلم :

بل الحق أن الحكم لله وحده... له الخلق والأمر الذي في الشريعة

ثم بين الله تعالى أن له العبادة : (**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ**) ² فالحكم لله لأنه الخالق ، ومن لوازم الخالق أن يحكم ما خلقه بما أراد ، ثم عقب وألزمهم عبادته وحده كلازم من لوازم الخلق والحكم .

ثم أمر الله تعالى كل أنبياءه أن يحكموا بين الناس بحكم الله تعالى وأن لا يلقي لأحكامهم بالا ، فقال تعالى : (**فَاخُذْ مِنْهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ**) ³

ثم قرعهم الله بسؤال تعجبي استنكاري ، مبينا أن لا حكم أحسن من حكمه ولا فصل أقوم من فصله ، فقال تعالى : (**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) ⁴

ثم بين ربنا أن الخالق يفعل ما يريد بخلقه ويحكم فيهم بما يشاء ، فقال تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**)

5

ولما يتم حكمه لا يعقب مخلوق علي خالقه ، كما أنه لا يعقب مولي علي سيده ، فقال تعالى : (**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعْتَبَرٍ لِحُكْمِهِ**) ¹ فمن تعقب حكم الله برأي أو استدرك عليه بقول أو رده ولم يقبله فهو

¹ سورة الأعراف: 54

² سورة يوسف 40

³ سورة المائدة 48

⁴ سورة المائدة 50

⁵ سورة المائدة 1

كافر به غير بمؤمن مناوء له غير مُسَلَّم ، فَقَالَ تَعَالَى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) ²

ثم بين سُبْحَانَهُ أن الحكم في الدنيا والآخرة له ، لأنه خالق الكون من العدم علي غير مثال سابق ومن دون معونة من أحد - وهذا شأن الخالق - وَهُوَ المعيد كما بدأ الحاكم كما خلق ، فَقَالَ تَعَالَى : (اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) ³

وأكثر من ذلك - أيها البصير - في آي القرآن الكريم تجده يكفر تكفيرا صريحا من دخل في دين الله تَعَالَى ولم ينسق لحكمه أو يرض به ويصير بذلك خارجا عن الإسلام حلال الدم والمال ، فكيف بمن لم يدخل في دينه ولم يقبل بحكمه ابتداءا؟!.

مبحث في ذكر حكاية الله تعالى لنوع من شركهم في الروبوية .

قال الله تعالى يحكي عن حال المشركين : (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِذَا يَافَوْهُمْ ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ، وَمَا يَكُفُّكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ ، ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) ⁴

وقال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ، وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ، لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَيَمْتَنَعُوا فَسَوْفَ

¹ سورة الرعد 41

² سورة المائدة 44

³ سورة الحج 69

⁴ سورة النحل 51-54

تَعْلَمُونَ ، أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ¹) وفي تلك الحكاية ملامح خفي وهو أن حكاية شركهم هذه تحوي شركهم في الربوبية والألوهية معا ، لأنها متلازمان لا ينفك واحد منهما عن الآخر ، وإن أقر بشر بواحد منها وترك الآخر فقد نقضه - اي الآخر - من حيث لا يدري . وهنا قد صرح الله تعالى بشركهم بلفظ الرب وليس بلفظ الإله ، ومعلوم بأن اللفظين إذا اجتمعا -أي في اللفظ- افترقا -أي في المعنى- وإذا افترقا اجتمعا ² ، فهنا قد جمع الله تعالى الألوهية في أول الآيات ثم ذكر الربوبية أيضا وفيه دلالة علي أن الشرك في الاثنين معا وليس في الألوهية فقط كما يزعم البعض .

قال الإمام الخازن ³ عند تفسيره لقول الله تعالى :- (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِذَا تَوَلَّوْا فَارْهَبُوا ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ، وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ ، ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ يَرْتَدَّوْنَ يُشْرِكُونَ) ⁴ (ولما بين في الآية المتقدمة أنه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا إلا الله تعالى بين في هذه الآية أن جميع النعم منه لا يشكر عليها إلا إياه ، لأنه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها ثم إذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ أي الشدة والأمراض والأسقام فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ يعني إليه تستغيثون ، وتصيحون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضرر والشدة وأصل الجوار هو رفع الصوت الشديد ، ومنه جوار البقر. والمعنى أن النعم لما كانت كلها ابتداء منه فإن حصل شدة ، وضر في بعض الأوقات فلا يلجأ إلا إليه ولا يدعي إلا إياه ليكشفها ، فإنه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ يعني ثم إذا أزال الشدة ، والبلاء عنكم إذا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ يعني

1 سورة الروم 30-35

2 أي إذا اجتمع لفظ الاسلام والايان في عاية أو حديث فإنما يقصد بكل لفظ منها معني خاص ، وإذا وجدت لفظه الاسلام أو الايمان في عاية أو حديث وحدها فإنما يقصد بها عموم الدين ، وهذا معني إذا اجتمعا في اللفظ افترقا في المعني ، وإذا افترقا في اللفظ اجتمعا في المعني .

3 هو علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن ، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)

4 سورة النحل 51-54

طائفة وجماعة منكم **بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ** يعني أنهم يضيفون كشف الضر إلى العوائد، والأسباب ولا يضيفونه إلى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه، وإنما قسمهم فريقين لأن فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر إلا من الله تعالى¹ فانظر إلي قوله رحمه الله (يعني أنهم يضيفون كشف الضر إلى العوائد، والأسباب ولا يضيفونه إلى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه) وهذا شرك في الربوبية وليس في الألوهية ، لأنهم نسبوا فعلا من أفعال الله تعالى إلى غيره .

مبحث في ذكر تكفير الله تعالى لأكثر المشركين لإنكارهم نعمة الله بعد معرفتها.

ومن صريح الأدلة علي أن المشركين لم يكونوا - أو أكثرهم - مؤمنين بالله تعالى ربا قوله تعالى :-
(يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ)² فقد ذكر الله تعالى أنهم علي معرفة بنعم الله تعالى التي أنعم بها وحده عليهم فكم قد أقرروا واعترفوا في غير موطن بأن الله هو الخالق والرازق ؟ ولكنهم ينكرون ذلك بعدم انقيادهم للوازحما فكان إنكارا صريحا لإقرارهم - الزائف - فأدي بهم إلى الكفر. قال السعدي رحمه الله :- (فإنهم يرون الإحسان، ويعرفون نعمة الله، ولكنهم ينكرونها ويحذونها، {وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} لا خير فيهم،)³.

وقال الطاهر بن عاشور⁴ رحمه الله :- (هُمْ يَعْلَمُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ الْمَعْدُودَةَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ مُنْتَفِعُونَ بِهَا، وَمَعَ تَحَقُّقِهِمْ أَنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ يُنْكِرُونَهَا، أَيُّ يُنْكِرُونَ شُكْرَهَا فَإِنَّ النِّعْمَةَ تَقْتَضِي أَنْ يُشْكِرَ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَا مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ فَلَمَّا عَبَدُوا مَا لَا يُنْعَمُ عَلَيْهِمْ فَكَانَتْهُمْ أَنْكَرُوهَا، فَقَدْ أُطْلِقَ فِعْلُ «يُنْكِرُونَ» بِمَعْنَى إِنْكَارِ حَقِّ النِّعْمَةِ، فَاسْنَادُ إِنْكَارِ النِّعْمَةِ إِلَيْهِمْ مَجَازٌ لُغَوِيٌّ، أَوْ هُوَ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، أَيُّ يُنْكِرُونَ مُلَابِسَهَا وَهُوَ الشُّكْرُ ... - ثم قال - ... وَإِنْكَارِ النِّعْمَةِ يَسْتَوِي فِيهِ جَمِيعُ الْمُشْرِكِينَ أَيَّمَتَهُمْ وَدَهْمَاؤُهُمْ،

¹ لباب التأويل في معاني التنزيل (81/3) للخازن ،

² سورة النحل 83 .

³ تفسير السعدي 445/1 .

⁴ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ).

فَفَرِيقٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَيْمَةٌ الْكُفْرِ شَانُهُمُ التَّعْتَلُّ وَالتَّائُمْلُ فَإِنَّهُمْ عَرَفُوا النِّعْمَةَ بِإِقْرَارِهِمْ بِالْمُنْعَمِ وَبِمَا سَمِعُوا مِنْ دَلَائِلِ الْقُرْآنِ حَتَّى تَرَدَّدُوا وَشَكُّوا فِي دِينِ الشِّرْكِ ثُمَّ رَكَبُوا رُؤُوسَهُمْ وَصَمَّمُوا عَلَى الشِّرْكِ. وَلِهَذَا عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالْإِنْكَارِ الْمُقَابِلِ لِلْإِقْرَارِ.¹

وقال الشنقيطي رحمه الله :- (ذَكَرَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ الْكُفَّارَ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ، وَيُدَبِّرُ شُؤْنَهُمْ، ثُمَّ يُنْكِرُونَ هَذِهِ النِّعْمَةَ ؛ فَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَيُسَوُّونَهُ بِمَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، وَلَا يُغْنِي شَيْئًا. وَقَدْ أَوْضَحَ - جَلَّ وَعَلَا - هَذَا الْمَعْنَى فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ)²

وقال الشيخ علوان³ رحمه الله :- (وكيف لا يحاسبون ولا يعاقبون أولئك المشركون المكابرون إذ هم يعرفون نعمت الله التي قد عددها وهياها لهم ثم ينكرونها من خبث بواطنهم بحيث أسندوها الى شركائهم وشفعائهم وبالجملة أكثرهم اى عرفاؤهم وعقلاؤهم الذين يعرفون النعمة والمنعم ثم ينكرون انعامه ويسندونها الى شركائهم وكذا اتباعهم وضعفاؤهم في العقل والتمييز كلهم أصلا وفرعا تابعا ومتبوعا هم الكافرون الجاحدون المنكرون الله وانعامه المقصرون على الكفر والشقاق يجازون على مقتضى جحودهم وانكارهم)⁴

وقال بن قتيبة⁵ :- (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ أَي يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ يَنْكُرُونَ ذَلِكَ، بَأَنَّ يَقُولُونَ: هُوَ شَفَاعَةُ الْهَتْنَا).

وقال الشوكاني¹ رحمه الله :- (وَجُمْلَةٌ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا اسْتِثْنَاءٌ لِبَيَانِ تَوَلِّيهِمْ، أَي: هُمْ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي عَدَّدَهَا، وَيَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا بِمَا يَقَعُ مِنْ

¹ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» 242/14 .

² أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 420/2 .

³ نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ).

⁴ الفوايح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية 434/1 .

⁵ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ).

أَفْعَالِهِمُ التَّيْبِيحَةَ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَبِأَقْوَالِهِمُ الْبَاطِلَةَ، حَيْثُ يَقُولُونَ هِيَ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنَّهَا بِشَفَاعَةِ الْأَصْنَامِ، وَحَيْثُ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ وَرِثُوا تِلْكَ النِّعَمَ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَيْضًا كَوْنِهِمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ النِّعَمَ فِي مَرْضَاةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، وَفِي وُجُوهِ الْخَيْرِ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِصَرْفِهَا فِيهَا وَقِيلَ: نِعْمَةُ اللَّهِ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَعْرِفُونَهُ ثُمَّ يُنْكِرُونَ نُبُوَّتَهُ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ أَي: الْجَاهِدُونَ لِنِعْمِ اللَّهِ أَوْ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ، وَعَبَّرَ هُنَا بِالْأَكْثَرِ عَنِ الْكُلِّ، أَوْ أَرَادَ بِالْأَكْثَرِ الْعُقَلَاءَ دُونَ الْأَطْفَالِ وَنَحْوِهِمْ، أَوْ أَرَادَ كُفْرَ الْجُحُودِ وَلَمْ يَكُنْ كُفْرُ كُلِّهِمْ كَذَلِكَ، بَلْ كَانَ كُفْرُ بَعْضِهِمْ كُفْرًا جَهْلِيًّا، وَكُفْرُ بَعْضِهِمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِاللَّهِ وَعَدَمِ الْجَحْدِ لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ " (2) 3

فانظر إلي تقييد الامام الشوكاني أن بعض المشركين لم يكونوا معترفين بالربوبية .

وقال السيوطي⁴ رحمه الله : - (وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه: أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقراً عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم {والله جعل لكم من بيوتكم سكناً} قال الأعرابي: نعم قال: {وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها} قال الأعرابي: نعم ثم قرأ عليه كل ذلك يقول نعم حتى بلغ {كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون} فولى الأعرابي فأنزل الله {يعرفون نعمته الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون}

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: {يعرفون نعمته الله ثم ينكرونها} قال: هي المساكن والأنعام وما ترزقون منها وسراويل من الحديد والشياب تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره بأن تقول: هذا كان لأبائنا فورثونا إياه

¹ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ثم الصنعاني (المتوفى: 1250هـ).

² سورة النمل 14 .

³ فتح القدير 3 / 222.

⁴ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ).

وَأَخْرَجَ ابْنَ جَرِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ فِي الْآيَةِ قَالَ: يَعْلَمُونَ أَنَّ خَلْقَهُمْ وَأَعْطَاهُمْ بَعْدَمَا أَعْطَاهُمْ يَكْفُرُونَ فَهُوَ مَعْرِفُهُمْ نِعْمَتَهُ ثُمَّ إِنكَارَهُمْ إِيَّاهَا كَفَرَهُمْ بَعْدَ

وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: {يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا} قَالَ: انكَارَهُمْ إِيَّاهَا أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: لَوْلَا فَلَانُ أَصَابَنِي كَذَا وَكَذَا وَلَوْلَا فَلَانُ لَمْ أَصِبْ كَذَا وَكَذَا

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ السَّديِّ فِي قَوْلِهِ: {يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا} قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَفْظُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ: هَذَا فِي حَدِيثِ أَبِي جَهْلٍ وَالْأَخْسَنُ حِينَ سَأَلَ الْأَخْسَنُ أَبَا جَهْلٍ عَنِ مُحَمَّدٍ: فَقَالَ: هُوَ نَبِيٌّ ¹

فمن أجل ما ذكرنا أن المشركين أشركوا الله تعالى في صفة من صفات ربوبية ، فلذلك لا يصح أن يقال عليهم أنهم ءامنوا بالربوبية ، وغاية ما يقال بأنهم أقروا ببعض مسائلها لا على سبيل التسليم ولا على تمام الإقرار بل هو إقرار باللسان عري عن التطبيق والانقياد ، ومثل ذلك لا يغني عن الحق شيئاً .

مبحث في بيان شرك الجاهلية في التشريع وأن الألوهية من ألزوم لوازم الربوبية ، وأن التشريع شرك في الربوبية.

وَأَنْظِرْ إِلَى صَرِيحِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :- (اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ³ فتمعن في قوله " أرباباً " ولاحظ أنه لم يقل "ألهة من دون الله " ! مع أن المراد هو الألوهية وليس الربوبية !. فهنا

¹ الدر المنثور في التفسير بالمأثور 156-155/5

² قال السعدي - : {أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} يُجَلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِيحِلُّونَهُ، وَيَجْرَمُونَ لَهُمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِيحَرِّمُونَهُ، وَيَشْرَعُونَ لَهُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَقْوَالِ الْمَنَافِيَةَ لِدِينِ الرَّسْلِ فَيَتَّبِعُونَهُمْ عَلَيْهَا. (تيسير الكريم الرحمن (334/1).

³ [التوبة/31]

ذكر لفظ الربوبية وليس المراد منه أنهم يفعلون أفعال الرب¹ بل ولا يزعمون لأنفسهم ذلك ، ولكن الله قصد الربوبية من قبيل أنهم شرعوا شرعا يضاهاى شرع الله ، والتشريع حق لله تعالى وهو من أفعاله ، وهذا - انتحالمهم صفة التشريع ونديتها لله - خاف عليهم ، أما الانقياد له فهو من مظاهر الألوهية التي لا يفرد بها إلا الله ، أي أنهم يتخذون أحبارهم آلهة من دون الله ، ولذلك فهم عدي بن حاتم من مجرد سماع لفظ " أربابا " أن المقصود آلهة ! وكان فيها صحيحا ، ولكنه لما لم يكن اتخذهم لهم آلهة صراحة أشكل ذلك في فهم عدي رضي الله عنه فاعترض وبين للنبي أنهم لم يكونوا يعبدونهم ، فبين له النبي أن للعبادة أشكالا وألوانا منها طاعتهم فيما يخالفون فيه الله تعالى .

فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ - رضي الله عنه - قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: " يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَشَنَ " ² ، فَطَرَحْتُهُ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ³ وَرُهَبَانَهُمْ ⁴ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } ⁵ فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ ، فَقَالَ: " أَلَيْسَ يُحْرِمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَحَرَّمُونَهُ؟ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟ " ، قُلْتُ: بَلَى ، قَالَ: " فَنِلْكَ عِبَادَتِهِمْ " ⁶

" 1

¹ المشهورة من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة !

² (الوشن): كل ما له جنة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة، كصورة الآدمي، والصم: الصورة بلا جنة. تحفة الأحوزي - (ج 7 / ص 418)

³ أي: علماء اليهود. تحفة الأحوزي - (ج 7 / ص 418)

⁴ أي: عبادة النصارى. تحفة الأحوزي - (ج 7 / ص 418)

⁵ [التوبة/31]

⁶ قال في فتح البيان: في هذه الآية ما يجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله، وإيثار ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فإن طاعة المتمدن لمن يقتدي بقوله ويستن بسننه من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه هو كالتخاذ اليهود والنصارى للأخبار والرهبان أربابا من دون الله ، للقطع بأنهم لم يعبدوهم ، بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحلوا ما حللوا، وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة، وهو أشبه به من شبه البنيضة بالبنيضة، والتمرة بالتمرة، والماء بالماء ، فإنا عبادة الله ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانيا وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما ، وطلبه للعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه ، فعملتم بما جاءوا به من الآراء التي لم تعدد بعماد الحق، ولم تعضد بعضد الدين ونصوص الكتاب والسنة، تنادي بأبلغ نداء، وتضوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويأينيه، فأعزتموها آذانا صما، وقلوبا غلما، وأذهانا كلبية، وخواطر غليظة، وأنشدتم بلسان الحال: وما أنا إلا من غزية إن عوت غويت وإن ترشد غزية أُرشد انتهى ، وقال الزايزي في تفسيره: قال شيخنا ومولانا خاتمة المحققين والمجاهدين رضي الله عنه: قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرئت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض المسائل فكانت مذهبهم بخلاف تلك الآيات، فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا إليها ويقوا ينظرون إلي كالمتمتعج، يعني

قال بن كثير :- (رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرُقٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَّ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَسْرَتْ أُخْتُهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، ثُمَّ مَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُخْتِهِ وَأَعْطَاهَا، فَرَجَعَتْ إِلَى أَخِيهَا، وَرَغَبَتْهُ فِي الإِسْلَامِ وَفِي القُدُومِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدِمَ عَدِيُّ المَدِينَةَ، وَكَانَ رَئِيسًا فِي قَوْمِهِ طَيْيِّ، وَأَبُوهُ حَاتِمُ الطَّائِي المَشْهُورُ بِالكَرَمِ، فَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِقُدُومِهِ، فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِ عَدِيِّ صَليِبٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ. فَقَالَ: "بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ". وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عَدِيُّ، مَا تَقُولُ؟ أَيْفِرُكَ² أَنْ يُقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ تَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنَ اللَّهِ؟ مَا يَفِرُكَ؟ أَيْفِرُكَ أَنْ يُقَالَ³ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟ فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ؟" ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى الإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الحَقِّ، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبَشَرَ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اليَهُودَ مَعْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالتَّنَصَّارِي ضَالُّونَ"⁴ (⁵ والشاهد في هذا هو استعمال لفظة الربوبية بنفس معني الألوهية ، قالألوهية من ألزم لوازم الربوبية وأخص خصائصها وليست منفكة عنها ، ولذلك " قَالَ حُدَيْفَةُ بْنُ اليَمَانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُمَا فِي تَفْسِيرِ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} إِنَّهُمْ اتَّبَعُوهُمْ فِيمَا حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا"⁶ .

كَيْفَ يُمَكِّنُ العَمَلُ بِطَوَاهِرِ هَذِهِ الآيَاتِ مَعَ أَنَّ الرِّوَايَةَ عَنْ سَلْفِنَا وَرَدَّتْ إِلَى خِلَافِهَا، وَلَوْ تَأَمَّلْتَ حَقَّ التَّأَمُّلِ ، وَجَدْتَ هَذَا الدَّاءَ سَارِيًا فِي عُرُوقِ الأَكْثَرِينَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا انْتَهَى. تحفة الأحوذى - (ج 7 / ص 418)

¹ حسنه الألباني في صحيح الترمذي 3095، وحسنه في غاية المرام: 6.

² أيسرك

³ ما قول أيسرك

⁴ سنن الترمذي برقم (3095) وتفسير الطبري (14/ 209 - 211) من طريق عبد السلام بن حرب عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا تعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث".

⁵ تفسير القرآن العظيم (135/4) بتحقيق سامي بن محمد سلامة .

⁶ تفسير القرآن العظيم (135/4) بتحقيق سامي بن محمد سلامة .

وملخص ذلك أن أهل الجاهلية كانوا مشركين في الربوبية وليسوا مقربين بها ولا مؤمنين . ومعلوم أن القوم محل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك كان من دعوته لهم أن يفرد الله تعالى بالحكم والتشريع الذي هو من الربوبية .

ذكر كفر من لم ينسق لحكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم .

وبيت القصد أن من لم ينسق لحكم الله تعالى فهو كافر بربوبيته تعالى لأن الحكم من مسائل الربوبية من جهة كونه صادرا من الرب وهو حقه لأنه الخالق الباري المتصرف في خلقته ، فمتى لم تنسق لحكمه فقد كفرت بأنه الخالق وإن تشهدت و نطقت بها بلسانك .

قال الشنقيطي رحمه الله : (لما كان التشريع و جميع الأحكام ؛ شرعية كانت أو كونية قدرية ، من خصائص الربوبية ، كما دلت عليه الآيات المذكورة ، كان كل من اتبع تشريعا غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع رباً ، و أشركه مع الله)¹ .

وكذلك من رد حكم الله تعالى فقد كفر بالوهية الله تعالى لأن التحاكم لا يكون إلا لله تعالى الخالق لهذا الكون والذي لا يجوز أن يصرف نوع من أنواع العبادة لغيره سبحانه ، والحكم من أهم وأعظم مسائل الألوهية .

قال الشنقيطي رحمه الله : (الإشراف بالله في حكمه و الإشراف به في عبادته كلها بمعنى واحد لا فرق بينهما البتة ، فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله ، و تشريعاً غير تشريع الله ، و من كان يعبد الصنم ، و يسجد للوشن لا فرق بينهم البتة ؛ فهما واحد ، و كلاهما مشرك بالله)² .

¹ [أضواء البيان : 7 / 169]

² [أضواء البيان : 7 / 162]

لذلك يتبين أنهم بردهم حكم الله تَعَالَى وإعراضهم عنه كفر في باين عظيمين ، في باب الرُّبُوبِيَّةِ لأن الحكم من مَسَائِلِ الرُّبُوبِيَّةِ وكفار في الأُلُوهِيَّةِ لأن الحكم من مَسَائِلِ الأُلُوهِيَّةِ ولا يبعد أن يكونوا كفارا في باب الصفات لأن الحكم من صفات الله تَعَالَى .

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ¹ رَحِمَهُ اللهُ : (أما الذي جعل قوانين بترتيب و تخضيع فهذا كفر و إن قَالُوا أَخْطَأْنَا وَ حَكَمَ الشَّرْعُ أَعْدَلُ ؛ فَهَذَا كَفَرْنَا نَاقِلٌ عَنِ الْمَلَّةِ) .
فإليك أيها البصير تلك الأحكام التي تكفر من زعم الإسلام - أي ادعي الإسلام بلسانه - وسار علي أغلب مَسَائِلِهِ لكنه رد حكم الله تَعَالَى مناوئة له أو لهوي في نفسه ! ، فكيف بمن رده لأنه لم يدخل في الإسلام؟! لا شك أنه كافر في الأُلُوهِيَّةِ والرُّبُوبِيَّةِ والصفات من خلال هذه المسألة علي وجه التحديد .

ذكر بعض الأدلة علي كفر من رد حكم الله ورسوله وبيان أن مشركي العرب كفرة من هذا الجانب .

والأدلة علي أنهم بردهم حكم الله كفروا بالرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ كثيرة :
قَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عند تفسير قول الله تَعَالَى : (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ)² ما نصه - بتصرف - : (وذلك أن يهود بني النضير قَالُوا فيما بينهم: اذهبوا بنا إلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلنا نفتنه عن دينه. وإنما هو بشر فأتوه. فقالوا: يا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَا أَحْبَابُ الْيَهُودِ، وَأَشْرَافِهِمْ، وَسَادَتِهِمْ، وَأَنَا إِنْ اتَّبَعْنَاكَ اتَّبَعْنَا الْيَهُودَ، وَلَنْ يَخَالِفُونَا.

¹ هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ حسن بن إمام الدعوة محي السنة ميمت البدعة الشيخ (محمد بن عبد الوهاب). مفتي المملكة ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية المتوفي عام 1389هـ .

² سورة المائدة 49

وإن بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتنقضي لنا عليهم، فنؤمن بك، فأبى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك. فنزلت هذه الآية وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ يَعْنِي: اقض بينهم بما في القرآن، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ فِي الْحُكْمِ، وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتَتُوكَ يَعْنِي: يصرفوك، عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ.

وقال الضحاك: تزوج مجوسي ابنته، فجاءت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطلبت نفقتها، فأمر الله تعالى رسوله أن يفرق بينهما بقوله: وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ.

وقال الكلبي: طلبوا منه بأن يحكم بينهم في الدماء على ما كانوا عليه في الجاهلية فنزل وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتَتُوكَ.

ثم قال: فَإِنْ تَوَلَّوْا يَعْنِي: أبوا أن يرضوا بحكمك، فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصَيِّبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ يَعْنِي: يعذبهم في الدنيا. قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَعْنِي: بالجلاء إلى الشام، والإخراج من دورهم. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يَعْنِي: يريد الله أن يأمرهم إلى النار بذنوبهم. ¹

ومن ذلك نعلم أن اليهود لم ينساقوا لحكم الله تعالى علي لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم بذلك كفرون في الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ وَالصِّفَاتِ. وحال أهل مكة كحالهم.

قال الطبري رحمه الله عند تفسيره قول الله تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْتَعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ² ما ملخصه: (أيبغي هؤلاء اليهود الذين احتكموا إليك، فلم يرضوا بحكمك، إذ حكمت فيهم بالقسط "حكم الجاهلية"، يعني: أحكام عبدة الأوثان من أهل الشرك، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكمت به فيهم، وأنه الحق الذي لا يجوزُ خلافه.

ثم قال تعالى ذكره - موبخاً لهؤلاء الذين أبوا قبول حكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم ولهم من اليهود، ومستجهاً فعلهم ذلك منهم - : وَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ حُكْمًا، أَيُّهَا الْيَهُودُ، مِنَ اللهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ عِنْدَ مَنْ كَانَ يُوقِنُ بُوْحْدَانِيَةَ اللهِ، وَيَقْرُبُ رَبُّوبِيَّتَهُ؟ يقول تعالى ذكره: أَيُّ حُكْمٍ أَحْسَنُ مِنْ

¹ بحر العلوم للسمرقندي (1 / 396) بترقيم الشاملة .

² سورة المائدة 50

حكم الله، إن كنتم موقنين أن لكم رباً، وكنتم أهل توحيد وإقرار به؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال مجاهد).¹ يستنكر الله تَعَالَى علي من يزعم الإيمان بالله تَعَالَى ربا أو إلها أن يرد حكمه الذي أنزله مع رسله ويخترع حكما بشريا يضاهاه به حكم الله تَعَالَى ، ويبين أنهم كافرون حين ردّهم ذلك عليه .

قَالَ الْأَوْسِيُّ² رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قول الله تَعَالَى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَةِ يَنْبَغُونَ)³ ما ملخصه : (إنكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم ، أي أتولون عن قبول حكمك بما أنزل الله تعالى إليك فينبغون حكم الجاهلية؟ ...- ثم قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ - لأن التولي عن حكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطلب حكم آخر منكر عجيب ، وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب ، وَالْمُرَادُ بِالْجَاهِلِيَةِ الْمِلَّةُ الْجَاهِلِيَةُ التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الأحكام ، أو الأمة الجاهلية ، وحكمهم : ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى ... - ثم قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ - ، فقد روي أن بني النضير لما تحاكموا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خصومة قتيل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلب بعضهم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " القتلى بواء فقال بنو النضير : نحن لا نرضى بذلك " فنزلت)⁴

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى.)⁵

¹ تفسير الطبري (1 / 394 - 395) بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاکر .

² شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الأوسبي

³ سورة المائدة 50

⁴ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (5 / 14) .

⁵ تفسير السعدي (1 / 234)

فلما نفي الله تَعَالَى الإيمان عن من لم ينسق لحكمه تَعَالَى ولم يرض به من المسلمين ، كان من لم ينسق له من الكافرين كافر في تلك النقطة علي سبيل التفصيل عند من يفصلون التَّوْحِيدَ لِمَسَائِلَ ، لأن الحكم من جهة كونه حقا لله تَعَالَى فمنكره كافر بربوبية الله تَعَالَى في تلك النقطة ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ مؤكدا كفرهم بالله تَعَالَى - ما ملخصه - : (يعني جل ثناؤه بقوله: "فلا" فليس الأمر كما يزعمون: أنهم يؤمنون بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك إذا دعوا إليك يا مُحَمَّد - واستأنف القسم جل ذكره فقال: "وربك"، يا مُحَمَّد - "لا يؤمنون"، أي: لا يصدقون بي وبك وبما أنزل إليك - "حتى يحكموك فيما شجر بينهم"، يقول: حتى يجعلوك حكما بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم، فالتبس عليهم حكمه. - "ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت"، يقول: لا يجدوا في أنفسهم ضيقا مما قضيت. وإنما معناه: ثم لا تخرج أنفسهم مما قضيت = أي: لا تأثم بإنكارها ما قضيت، وشكها في طاعتك، وأن الذي قضيت به بينهم حق لا يجوز لهم خلافة) ¹

فصل في ذكر شرك أهل الجاهلية في الألوهية .

ومن أظهر مَسَائِلَ الشرك التي وقع فيها المشركون هو شركهم في ألوهية الله تبارك وتعالى ، وذلك لأن هَذَا النوع متعلق بالأوامر والنواهي من الواجب ، والمحرم ، والمكروه والتي لم يستجيبوا لها وكانت هي المحك العملي لهم ، بخلاف الرُّبُوبِيَّةِ فمتعلق بالأمر الكونية كالخلق ، والإحياء ،

¹ تفسير الطبري (8 / 518) بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر .

والإماتة والرزق والتدبير ، ونحوها من أفعال الله جل ثناؤه وقد أقر بعضها طوائف من مشركي الجاهلية .

وهذا النوع هو الذي بعث لإثباته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسًا ، وَهُوَ نِهَآيَةُ مَطَافِ كُلِّ مَدْعٍ لِلْإِيمَانِ ، فَإِنْ حَقَّقَهُ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ وَإِلَّا فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ ، كَمَا كَانَ حَالُ الْقُرَشِيِّينَ ! فَقَدْ اعْتَرَفُوا لِلَّهِ بِاللُّهُوِّيَّةِ وَلَمْ يَحْقُقُوا اعْتِرَافَهُمْ وَأَشْرَكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ فَعَادُوا إِلَى الْكُفْرِ مِنْ حَيْثُ بَدَعُوا . وَهَذَا مَا يَرَادُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)¹

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى آمَرَ نَبِيَهُ لِيَفْعَلَ وَيَأْمُرَ أُمَّتَهُ بِالْحَذَرِ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْمَشْرُكُونَ : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ)²

¹ سورة يوسف 106

² سورة يونس 104 - 106

مبحث في ذكر أول من جلب الأصنام إلى الجزيرة العربية ودعا العرب إلى عبادتها

هو عمرو ابن لحي، وبيان ذلك ما ذكره الكلبي حيث قال: وكان عمرو ابن لحي كاهناً وله رأي من الجن فقال له: عجل السير والظن من تهمامة، بالسعد والسلامة، إئت جدة، تجد فيها أصناماً معدة، فأوردتها تهمامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها فنجب. فأتى نهر جدة فاستشارها ثم حملها حتى وردت تهمامة وحصر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة فأجابهُ عوف بن عدن ابن زيد اللات فدفع إليه ودأ فحمله. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (رأيت عمرو ابن لحي الخزاعي يجر قصبه¹ في النار وكان من أول من سبب السوائب)² وفي لفظ: (وغير دين إبراهيم)³.

ومن وقتها انتشرت عبادة الأصنام بين العرب. قال ابن إسحاق: واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه فإذا أراد رجل منهم سفراً تمسح به فيكون آخر عهده وأول عهده، فلما بعث الله محمداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالتوحيد قالت قريش: {أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ}⁴ وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدة وحجاب ويهدى لها كما يهدى للكعبة ويطاف بها كما يطاف بالكعبة وينحر عندها كما ينحر عند الكعبة، وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فأتخذها رباً وجعل الثلاثة أثافي لبقدره فإذا ارتحل تركه فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك⁵ أ.هـ⁶.

¹ القصب بالضم المعنى وجمعه أقصاب، وقيل القصب اسم للأععاء كلها، وقيل هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء، النهاية لابن الأثير.

² كان الرجل إذا نذر لقدم من سفر أو براء من مرض أو غير ذلك قال: ناقتي سائبة، فلا تمتع من ماء ولا مرعى ولا تحلب ولا تركب... وأصله من تسييب الدواب وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت، النهاية.

³ ليس هذا اللفظ في الصحيحين ولا أحدها وقال عمر بن محمود مخرج أحاديث المعارج (دار ابن القيم ط 1410هـ) ومعناه عند أحمد في المسند 353/3 من رواية جابر رضي الله عنه أ.هـ.

⁴ سورة ص: 5.

⁵ وروى البخاري في المغازي، باب وفد بني حنيفة: عن أبي رجاء العطاردي: كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حجارة من تراب، ثم جئنا بالشاة نحلها عليه، ثم طفنا به. انظر الفتح ج 7 ص: 692.

⁶ مختصر معارج القبول لأبي عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة (1 / 130-131).

ومن هَذَا العرض يتبين أن أظهر مكان علي وجه الأرض الذي أمر الله تَعَالَى ببنائه ليكون منبع التَّوْحِيد والإِيمَان في العالم الأرض كان علي خلاف ما أمر الله تَعَالَى ، فأصبح أكبر مجتمع للأصنام التي تعبد من دون الله ، فصار أكبر وأقدس تجمع للأصنام في جزيرة العرب حيث كان عدد الأصنام - التي كسرها رسول الله (يوم فتح مكة في جوف الكعبة وحولها - ثلاثمائة وستين صنماً¹ ، كما كان في جوف الكعبة أشهر أصنام قريش على الإطلاق (هبل)² ، ولم تبقى قبيلة من قبائل العرب إلا ولها صنمها الذي يعرف بها وتعرف به وتعبد له أبناءها ، بل تجاوز الأمر إلى أن أصبح لكل بيت صنم الخاص به، وحتى المسافر لا يقيم أثناء سفره في بقعة إلا تخير من أحجارها ما يعجبه فينصبه إلهاً له ، وكل هَذَا قدح صريح ذهب بكل ما يقر به من إثبات لبعض الصفات .

¹ البخاري كتاب التفسير سورة الإسراء باب (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) (8 / 400) من حديث ابن مسعود .

² الأصنام لابن الكلبي ص (27) .

فصل في ذكر بعض أنواع شرك الألوهية عند العرب .

وقد عرف العلماء من خلال استقراءهم لآيات القرآن وصحيح السنة مخالقات المشركين في هذا الباب وقسموها إلى أقسام اصطلاحية ، تعود في مجملها إلى الشرك في عبادة الله تعالى ، فتوحيد الألوهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين ولهذا كانت كلمة الإسلام "لا إله إلا الله" و هو المطلوب من العباد .

ورأيت من المناسب اقتباس جزء من مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور عثمان جمعة ضميرية وفقه الله بتصرف واختصار ، قال المصنف : (وفيما يلي إيجاز لبعض أنواع الشرك الأكبر:

مبحث في ذكر شركهم في الدعاء :

ومعنى الدعاء: سؤال العبد ربه تبارك وتعالى العناية، واستمداده إياه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة. وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الشاء على الله -عز وجل- وإضافة الجود والكرم إليه؛ ولذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الدعاء هو العبادة"¹

ومعناه: أنه معظم العبادة، أو أفضل العبادة، بل هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة؛ لدلالته على الإقبال على الله -عز وجل- والإعراض عما سواه² .

والدعاء يشمل دعاء العبادة والشاء، ودعاء المسألة والطلب؛ ويراد بهما في القرآن الكريم هذا تارة، وهذا تارة، ويراد بهما مجموعهما، وهما متلازمان.

فدعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضرر، إذ الذي يدعى لا بد أن يكون مالكا للنفع والضرر.

¹ أخرجه أبو داود: 141 / 2، والترمذي: 311 / 9، 312، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، والنسائي في "كتاب التفسير": 253 / 2، وابن ماجه: 1258 / 2، والطيبالسي ص 108، وصححه الحاكم: 1 / 490، ووافقته الذهبي، وابن حبان برقم "2396" من موارد الظمان، والإمام أحمد: 4 / 267، وابن أبي شيبة: 10 / 200، وانظر: "فتح الباري": 11 / 94، "الفتوحات الربانية" لابن علان: 7 / 191.

² انظر: "شأن الدعاء" للخطابي ص 4، 5، "الفتوحات الربانية": 7 / 192.

ودعاء العبادة والثناء: هو ما يقصد به العبد ثناء على الله تعالى بما هو أهله، تذللاً له، وانكساراً بين يديه، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، وهما متلازمان لا بد من اجتماعهما، ولا يكفي أحدهما عن الآخر¹.

فإذا توجه الإنسان بواحد من هذين النوعين لأحد غير الله تعالى، كأن يدعو ميتاً أو غائباً، أو أن يقول للميت أو الغائب: ادع الله لي... فهذا كله لون من ألوان الشرك، حتى ولو كان ينطق بالشهادتين ويصلي ويصوم، إذ شرط الإسلام - مع التلفظ بالشهادتين - أن لا يعبد إلا الله، فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله، فما أتى بهما حقيقة، فمجرد التلفظ لا يكفي في الإسلام بدون العمل بمعناها².

ولهذا تواردت الآيات القرآنية الكريمة في النهي عن دعاء غير الله تعالى، كقوله: **{وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ، وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ}**³.

{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ، وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}⁴.

أما الله تعالى وحده فهو الذي يستجيب الدعاء؛ ولذا فهو وحده الذي يستحق الدعاء والثناء: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}**¹.

¹ "فتاوى شيخ الإسلام": 1/ 243، 244، 8/ 109، "بدائع الفوائد" لابن القيم: 3/ 5-2.

² انظر: "مجموع الفتاوى": 1/ 313، 350-358، 27/ 72-87، "تيسير العزيز الحميد" ص 219-233، وفيه نقول عن علماء المذاهب الأربعة في تحريم الدعاء لغير الله تعالى، "ضوابط التكفير" تأليف عبد الله القرني، ص 114-123.

³ [سورة يونس: 106، 107]

⁴ [سورة الأحقاف: 5، 6]

{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} ² .
والإنسان بفطرته، حتى ولو كان من أكثر الناس كفرا والحادا، لا يملك في وقت الشدة والاضطرار إلا أن يرفع يديه للسماء ويدعو: يا رب: {حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} ³ .

مبحث في ذكر شرك العبادات والتقرب:

والصورة الواضحة الجليلة لهذا النوع من الشرك هي ما كان معروفا من عبادة الأصنام والأوثان وإعطائها بعض خصائص الألوهية؛ ولذلك كانوا يطوفون حولها ويتمسحون بها، ويذبحون لها ويندرون، كي تقربهم إلى الله تعالى مكانة ومنزلة، وكانهم يعتقدون أن الله تعالى بحاجة إلى هذه الوساطة، يستمدون بها من الله رزقا أو عطاء أو شفاة أو قضاء حاجة من الحاجات: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} ⁴ .

مبحث في شرك الشفاة:

وهذا اللون من الشرك نتيجة لازمة لشرك التقرب، فالذي يعبد الأصنام والأولياء إنما يفعل هذا - كذلك- كي تشفع له عند الله تعالى في التجاوز عن الذنوب والجرائم ⁵ ، وفي تحقيق الآمال والوصول إلى الرغبات؛ ظنا منه أن الأصنام أو الأولياء أو غيرهم يملك هذه الشفاة، ويستحق أن تستجاب شفاة وطلبه من الله تعالى!

¹ [سورة البقرة: 186]

² [سورة غافر: 60]

³ [سورة يونس: 22]

⁴ [سورة الزمر: 3]

⁵ "النهاية في غريب الحديث والأثر"، لابن الأثير: 2/ 485، وانظر: "مجموع الفتاوى": 1/ 124.

ومن يفعل ذلك فما قدر الله حق قدره؛ لأنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- غيبي عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه ومحتاج لا يملك نفعا ولا ضرا. ولذلك كان هذا العمل شركا، تعالى الله عنه:

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبَهُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} ¹.

{أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} ².

ولهذا نفى الله تعالى نفيا قاطعا أن يكون ذلك طريقا صحيحا للتقرب إليه، وبين أن هذا اللون من الشفاعة منفي غير مقبول عنده سُبْحَانَهُ :

قَالَ تَعَالَى : {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً} ³.

وقال سُبْحَانَهُ : {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وِليٌّ وَلَا شَفِيعٌ} ⁴.
وقال : {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} ⁵.

مبحث في شرك الطاعة والاتباع:

تقدم فيما سبق أن توحيد الألوهية مترتب على توحيد الربوبية، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو وحده خالق الكون ومالكة، وهو الذي يسيره ويصرف شئونه، فينبغي كذلك أن يكون متفردا بالحكم، أمرا ونهيا، تحليلا وتحريما، وينبغي على البشر أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله، ويحكموا به، وأن يطيعوه سُبْحَانَهُ في كل ما حكم به، فإن ذلك مقتضى العبادة وأصلها ومعناها وحقيقتها.

ولذلك اتفق العلماء على أن الحاكم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنه لا أحد يستحق أن ينفذ حكمه على الخلق إلا من كان له الخلق والأمر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- "فإنما النافذ حكم المالك على مملوكه، ولا

¹ [سورة يونس: 18]

² [سورة الزمر: 43]

³ [سورة البقرة: 48]

⁴ [سورة الأنعام: 51]

⁵ [سورة غافر: 18]

مالك إلا الله الخالق، فلا حكم ولا أمر إلا له. أما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والسلطان والسيد والأب والزوج، فإذا أمروا وأوجبوا، لم يَجِبُ شيءٌ بإيجابهم، بل بإيجاب الله تعالى طاعتهم، ولولا ذلك لكان كل مخلوق أوجب على غيره شيئاً كان للموجب عليه أن يقلب عليه الإيجاب؛ إذ ليس أحدهما أولى من الآخر، فإذن: الواجب طاعة الله تعالى، وطاعة من أوجب الله تعالى طاعته" ¹.

وقد أوسع هذا المعنى شرحا العز ابن عبد السلام -رَحِمَهُ اللهُ- في "قواعد الأحكام" حيث قال في "قاعدة: فيمن تجب طاعته، ومن تجوز طاعته، ومن لا تجوز طاعته": "لا طاعة لأحد من المخلوقين إلا لمن أذن الله في طاعته كالرسل والعلماء، والأئمة والقضاة، والولاة، والآباء والأمهات والسادات والأزواج، والمستأجرين في الإجازات على الأعمال والصناعات. ولا طاعة لأحد في معصية الله عز وجل؛ لما فيها من المفسدة الموبقة في الدارين أو في إحداهما، فمن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة له، إلا أن يكره إنسانا على أمر يبيحه الإكراه، فلا إثم على مطيعه. وقد تجب طاعته لا لكونه آمرا، بل دفعا لمفسدة ما يهدده به من قتل أو قطع أو جناية على بضع، ولو أمر الإمام أو الحاكم إنسانا بما يعتقد الأمر حله والمأمور تحريمه، فهل له فعله، نظرا إلى رأي الأمر، أو يمتنع نظرا إلى رأي المأمور؟ فيه خلاف، وهذا مختص فيما لا ينقض حكم الأمر به. فإذا كان مما ينقض حكمه به فلا سمع ولا طاعة. وكذلك لا طاعة لجهالة الملوك والأمراء إلا فيما يعلم المأمور أنه مأذون في الشرع".

"وتفرد الإله بالطاعة لاختصاصه بنعم الإنشاء والإبقاء والتغذية والإصلاح الديني والديني، فما من خير إلا هو جالبه وما من ضير إلا هو سالبه، وليس بعض العباد بأن يكون مطاعا بأولى من البعض؛ إذ ليس لأحد منهم إنعام بشيء مما ذكرته في حق الإله. وكذلك لا حكم إلا له.. {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} " ².

¹ "المستصفى" للغزالي: 1/ 83. وهذا موضع اتفاق كما سبق، ويبحثه علماء الأصول تحت عنوان: الحاكم. انظر: "الإحكام" للآمدي: 1/ 76، "مسلم الثبوت مع شرحه فواتح الرحموت": 1/ 25، "شرح الكوكب المنير": 1/ 484، "مباحث الحكم عند الأصوليين"، ص 162، 163، "المشروعية الإسلامية العليا" 28-37".

² "قواعد الأحكام": 1/ 157، 158.

وقد تواردت النصوص القرآنية الكريمة مؤيدة لهذا المنطق السليم، فهي تلزم البشر باتباع ما جاء من عند الله تعالى، وتحرم عليهم تحريماً قاطعاً اتباع ما يخالفه:

{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} ¹.

{اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} ².

{فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} ³.

ولذلك كان كل من أطاع مخلوقاً في تحريم الحلال أو تحليل الحرام مشركاً شرك الطاعة والانقياد أو الاتباع، وقد حكم الله تعالى على اليهود والنصارى بالشرك؛ لاتباعهم الأحرار والرهبان واتخاذهم

أرباباً من دون الله، فقال: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا

أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ⁴. وقد بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ - بيانا واضحاً ماهية العبادة التي وقع فيها هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وفسرها بأنهم أطاعوهم في معصية الله، واستحلوا ما أحلوه لهم من الحرام، وحرّموا ما حرّمه عليهم من الحلال، واستنصحو الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم :

عن عدي ابن حاتم قال: أتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفي عنقي صليب من ذهب،

فقال: "يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك!" قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في "سورة

براءة" فقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} ، قال: فقلت: يا رسول الله،

¹ [سورة الأنعام: 106]

² [سورة الأعراف: 3]

³ [سورة القصص: 50]

⁴ [سورة التوبة: 31]

إنا لسنا نعبدهم! فقال: "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟" قال: قلت: بلى. قال: "فتلك عبادتهم" ¹.

فقد كان عدي -رضي الله عنه- يظن أن العبادة هي التقرب إلى الأحرار والرهبان بالركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فقال: إنا لسنا نعبدهم. فصح له النبي -صلي الله عليه وسلم- مفهوم العبادة بأنها طاعة الأحرار والرهبان في التحليل والتحرير من تلقاء أنفسهم، وبذلك جعلوا أنفسهم أربابا من دون الله، ومن أطاعهم في ذلك كان عابدا لهم من دون الله ².

مبحث في شرك المحبة والنصرة أو الولاء:

إن من مقتضيات التوحيد وأصول العبادة أن نفرد الله تعالى بالمحبة الخاصة التي لا تصلح إلا له، وهي "حب طاعته، والانقياد لأمره" ³، وهي محبة العبودية التي تستلزم الذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة لله تعالى وإيثاره على غيره.

فإذا توجه الإنسان بهذه المحبة لغير الله تعالى كان مشركا شرك المحبة. ومن هنا جاء التفرغ للمشركين الذين جعلوا لله تعالى أندادا ونظراء يحبونهم كحبه، ويعبدونهم معه:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} ⁴ . ⁵ انتهى بتصريف .

وبين الله تعالى في أكثر من موضع شرك العبادة الذي وقع فيه مشركوا العرب .

قال الله تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا) ¹.

¹ أخرجه الطبري من طرق: 14 / 210، 211، واختصره الترمذي: 8 / 492-494. وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَأَخْرَجَهُ الْبَغَوِيُّ فِي "التفسير": 4 / 39، والبيهقي في "السنن": 10 / 116، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" ص 437، وانظر: "الدر المنثور" للسيوطي: 4 / 174، "الكافي الشاف" لابن حجر ص 75.

² انظر: "تيسير العزيز الحميد" ص 551، "مفاهيم ينبغي أن تصحح"، ص 110، 111، وقرأ الفصل بكامله عن مفهوم "لا إله إلا الله".

³ "الوسيط في تفسير القرآن"، للواحدى: 1 / 136.

⁴ [سورة البقرة: 165]

⁵ مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (1 / 316). للدكتور عثمان جمعة ضميرية .

وقال تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ، وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) ²
 وقال تعالى: (أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) ³.

وروي عن عمران ابن حصين قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي حصين: (كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ الْيَوْمَ؟ قَالَ: سَبْعَةٌ، سِتَّةٌ فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدٌ فِي السَّمَاءِ قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ قَالَ: أَمَا إِنَّكَ إِنْ أَسَلْتِ عَلْمَتِكَ كَلِمَتَيْنِ يَنْفَعَانِكَ قَالَ: فَلَمَّا أَسَلْتِ تَقَاضَاهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلِ اللَّهُمَّ ارْشُدْنِي، وَاهْدِنِي، وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي) ⁴

فصل في ذكر فرق من المسلمين تعدُّ الإقرار إيمانا .

وقد كان من فرق الأمة التي ضلت الطريق السني في مسائل الإيمان من يعتقدون أن الإيمان هو بالمعرفة المجردة وغير ذلك مما هو مخالف لصريح الشرع ،

ذكر ⁵ في مختصر معارج القبول: أقوال المخالفين لأهل السنة في الإيمان :

1- قال ابن الراوندي ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم: إن الإيمان هو مجرد التصديق فقط، وعلى هذا القول يكون اليهود الذين أقرؤا برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - واستقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك، وقد نفى الله الإيمان عنهم.

¹ [سورة الفرقان: 3]

² [سورة سبأ: 22، 23]

³ [سورة الأعراف: 191، 192]

⁴ الترمذي (3483)، وقال: هذا حديث غريب، وقال الألباني: ضعيف. انظر "ضعيف سنن الترمذي" (690).

⁵ أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة .

2- وَقَالَ جَهْمُ ابْنُ صَفْوَانَ وَاتِّبَاعُهُ¹ : هُوَ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ فَقَطْ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَافِرٌ بِالْكَلِّيَّةِ إِذْ لَا يَجْهَلُ الْخَالِقَ سُبْحَانَهُ أَحَدٌ.

3- وَقَالَتِ الْمُرْجِئَةُ² وَالْكَرَامِيَّةُ: الْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ دُونَ عَقْدِ الْقَلْبِ فَيَكُونُ الْمُنَافِقُونَ عَلَى هَذَا مُؤْمِنِينَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَتَزْهَقُ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} ³.

4- وَقَالَ آخَرُونَ⁴ : التَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَهَذَا الْقَوْلُ مُخْرَجٌ لِأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ظَاهِرُ الْبُطْلَانِ.

5- وَذَهَبَ الْخَوَارِجُ وَالْعَلَّافُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ إِلَى أَنَّهُ الطَّاعَةُ بِأَسْرِهَا فَرَضًا كَانَتْ أَوْ نَقْلًا⁵ ، وَهَذَا الْقَوْلُ مُصَادِمٌ لِتَعْلِيمِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِقُودِ الْعَرَبِ السَّائِلِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، كَمَا يَقُولُ لَهُ السَّائِلُ فِي فَرِيضَةٍ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا، قَالَ: (لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا) - ⁶.

6- وَذَهَبَ الْجَبَّائِيُّ وَكَثُرَ الْمُعْتَزِلَةُ الْبَصْرِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ الطَّاعَاتُ الْمَفْرُوضَةُ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالتُّرُوكِ⁷ دُونَ التَّوَافِلِ⁸ ، وَهَذَا أَيْضًا يُدْخِلُ الْمُنَافِقِينَ فِي الْإِيمَانِ وَقَدْ نَفَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ.

7- وَقَالَ الْبَاقُونَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ: الْعَمَلُ وَالنُّطْقُ وَالْإِعْتِقَادُ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِ السَّلَفِ أَنَّ السَّلَفَ لَمْ يَجْعَلُوا كُلَّ الْأَعْمَالِ شَرْطًا فِي الصِّحَّةِ بَلْ جَعَلُوا كَثِيرًا مِنْهَا شَرْطًا فِي الْكَمَالِ. كَمَا قَالَ عُمَرُ

¹ هؤلاء معروفون بمرجئة الجهمية (أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة) لمحمد بن عبد الرحمن الحميس .

² صنف منهم وليس كلهم ولا أكثرهم، انظر الفتاوى ج7 ص 195.

³ سورة التوبة: 84، 85.

⁴ أي من المرجئة، وهو قول فقهاءهم، قال ابن تيمية رحمه الله، المرجئة ثلاثة أصناف: الذين يقولون: الإيمان ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة... ومنهم من لا يدخلها.. كجهم ومن اتبعه.. و (القول الثاني) من يقول: هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية، و (الثالث) تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عند أهل الفقه والعبادة منهم. مجموع الفتاوى ج7 ص 195.

⁵ لا شك أن الإيمان المطلق الكامل يشمل ذلك كله ولكن كلام هذه الطوائف هنا في مطلق الإيمان الذي إذا قصر العبد في شيء منه صار كافراً.

⁶ رواه البخاري في الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، ومسلم في الإيمان، باب بيان الصلوات. انظر الفتح ج1 ص130، ومسلم بشرح النووي ج1 ص166.

⁷ لاشك أن الإيمان المطلق يشمل جميع الطاعات كما قلنا وإنما الكلام هنا في مطلق الإيمان الذي لا يصح إلا به، فهؤلاء يخرجون من الإيمان من ترك طاعة من الطاعات المفروضة أما أهل السنة فلم يعتبروا كل الطاعات المفروضة شرطاً في الصحة ولم يخرجوا من قصر فيها من الإيمان بالكلية وإنما ينتقص من إيمانه بقدر معصيته أو يخرج من دائرة الإيمان المطلق إلى مطلق الإيمان، والله أعلم.

⁸ ودون عمل القلب واعتقاده.

ابن عبد العزيز فيها: من استكملها فقد استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. **والمُعْتَرِلةُ جَعَلُوهَا كُلَّهَا شَرْطًا فِي الصِّحَّةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ¹.**

وقد ذكر أبو الحسن الأشعري آراء جهم ابن صفوان التي تفرد بها فقال: (الذي تفرد به جهم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل بالله فقط)² **وقال الشيخ الفواز**³ **حفظه الله** في التعليق علي الطحاوية: (فالإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، هذا تعريفه الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة.

فليس كما تقوله الحنفية: قول باللسان واعتقاد بالجنان فقط.

وليس كما تقوله الكرامية⁴: قول باللسان فقط.

وليس كما تقوله الأشاعرة⁵: اعتقاد القلب فقط.

وليس كما تقوله الجهمية⁶: هو المعرفة بالقلب فقط.

فالمرجئة أربع طوائف، أبعدها الجهمية، وعلى قولهم يكون فرعون مؤمناً؛ لأنه عارف، وإبليس يكون مؤمناً؛ لأنه عارف بقلبه.

1 انتهى من مختصر معارج القبول (1 / 181) بتصرف .

2 المقالات 1 / 238.

3 د . صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان .

⁴ أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني (توفي سنة 255) ، (بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة، وأصولها ست العابدية، والتونية، والزينية، والإسحاقية، والواحدية. وأقربهم الهيصمية، ولكل واحدة منهم رأي) كما في الملل والنحل للشهرستاني .

⁵ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، قال محب الدين الخطيب رحمه الله بهامشه معارج القبول: المعروف من حياة أبي الحسن الأشعري أنه مرت به ثلاث أدوار: الأول: أنه كان مع المعتزلة في البصرة. الثاني: يقضته لفساد مذهبهم، لكنه دخل معهم في جدل طويل بأساليبهم وأقيستهم، وقد استمر على ذلك نحو عشرين سنة ألف فيها أكثر كتبه، ومن هذا الجدل مع المعتزلة ومن هذه الكتب نشأ المذهب المنسوب إليه، وهو الذي اضطر شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم إلى إدحاضه والتنبيه على ما يخالف منه مذهب السلف. أما الدور الثالث من حياة الأشعري: فهو الذي ختم الله به حياته بالحسنى بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد واتصاله بأهل الحديث وأتباع الإمام أحمد، وفي هذه الحقبة ألف (مقالات الإسلاميين) و (الإبانة) . ولا شك أن (الإبانة) من آخر مصنفاته إن لم تكن آخرها كما نص عليه مترجموه، ففي هذين الكتابين مذهبه الذي أراد أن يلتقي الله عليه. والذي كان عليه في البصرة هو الذي اشتهر عنه وبقي منسوباً إليه وهو بريء من كبرائه من الاعتزال الذي كان من رجاله في صدر حياته.

⁶ الجهم بن صفوان، أبو مخزوم الراسبي مؤلف السمرقندي. (128 هـ) المتكلم الضال رأس الجهمية وأساس البدعة .

وعلى قول الأشاعرة: إنه التصديق بالقلب، يكون أبو لهب وأبو طالب وأبو جهل وسائر المشركين مؤمنين؛ لأنهم موقنون بقلوبهم ومصدقون، يصدقون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلوبهم، ولكن منعهم الكبر والحسد من اتباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. واليهود يعترفون أنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلوبهم، ولكن الحسد والكبر: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) ¹ ، وقال في المشركين: (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ² ، فمعنى (لا يكذبونك) أي أنهم يصدقونك. وأبو طالب يقول:

ولقد علمت أن دين مُحَمَّد *** من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة *** لرأيتني سمحاً بذاك مبينا . انتهى ³

ومن الأولي بعلماء أهل السنة أن لا ينسبوا إيمانا إلى المشركين في قسم من أقسام التوحيد إلا مقيدا بالمسألة التي أقرروا بها واعترفوا ، ومن فعل ذلك فقد زعم أن في قلوبهم إيمان - وإن لم يكن إيمان كاملا - غير أنهم لم يتموه ، وهذا غير صحيح البتة .

¹ [سورة البقرة: 146]

² [سورة الأنعام: 33]

³ التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية

فصل في ذكر طرف من شرك أهل الجاهلية في الأسماء والصفات :

ومن العقائد المضادة والمخالفة للعقيدة الإسلامية في باب الأسماء والصفات عقائد أهل البدع وخاصة الجهمية ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عز وجل، وتعطيله سبحانه من صفات الكمال، ووصفه عز وجل بصفة المعدومات والجمادات والمستحيلات سيرا على خطي أسلافهم المشركين، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

والشرك في الأسماء والصفات هو التسوية أو التشبيه بين الله والخلق في شيء منها؛ بأن يجعل لله عز وجل ندأ في أسمائه أو صفاته؛ فيسميه بأسماء الله، أو يصفه بصفاته.

تفسير العزي

والشرك في الأسماء والصفات (نوعان؛ شرك تشبيه، وشرك اشتقاق.

1- شرك التشبيه:

تعريفه: هو أن يثبت لله تعالى في أسمائه وصفاته من الخصاص، مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك أو العكس من إثبات ما هو من صفات الخالق للمخلوق.

ومن الأمثلة عليه: قول القائل: إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين، واستواءه على عرشه كاستوائهم، ونحو ذلك أو أن المخلوق سميع بصير مثل الله تعالى عالم بالغيب أو حاضر بعلمه ونحو ذلك.

2- شرك الاشتقاق:

وهو أن يشتق من أسماء الله عز وجل المختصة به اسما، ويسمى به غيره. وهذا من الإلحاد في أسمائه سبحانه وتعالى.

ومن الأمثل عليه: ما فعله المشركون من اشتقاق أسماء لآلهتهم الباطلة من أسماء الإله الحق سبحانه وتعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ¹ ، ف "يلحدون": أي يشركون ، قَالَ ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: "اشتقوا العزى من العزير، واشتقوا اللات من الله".²

مبحث في ذكر إلحاد المشركين في الصفات واشتقاقهم لألتهم أسماء مضاهاة لله :

قَالَ تَعَالَى : (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى)³

قَالَ الطبري رَحِمَهُ اللهُ : (سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماءه ، فقالوا من الله اللات، ومن العزير العزى؛ وزعموا أنهم بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافتروا)⁴

قَالَ السمرقندي⁵ رَحِمَهُ اللهُ : (إن المشركين أرادوا أن يجعلوا من ألتهم من أسماء الحسنى، فأرادوا أن يسموا الواحد منها الله، فجرى على لسانهم اللات وأرادوا أن يسموا الواحد منها العزير، فجرى على لسانهم العزى، وأرادوا أن يسموا الواحد منها المنان فجرى على لسانهم مناة.)⁶

قَالَ السعدي عند تفسيره لهذه الآية : (لما ذكر تعالى ما جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدى ودين الحق، والأمر بعبادة الله وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء، ولا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى، سماها المشركون هم وآباؤهم الجهال الضلال، ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها، فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال، فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة، وهذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموا "اللات" من "الإله" المستحق للعبادة، و"العزى" من "العزير" و"مناة" من "المنان" إلحادا في أسماء الله وتجريا على

¹ [سورة الأعراف: 180]

² المفيد في محمات التوحيد 1 / 113-114 ، للدكتور عبد القادر بن مُحَمَّد عطا صوفي ، بتصرف .

³ سورة النجم 19 - 20

⁴ تفسير الطبري (22 / 522) بتحقيق أحمد مُحَمَّد شاعر .

⁵ أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)

⁶ بحر العلوم (3 / 361) للسمرقندي .

الشرك به، وهذه أسماء متجردة عن المعاني، فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها).¹

مبحث في ذكر إنكارهم اسم الله الرحمن وكفرهم به :

قَالَ اللهُ تَعَالَى مَخْبَرًا عَنْ حَالِ الْكُفَّارِ مِنْ مَشْرِكِي الْعَرَبِ بِأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا تَسْمِيَةَ اللهِ تَعَالَى بِالرَّحْمَنِ وَاسْتَنَكَرُوا وَجُودَ أَكْثَرِ مِنْ اسْمِهِ لَهُ فَتَوَهَّمُوا - جَاهِلِينَ - بِأَنَّ تَعَدُّدَ الْأَسْمَاءِ تَدُلُّ عَلَى تَعَدُّدِ الْمَسْمِيَّاتِ² ، فَبَنُوا عَلَيَّ ذَلِكَ بِعَقُولِهِمْ السَّقِيمَةِ أَنَّ مُحَمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْبُدُ أَكْثَرَ مِنْ إِلَهٍ ، فَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى أَنَّ تَعَدُّدَ الْأَسْمَاءِ لِذَاتٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ هُمْ وَقَعُوا فِي التَّنَاقُضِ حِينَ زَعَمُوا ذَلِكَ ! ، أَلَيْسُوا هُمْ مِنْ سَمَوَاتِ اللهِ تَعَالَى بِالْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ؟! إِذْنِ لِمَاذَا لَمْ يَسِيرُوا عَلَيَّ قَاعِدَتِهِمُ الَّتِي قَعَدُوهَا بِأَنَّ تَعَدُّدَ الْأَسْمَاءِ يَعْنِي تَعَدُّدَ الْمَسْمِيَّاتِ ؟! لَا جَوَابَ إِلَّا التَّنَاقُضَ . قَالَ تَعَالَى : (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ)³

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ تَعَرُّضِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ : (عَنْ قَتَادَةَ قَوْلِهِ : (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) . ذَكَرْنَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحَدِيثِيَّةَ حِينَ صَاحَ قَرِيْشًا كَتَبَ : " هَذَا مَا صَاحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُوْلَ اللهِ . فَقَالَ مَشْرِكُو قَرِيْشَ : لَئِنْ كُنْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَاتَلْنَاكَ لَقَدْ ظَلَمْنَاكَ ! وَلَكِنْ أَكْتُبْ : هَذَا مَا صَاحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنِ عَبْدِ اللهِ . فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعْنَا يَا رَسُوْلَ اللهِ نَقَاتِلْهُمْ ! فَقَالَ : لَا وَلَكِنْ أَكْتُبُوا كَمَا يَرِيدُونَ ابْنَ عَبْدِ اللهِ . فَلَمَّا كَتَبَ الْكَاتِبُ : " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " ، قَالَتْ قَرِيْشُ : أَمَا " الرَّحْمَنِ " فَلَا نَعْرِفُهُ ؛ وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَكْتُبُونَ : " بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ " ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُوْلَ اللهِ ، دَعْنَا نَقَاتِلْهُمْ ! قَالَ : لَا وَلَكِنْ أَكْتُبُوا كَمَا يَرِيدُونَ ."

¹ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (1 / 819)

² قال أبو القاسم المدني : ((لو صححت الأخبار في هذا فهناك تعميم لنا ينبغي أن يقال فتوهم فلان أو بعضهم كذا ثم إنه ليس هناك تناقض في كلامهم فمن حقهم أن يتعلموا ويستلوا فالأصل أن تعدد الأسماء يدل على تعدد المسميات وليس بالضرورة ولكنهم لم يستلوا بل كانوا يترصون به ويتهمون به حتى ينفذ عنه الناس ويحملون كلامه على أسوأ المحامل حقدا وحسدا فبرأه الله منهم وهذا حال المبطلين غالبا)

³ سورة الرعد 30 .

وعن مجاهد قال قوله: (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ¹) الآية¹ ، قَالَ: هَذَا لَمَّا كَاتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيشًا فِي الْحَدِيثِ، كَتَبَ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، قَالُوا: لَا تَكْتُبِ "الرَّحْمَنَ"، وَمَا نَدْرِي مَا "الرَّحْمَنُ"، وَلَا تَكْتُبِ إِلَّا "بِاسْمِكَ اللَّهُ". قَالَ اللَّهُ: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)² الآية³ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلُهُ: { وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ } أَي: هَذِهِ الْأُمَّةُ الَّتِي بَعَثْنَاكَ فِيهِمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ، لَا يَقْرَأُونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ بِالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ وَلِهَذَا أَنْفُوا يَوْمَ الْحَدِيثِ أَنْ يَكْتُبُوا "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" وَقَالُوا: مَا نَدْرِي مَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. قَالَه قَتَادَةُ، وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ⁴ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى }⁵ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَحَبَّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ"⁶ (⁷ .

وَقَالَ تَعَالَى: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)⁸

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (بِأَيِّ أَسْمَاءِهِ جَلَّ جَلَالُهُ تَدْعُونَ رَبِّكُمْ، فَإِنَّمَا تَدْعُونَ وَاحِدًا، وَهِيَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا ذَكَرَ سَمِعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو رَبَّهُ: يَا رَبَّنَا اللَّهُ، وَيَا رَبَّنَا الرَّحْمَنَ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يَدْعُو إِلَهَيْنِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هَذِهِ الْآيَةَ احْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِمُ.

¹ سورة الرعد 30 .

² سورة الرعد 30 .

³ تفسير الطبري بصرف (/ 446 - 446) بتحقيق أحمد محمد شاكر .

⁴ صحيح البخاري برقم (2731 ، 2732) عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة في قصة غزوة الحديبية.

⁵ [سورة الإسراء: 110]

⁶ صحيح مسلم برقم (2132).

⁷ تفسير بن كثير (4 / 460) بتحقيق سامي بن محمد سلامة .

⁸ (الإسراء-110)

وعن ابن عباس. قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا يَدْعُو: يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَذَا يَزْعَمُ أَنَّهُ يَدْعُو وَاحِدًا، وَهُوَ يَدْعُو مَثْنَى مَثْنَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) الآية.

وعن مكحول، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كَانَ يَتَهَجَّدُ بِمَكَّةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، يَقُولُ فِي سَجُودِهِ: يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: انظُرُوا مَا قَالَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، يَدْعُو اللَّيْلَةَ الرَّحْمَنَ الَّذِي بِالْيَمَامَةِ، وَكَانَ بِالْيَمَامَةِ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ الرَّحْمَنُ: فَنَزَلَتْ (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)".

وعن مجاهد، قوله (أَيًّا مَا تَدْعُوا) بشيء من أسماؤه. ¹ انتهى بتصريف.

قَالَ السَّمْعَانِيُّ ² رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: قَالَ ابْنُ جَرِيحٍ: الْآيَةُ مَدَنِيَّةٌ فِي قِصَّةِ الْحَدِيثِيَّةِ فَإِنَّ سُهَيْلَ ابْنَ عَمْرٍو لَمَّا جَاءَ وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابَ الصُّلْحِ، كَتَبَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالُوا: لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، أَكْتُبْ كَمَا نَكْتُبُ نَحْنُ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ... الْقِصَّةُ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ}. وَالْقَوْلُ الثَّانِي - وَهُوَ الْمَعْرُوفُ - أَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَسَبَبُ نُزُولِهَا أَنَّ أَبَا جَهْلَ سَمِعَ النَّبِيَّ وَهُوَ فِي الْحَجَرِ يَدْعُو وَيَقُولُ: "يَا اللَّهُ، يَا رَحْمَنُ". فَرَجَعَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَقَالَ: إِنْ مُحَمَّدًا يَدْعُو إِلَهَيْنِ يَدْعُو اللَّهَ، وَيَدْعُو آخَرَ يُسَمَّى الرَّحْمَنَ وَلَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا رَحْمَنَ الْيَمَامَةِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَنْزَلَ أَيْضًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ}. ³

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَقُولُ تَعَالَى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ، لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ صِفَةَ الرَّحْمَةِ لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، الْمَانِعِينَ مِنْ تَسْمِيَتِهِ بِالرَّحْمَنِ: {ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ

¹ بتصريف من تفسير الطبري (17 / 580 - 581) بتحقيق أحمد محمد شاكر .

² أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)

³ تفسير القرآن (3 / 93) بتحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم

الحُسْنَى { أَيْ: لَا فَرْقَ بَيْنَ دُعَائِكُمْ لَهُ بِاسْمِ "اللَّهِ" أَوْ بِاسْمِ "الرَّحْمَنِ" ، فَإِنَّهُ ذُو الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} إِلَى أَنْ قَالَ: {لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ¹ .

وَقَدْ رَوَى مَكْحُولٌ ² أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: "يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمٌ" ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَدْعُو وَاحِدًا ، وَهُوَ يَدْعُو اثْنَيْنِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ . وَكَذَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَوَاهُمَا ابْنُ جَرِيرٍ . ³

فصل ذكر مسألة " فعل الكفر بصرف العبادة للمخلوق مع عدم اعتقاد صفات الرب لذلك الند المعبود " .

قَالَ قَائِلٌ : (وَقَدْ سَأَلْتُ أَحَدَهُمْ قَائِلًا: "لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَجَدَ لَصَنَمٍ وَهُوَ لَا يَعْتَقِدُ فِيهِ خِصَائِصَ الرَّبُّوبِيَّةِ ، فَمَا حُكْمُهُ؟ ، هَلْ يُعَدُّ مُشْرِكًا كَافِرًا؟ فَجَابَ قَائِلًا: كَافِرٌ وَلَيْسَ بِمُشْرِكٍ ، هُوَ مِثْلُ قَوْلِ الْكُفْرِ لَا يُعَدُّ كُفْرًا) انْتَهَى .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ : (الْعَمَلُ لَا يَكُونُ (عِبَادَةً) أَصْلًا ، وَلَا يُسَمَّى (عِبَادَةً) تَوْجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ بِهَا قَدْ أَلَّهَ مِنْ صَرْفِهَا إِلَيْهِ ؛ إِلَّا إِذَا صَرْفَهَا إِلَيْهِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْ خِصَائِصِ الرَّبُّوبِيَّةِ .) ⁴
 وَالرَّدُّ عَلَيَّ مِثْلُ هَذَا السُّكْرَانِ الْمَبْطَلِ مَيْسُورٌ ، إِذْ لَا يَقُولُ ذَلِكَ عَاقِلٌ .

¹ [سورة الحُشْرِ: 22- 24]

² تفسير الطبري (121/15) وكان الحافظ بن كثير اختصره هنا.

³ تفسير القرآن العظيم (5 / 128) ، بتحقيق ساي بن مُحَمَّد سلامة .

⁴ قال ذلك الشَّيْخُ حَاتِمُ الْعَوْنِيِّ .

فنقول من سجد لصنم أو حجر أو شجر أو غير ذلك فقد صرف لهذا المخلوق ما لا يصرف إلا لله تعالى ، وعليه فقد وقع في أصح أنواع الشرك واعظم أبوابه وهي عبادة غير الله تعالى ، ولذلك فهو كافر بالله تاعلي مشرك به غيره .

ولا يشفع له كونه لا يعتقد فيه خصائص الربوبية فقد وقع في الكفر الصريح من مدخل آخر ، وكما قررنا بأن التوحيد شيء واحد ، ينقضه كله ما ينقض جزئية من جزئياته . ولا يقبل إلا التوحيد الكامل الخالي من الشرك ، كما في الحديث القدسي المشهور ¹ .

وأما الرد - الفلسفي - المذكور من كونه كافرا وليس بمشرك ! فنقول وما الفرق بين الكفر والشرك !؟

كلاهما واحد وبينهما تلازم وإن اختلفا - جدلا - في التعريف والمعني اللفظي . فكلاهما منهي عنه ، وكلاهما مخرج من الملة ومردود على صاحبه عمله ومخلد في النار !!! ²

ثم : على فرض صحة جوابه ، يكون بعض كفار قريش ليسوا بمشركين ! لأن بعضهم لم يكونوا يعتقدون في المخلوقات صفات الرب ! وهذا غلط صريح .

وأسوأ مما سبق ما استشهد به لنفسه من قوله : (هو مثل قول الكفر لا يعد كفرا) فظن أن ناقل الكفر لسبب شرعي كتحذير منه أو شهادة أو غير ذلك كمن يفعل الكفر الذي نهى الله تعالى عنه !! ومن يسوي هذا الكفر البواح بناقل الكفر على سبيل التحذير منه أو الشهادة ، أو من قاله مضطرا لذلك ؟! لا يفعل ذلك إلا جاهل أو مخالف . وعليه ، فمن يفعل الكفر من السجود للصنم أو

¹ قال صلى الله عليه وسلم : (قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك .) الأربعة الصغرى للبيهقي بتحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري . وفي رواية : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) أخرجه مسلم (4/2289) ، رقم (2985) ، وابن ماجه (2/1405) ، رقم (4202) .

² قال أبو القاسم المدني وفقه الله : (فكل شرك يسمى كفرا لأنه مجود وتغطية ورد لشئ من الحق وكل كفر ماله إلي الشرك لأنه لا بد من طاعة لغير الله عز وجل)

الطواف بالقبر أو دعاء الحجر أو الخوف من الميت الغائب فقد وقع في الشرك الصريح والكفر البواح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأصرح الأدلة علي تحريم الفعل الكفري حتي لو لم تكن تعتقد فيه صفة الرُّبُوبِيَّة ، ما روي عن ثابت ابن الضحاك ، قال: نَذَرْتُ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»¹

فانظر يا رعاك الله كيف منع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفعل المحرم وإن كنت لا تعتقده ، فكيف إذا كنت تعتقده؟! لا شك أنه ظلمات بعضها فوق بعض .

ولازم كلام القائل - وإن لم يقل به أو أنكره - أنه يحكم بالإسلام لكل من سجد لصنم أو عبد حجرا أو دعا ميتا أو حكم بغير الشرع كمن حكم بالياسق أو بحكم القبائل أو غير ذلك من الشركيات الناقلة عن الملة ولكن الإيمان قول وعمل² وكما ينقض بالاعتقاد ينقض بالقول وبالعمل .

¹ أبو داود (3313). السنن الكبرى للبيهقي (20139) وقال الألباني في صحيح أبي داود (2834): صحيح.

² قال أبو القاسم المدني: (المقصود أن كل الأعمال من الإيمان ولكنها ليست علي درجة واحدة فمنها الركن ومنها الواجب ومنها النفل وهكذا فليست كلها ناقضة وكثير منها مكمل وهذا خلاف قول الخوارج الذين جعلوا ترك كل واجب ناقضا وفعل كل كبيرة ناقضا وعلي العكس طوائف كثيرة).

فصل في الرد علي دعوي أن : (الشيخ ابن عبد الوهاب¹ بنى دعوته على أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما قاتل عرب الجاهلية لشركهم في الألوهية، ولم يقع لهم شرك في الربوبية)

قَالَ قَائِلٌ عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ : (بنى دعوته على أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما قاتل عرب الجاهلية لشركهم في الألوهية، ولم يقع لهم شرك في الربوبية، وهذا أكبر حجة له على أن خصومه مشركون، ولو افترضنا أن تصوره لمفهوم العبادة صحيح، فأقل ما يُقَالُ أنه أخطأ في دعواه أنه أقام الحجة على خصمه، إذ هذه حجة مختلفة).

فَقَوْلُهُ عَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ : (إِنَّمَا قَاتَلَ عَرَبَ الْجَاهِلِيَّةِ لِشُرْكِهِمْ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ، وَلَمْ يَقَعْ لَهُمْ شُرْكٌ فِي الرَّبُّوبِيَّةِ) فَخَطَأً مُحْضٌ ، لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، وَقَدْ تَقُولُ قَائِلُهُ عَلَى الرَّسُولِ مَا لَمْ يَقُلْهُ أَوْ يَفْعَلْهُ ، وَبِالْفِعْلِ قَدْ قَاتَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَبَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ لِشُرْكِهِمْ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ أَوْ لَا !! وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ أَوْ مُوَحِّدِينَ لِلَّهِ تَعَالَى تَوْحِيدَ الرَّبُّوبِيَّةِ وَإِنْ اعْتَرَفُوا بِبَعْضِ مَسَائِلِهَا !!

بَلْ كَانُوا يَعْتَرِفُونَ لِلَّهِ بِالرَّبُّوبِيَّةِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ وَيُنْكِرُونَهَا فِي كَثِيرٍ مِنْهَا ! وَمَنْ اعْتَرَفَ فِي مَوْضِعٍ بِالرَّبُّوبِيَّةِ نَقَضَ ذَلِكَ الْإِعْتِرَافَ فِعْلَهُ وَوَقَعَ حَيَاتِهِ فَعَادَ إِلَى الشُّرْكِ فِيهَا. وَعَلَيْهِ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَ مِنْ أَجْلِ تَوْحِيدِ الْأُلُوْهِيَّةِ وَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ تَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ أَوْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، بَلْ قَاتَلَ النَّبِيُّ مَنْ خَالَفَهُ فِي التَّوْحِيدِ ، وَكُلَّهُمْ فِي شُرْكِهِمْ سَوَاءٌ مِنْ حَيْثُ خَرُجُوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَاسْتَحْقَاقِهِمُ الْمُنَابَذَةَ بِالسِّيفِ وَالسَّنَانِ .

وَقَوْلُهُ : (وَهَذَا أَكْبَرُ حُجَّةٍ لَهُ عَلَى أَنَّ خُصْمَهُ مُشْرِكُونَ) فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ عَلَى أَنَّ هَذِهِ أَكْبَرُ حُجَّةٍ لَهُ عَلَى خُصْمِهِ بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ ! لِأَنَّهُمْ قَدْ وَقَعُوا فِي الشُّرْكِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ وَلَيْسَ فِي نَوْعٍ دُونَ نَوْعٍ ، وَإِنْ كَانَ شُرْكُهُمْ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ أَظْهَرَ لِأَنَّهُ الْمَحْكُ الْعَمَلِيُّ الظَّاهِرُ ، وَعَلَى فَرَضِ صِحَّةِ قَوْلِهِ هَذَا فَهَذِهِ الْحُجَّةُ

¹ يقصد به الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله .

وحدها كافية لذلك إذا انفردت - على حد زعمه - !! بل أقل منها بكثير يوجب قتالهم ، ألا ترى الصديق رضي الله عنه قاتل مانعي الزكاة مع اعترافهم لله تعالى بالألوهية والرؤية والأسماء والصفات غير أنهم مجدوا فريضة الزكاة؟! - مع العلم بأن قتالهم كان قتال مرتدين لإنكارهم وجحودهم -!؟

وقوله : (ولو افترضنا أن تصوره لمفهوم العبادة صحيح) وما الذي يمنع صحة مفهومه للعبادة ، بالفعل هو مفهوم صحيح موافق لمنهاج النبوة لا مخالفة فيه للسنة مطلقا . من كون كفار قريش كانوا مشركين في الرؤية والألوهية وقد كان الشيخ رحمه الله يعتقد ذلك ولكنه كان يعبر عن إقرار الكفار ببعض مسائل الرؤية ولم يزعم أنهم استكملوا توحيد الرؤية . . .

وقوله : (فأقل ما يقال أنه أخطأ في دعواه أنه أقام الحجة على خصمه) فغير صحيح ، لأن الحجة صحيحة وطريقة إقامتها صحيح وما ترتب عليها صحيح . لا مخالفة فيه للسنة.

وقوله : (إذ هذه حجة مختلفة) كلام غير صحيح بل مخالف لصريح القرآن وصحيح السنة لأن الحجة مكتملة ، وهي على درب النبوة صراحة . والخلل في العقول وفيمن يحاول التماس عذر لمرتد أو كافر بغير حجة ولا برهان.

فصل في ذكر طرف من أقوال بعض العلماء في شرك الجاهلية وذكر المؤاخذة عليه.¹

تواترت جمل عن المتقدمين من أهل العلم التي بينوا فيها ما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية في هذه المسألة ، ولم يزيدوا علي ما قصده الشرع لفظا ولا معني .

فكانت تقاريراتهم تدور حول "إقرار" العرب في الجاهلية بمسائل الربوبية إجمالا وإن كان بعضهم لا يصرح بقوله " بعض " مسائل الربوبية وذلك راجع لكونه يتكلم علي العموم ، وهذا يفهم من قوله (أقروا) .

ولكثرة تلك الأقاويل يصير من الصعوبة إيراد كلامهم في الباب من مظانه حتي لا يطول بنا المقام ويخرج البحث عن مقصوده . ولكن لا يمنع هذا أن نذكر بعضا من أقوالهم ليتبين لطالب العلم كيف كانوا يقفون حيث السنة لا يتعدونها ، ولا يطلقون كلمات لها تبعات ولوزام لم يقصدها الشرع ولم يتطرق إليها كقول البعض أن مشركي العرب ءامنوا بتوحيد الربوبية قاصدا باللفظ حقيقة الإيمان وهو ليس كذلك .

مبحث في ذكر اعتراض البعض وإنكارهم أن بعض أهل العلم يزعم إيمان أو توحيد مشركي العرب في الربوبية .

اشتهرت هذه المسألة بين طلبة العلم في هذه الأيام حتي صارت من القواعد الأساسية التي لا بد أن يتلقنها كل طالب علم في بداية طلبه للعلم أو في مستقبل هدايته .

وهي أن شرك مشركي العرب كان في الألوهية فقط وأنهم كانوا مؤمنين بتوحيد الربوبية ، وذلك علي اختلاف قريب في الألفاظ فبعضهم يقول " يقرون بالربوبية " وبعضهم يقول " يعترفون "

¹ (فيه ذكر لتقولات المتقدمين بأنهم قالوا " أقروا " و " اعترفوا " ولم يقولوا " وحدوا " ولا " ءامنوا " ،، ثم ذكر التقولات عن المتأخرين التي يقول فيها أصحابها بأن مشركي العرب ءامنوا أو وحدوا الله في الربوبية ، وبيننا أن المقصود هو الإنكار علي لفظة ءامنوا ووحدا وليس أقروا واعترفوا) .

وبعضهم يقول " يؤمنون بالرُّبُوبِيَّة " وبعضهم يقول " يوحدون الله بربوبيته " ، والمأخذ هنا ليس علي من يقول أقرؤا أو اعترفوا إن كان يقصد مجرد الإقرار اللفظي ، ولكن المأخذ علي من قال يؤمنون أو يوحدون .

ولذلك كانت هذه الرسالة لتقرير هذه المسألة . ولكن بعض الإخوة ينكر و يعترض علي نسبة هَذَا القول لبعض العُلَمَاء ، زاعمين أن كل العُلَمَاء يقولون بأنهم كانوا مقربين وليسوا مؤمنين أو موحدين ! وهَذَا خلاف الواقع الذي عليه كثير من أهل العلم . وسنفرد أقوال من قال بهَذَا من العُلَمَاء لتكون أمام من ينكر ذلك .

وإليك - علي سبيل المثال - كلام بعضهم ، قال أحد الإخوة¹ : (فما ذكره الأخ السمرقندي² سدده الله لا يمكن تحصيله ، ونسبته لأحد (أيا كان) فضلا أن يكون أمراً ذائعاً مشهوراً ، والأمر كما بينه الأخ بن أبي حاتم³ أنه ليس ثم من أهل العلم ، سواء من أئمة الدعوة وغيرهم ، وأقول : بل ولا من عامة طلبة العلم !!) فأنكر الأخ أن يكون هناك أحداً من أهل العلم - من غير تثبت - يقول بهَذَا القول . مع أن الأمر كما ذكر الأخ السمرقندي ذائع مشهور . ولعله إن رأي كثرة ما يردده بعض أهل العلم من أن كفار العرب كانوا مؤمنين موحدين بتوحيد الرُّبُوبِيَّة لله تَعَالَى يتراجع عن قوله من غير تثبت .

مبحث في ذكر من اللتمس عذرا لمن أخطأ في التعبير عن إقرار المشركين بالإيمان والتوحيد .

قال أحد الإخوة حاملا كلام أهل العلم علي وجه مقبول كي لا يرده ، وهَذَا من باب حسن الظن بأهل العلم فجزاه الله خيرا : (أن أهل السُنَّة والجماعة لما قالوا إن كفار قريش والأُمم السابقة قبلهم

¹ أخ مكني بآبن أبي حاتم ، من أعضاء ملتقي أهل الحديث .

² يقصد به الأخ الفاضل أبي عمر السمرقندي صاحب موضوع (كان مشركوا العرب واقعين في الشرك في أنواع التوحيد الثلاثة) .

³ أخ مسمي (أخو من طاع الله) ، من أعضاء ملتقي أهل الحديث .

كانوا مقرين بربوبية الله تعالى، لا يعنون بذلك أنهم كانوا مستكملين لجوانبها عاملين بلوازمها محققين نتائجها التي تقتضيها، وإنما المعنى أن ذلك الإقرار واقع منهم بصريح أقوالهم، إلا أنهم واقعون في تناقض مع ذلك الإقرار (أ.هـ).

فكلامه جزاه الله خيرا جيد حيث حمل كلام من وقع في هذا الخطأ علي العموم وهو حمل وجيه ليخرج قائل الكلمة من مخالفته إلا إذا كان القائل يعتقد مقولته .

وفي الحقيقة من التمس لهم العذر لم يخطئوا ، لأنه اعتذر عن قال (مقرين بتوحيد الربوبية) عن إجمال كلمة توحيد الربوبية وهو اعتذار وجيه ، ولا خطأ في قولهم (مقرين) لأنها قد ثبتت في القرآن ، ولكن من هم أولي بالاعتذار من قالوا (مؤمنين وموحدين) وكيف لهم أن يخرجوا من لوازم كلمة "ءامنوا" ؟ .

ولعلي أقول إن كان العالم الذي يتكلم في مسائل في غاية الدقة بمثل هذا الورع البارد ولا يتحسس مواضع قدميه فيزعم أن مشركي العرب كانوا مؤمنين بالربوبية ! لهو بحاجة إلي مراجعة فضلا عن عدم التصدر لمثل تلك المسائل الهامة في الدين .

وأشنع منه وأفظع رمي بعض المشايخ المتصدرين لبعض الجماعات الإسلامية بأن إيمانهم مثل إيمان قريش وإيمان قريش لم يدخلهم الإسلام ! وهذا تكفير صريح وجمل مدقع من هؤلاء المشايخ ! حيث صرحوا بأن مشركي الجاهلية كانوا مؤمنين في الربوبية ومعلوم ماهية لفظ الإيمان حينما يطلقه عالم ! وكذلك تصریحهم بأن تلك الجماعات علي إيمان أي جمل وأي لهب وأي بن خلف وغيرهم من صنديد الكفر ورواد جهنم ! فيالله ! كيف يرمي المسلم كلمة تخرج ملايين من المسلمين من دائرة الإسلام بدم بارد ثم يأتي يعتذر عنه محب له محسن للظن به ؟! وهو الآخر قال كلمته الفاجرة إرضاء لحاكم وتزلفا لأمير ! عفا الله عنا وعن جميع المسلمين .

مبحث في ذكر أقوال المتأخرين في شرك الجاهلية في الرُّبُوبِيَّة وبيان مخالفة المتقدمين في التعبير عن الفهم المتفق عليه .

بعدما تبين لك ما يقوله الأقدمون من كون الكفار كانوا مقرين ببعض مَسَائِلِ الرُّبُوبِيَّة ، تعلم مخالفة من تبعهم وزعم أن كفار العرب كانوا مؤمنين أو موحدين في الرُّبُوبِيَّة ، ولا بد من توضيح مسألة هنا في غاية الأهمية وهي أن من يقول إن مشركي العرب كانوا مؤمنين أو موحدين بتوحيد الرُّبُوبِيَّة لا يقصد أنهم استكملوا جوانب الإيمان في الرُّبُوبِيَّة مطلقاً ، ولكنه يقصد أنهم أقرروا ببعض مَسَائِلِهِ لأنه لا يخالف في هذه المسألة عند التفصيل الذي تذكره أبداً ، غير تعصبه لإطلاق لفظ الإيمان عليهم . وهذا مدخل لم يدخله سلفنا الصالح ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، فاحكم بعدل وانصاف يَرْحَمَك اللهُ ، ولا يحملنك حب شيخ أن تناخ عن خطئه البين .

قَالَ الشَّيْخُ الألباني رَحِمَهُ اللهُ : (هؤلاء العُلَمَاء جعلوا التَّوْحِيد ثلاثة أقسام:

1 - توحيد الرُّبُوبِيَّة وأذكر بأن توحيد الرُّبُوبِيَّة الذي هو التَّوْحِيد الأول وَهُوَ الذي هو أساس ما سيأتي من التَّوْحِيد الثاني والثالث، **هَذَا التَّوْحِيد كان المشركون الأولون يؤمنون به.**

فهل نفعهم شيء من ذلك؟. الجواب: لا. لماذا؟

لأنهم كفروا بالتَّوْحِيد الثاني وَهُوَ توحيد العبادة، وقد شرحت لكم آنفاً كيف كانوا يقولون: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} ¹ .

أما أنهم كانوا يؤمنون بتوحيد الرُّبُوبِيَّة فذلك مذكور في نصوص من الكتاب والسنة ونصوص كثيرة، وكثيرة جداً. قَالَ اللهُ تعالى مثلاً في بعض تلك النصوص: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللهُ} ² .

¹ (سورة الزمر: 3)

² (سورة لقمان: 25)

إذن هم يعرفون بأن خالق السموات والأرض إنما هو الرب واحد لا شريك له. والآيات في هذا المعنى كثيرة ومعروفة.

لكنني أكرر لكم حديثاً: كيف كانوا يصرحون بعبادة غير الله عز وجل **مع أنهم يوحدونه توحيد ربوبية**، كان أحدهم إذا طاف حول الكعبة يلبي كما كان سيدنا إبراهيم وإسماعيل ومن سار على مسيرتهم يلبون، فيقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك؛ إلى هنا هذه تلبية الموحدين، لكن ماذا كانوا يقولون هم من عند أنفسهم وشركهم وضلالهم؟¹ فهنا قد رأيت ما قرره الشيخ رحمه الله غير مرة من تصريحه بأن كفار العرب كانوا يؤمنون ويوحدون وهذه كلمات عظيمة لا تقال علي كفار، بل غاية ما يقال فيهم هو كما قال القرآن بأنهم أقروا، وليس "ءامنوا" أو "وحدوا".

وقال أيضا رحمه الله: (لذلك العلماء يقسمون التوحيد إلى أقسام:

- 1 - توحيد الربوبية، وهذا ما كان المشركون يؤمنون به كما ذكرت.
- 2 - توحيد العبادة، وقد يسمى بتوحيد الألوهية: أي لا إله: أي لا معبود بحق في الوجود إلا الله، كانوا يكفرون بهذا التوحيد قد سمعتم ما فيه الكفاية آنفاً.
- 3 - التوحيد الثالث: توحيد الأسماء والصفات: أي كما أن الله عز وجل واحد في ذاته فهو واحد في ألوهيته وعبوديته، لا يعبد معه سواه، كذلك هو واحد في أسمائه وصفاته، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ²)³ وهنا صرح كما في النقل السابق بأنهم كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية، وليته سار علي قاعدته بأن اعترافهم إيمان ليقول بأنهم ءامنوا بالألوهية ولكنه خلفها مع أنهم أقروا ببعض مسائل الألوهية كما أقروا ببعض مسائل الربوبية تماما.

¹ موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني « موسوعة تحتوي على أكثر من (50) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد » (2 / 46-47) بترقيم الشاملة . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعان .

² (سورة الشورى: 11)

³ موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني « موسوعة تحتوي على أكثر من (50) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد » (2 / 48) بترقيم الشاملة . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعان .

وقال أيضا رَحْمَةُ اللَّهِ : (لذلك فاحفظوا هَذَا وتفقهوا فيه، التَّوْحِيدُ ثلاثة أقسام:

توحيد الرُّبُوبِيَّةِ: وهذا لا بد منه، **لكن المشركين لما آمنوا به ما أفادهم شيئاً**، لا يتم التَّوْحِيدُ إلا بالثاني والثالث.

الثاني: توحيد العبادة؛ ألا تعبدوا غير الله.

التَّوْحِيدُ الثالث: هو أن توحِّدوا الله في أسمائه وفي صفاته فلا تصفون بشراً بصفة من صفات الله، مِنْهَا: أن تظنوا بأن أحداً من المصطفين الأخيار يعلم الغيب، لا يعلم الغيب إلا الله. ¹ وفيه تصريح بإيمان المشركين بتوحيد الرُّبُوبِيَّةِ وَهُوَ ما لم يصرح به السلف ولم يرد في الكتاب والسنة .

وقال أيضا رَحْمَةُ اللَّهِ : (فتوحيد الرُّبُوبِيَّةِ أول شيء يَجِبُ أن يكون المسلم مؤمناً به وهذا سهل مفطور عليه الإنسان حتى الكفار في الجاهلية كما سمعتم كانوا يوحدون الله توحيد الرُّبُوبِيَّةِ) ² وهنا أيضا تصريح بأن المشركين في الجاهلية كانوا مؤمنين موحدين بربوبية الله تَعَالَى .

وقال أيضا رَحْمَةُ اللَّهِ : (اليهود والنصارى يَآمَنُوا بأنه هَذَا الكون له خالق، فهم مؤمنون بالتَّوْحِيدِ الأول، شو اسمه هَذَا التَّوْحِيدِ؟ توحيد الرُّبُوبِيَّةِ، يعني أنه لَهَذَا الكون خالق.

السائل: دهري صاحب الكلام هَذَا؟!

الشيخ: يختلفوا هم بقي عن الدهريين، أو الطبيعيين، الذين يقولون .. ما فيه خالق ولا في مخلوق،

اليهود والنصارى يقولون: الله هو اللي خلق الكون، فهم إذاً موحدون، لكن توحيد الرُّبُوبِيَّةِ، يعني

توحيد الخالقية، لكن يبجي توحيد الألوهية توحيد العبادة، اليهود عبدوا عُزيراً والنصارى عبدوا

عيسى، هدول كفروا بتوحيد العبادة، ³ وهنا أيضا تصريح منه رَحْمَةُ اللَّهِ بأن اليهود والنصارى

كانوا موحدين توحيد الرُّبُوبِيَّةِ مؤمنين به ، مع أنهم نسبوا لله الولد ونسبوا له العجز وغل اليدين

¹ موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر مُحَمَّدُ ناصر الدين الألباني (2 / 49 - 50) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعيان .

² موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر مُحَمَّدُ ناصر الدين الألباني (2 / 57) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعيان .

³ موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر مُحَمَّدُ ناصر الدين الألباني (2 / 61 - 62) بترقيم الشامله . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعيان .

وكل منهما قدح في الرُّبُوبِيَّة وليس الأُلُوهِيَّة ، فكيف يجعل الشَّيخ رَحْمَهُ اللهُ إقرارهم بمسألة من مَسَائِلِ الرُّبُوبِيَّة دليلاً على إيمان بكل مَسَائِلِ الرُّبُوبِيَّة كما يفهم من ظاهر كلامه ولم يفصل هو غير ذلك .

وقال أيضا رَحْمَهُ اللهُ: (إذاً: فالمشركون كفروا بتوحيد الأُلُوهِيَّة، بتوحيد العبادة **وليس بتوحيد الرُّبُوبِيَّة**)¹

وقال أيضا رَحْمَهُ اللهُ: (المشركون كانوا **يؤمنون بوحدانية الله في الرُّبُوبِيَّة**، ولكنهم كانوا يكفرون بوحدانية الله في العبادة والأُلُوهِيَّة)²

وقال أيضا رَحْمَهُ اللهُ: (ذلك لأن المشركين الذين بعث إليهم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كانوا يعتقدون هذا المعنى الخاطئ لهذه الشهادة، ولكنهم كانوا يقتصرون على ذلك؛ فلا يؤمنون بأن لا معبود بحق في الوجود إلا الله تعالى.

فهم موحدون من ناحية، مشركون من ناحية أخرى؛ موحدون في توحيد الرُّبُوبِيَّة، كافرون بتوحيد الأُلُوهِيَّة. هذا هو الذي دل عليه القرآن الكريم بنصوصه الصريحة.

أما إيمانهم بتوحيد الرُّبُوبِيَّة وأنه: المتفرد بالخلق والرزق؛ فقال تعالى: {وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ} وقال: {وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} وقال تعالى: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ، قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} ³ وقال تعالى:

¹ موسوعة العلامة الإمام محمد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 72) بترقيم الشاملة . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعان .

² موسوعة العلامة الإمام محمد العصر مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (2 / 74) بترقيم الشاملة . صنعه / شادي بن مُحَمَّد بن سالم آل نعان .

³ (سورة المؤمنون: 84 - 89)

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}.

وأما كفرهم بتوحيد الألوهية - الذي هو المراد من هذه الشهادة - ؛ فأقرأ قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} وكانوا إذا دعاهم - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى الإيمان بهذه الشهادة؛ يقولون: {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} ¹ . ²

وقال الشيخ الألباني رحمه الله : (وهذا هو أكبر وأوضح أنواع الشرك في الدنيا، فإذا آمن الإنسان

بأن الله عز وجل لا ند له ولا شريك له في ذاته، فهذا لا يكفي؛ **لأن المشركين قد كانوا موحدين**

توحيد الربوبية كما ذكرنا في الدرس الماضي، فلا بد أن يضم إليه توحيداً من النوع الثاني، ألا وهو

توحيد العبودية أو الألوهية، ومعنى ذلك: أنك -أيها الإنسان- بعد أن آمنت بأن الله عز وجل واحد

في ذاته لا خالق معه؛ **يجب أن تعتقد وأن تحقق في نفسك أنه أيضاً لا شريك له في عبادته، فيجب**

ألا تعبد مع الله إلهاً أو آلهة أخرى، فإن أنت -لا سمح الله- فعلت شيئاً من ذلك؛ فقد نقضت

توحيد العبودية أو الألوهية، ووقعت في الشرك من النوع الثاني: ألا وهو شرك العبودية أو

الألوهية.)

وقال الألباني رحمه الله : (كذا قال فض فوه! فإنه يعلم أن الجاهليين كانوا يؤمنون - مع شركهم -

بتوحيد الربوبية بدليل قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) ونحوه

من الآيات، وكانوا يلبنون به وهم يطوفون حول البيت، فيقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو

لك، تملكه وما ملك ! ³ .

¹ (سورة ص:5)

² موسوعة العلامة الإمام محمد العصر محمد ناصر الدين الألباني (2 / 119 - 120) بتزيم الشاملة . صنعه / شادي بن محمد بن سالم آل نعان .

³ رواه مسلم (8/4)

فإذا كان توحيدهم هذا حقاً، وإذا كان اعتقادهم أن الله في السماء حقاً كذلك، لمطابقتها لنص القرآن، وبه أجابت الجارية التي شهد لها النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالإيمان، أفيعقل أن يقول مؤمن بالله ورسوله حقاً: لا نؤمن بأن الله في السماء لأن المشركين كانوا يعتقدون ذلك؟! إذن؛ يلزمه أن لا يؤمن بتوحيد الربوبية؛ لأن المشركين يؤمنون به!! ذلك هو الضلال البعيد. ¹ أقول: وغير ذلك من النقولات عن الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ يثبت فيها ويكرر ويعيد ويزيد من تقريراته بأن كفار العرب كانوا مؤمنين موحدين الله تعالى بالربوبية وأنهم مشركون في الألوهية.

قال الشيخ الحويني حَفِظَهُ اللهُ: (لأن المشركين جميعاً يقرون بتوحيد الربوبية، ولا يجحدون أن الله عز وجل هو الذي خلق ورزق وأحيا ويميت، لا يخالفون في ذلك كله، ما علمنا من المشركين من يقول: إن آلهة شاركت الله في خلق السموات والأرض، بل كانوا يقرون بذلك) ² أقول: قوله يقرون صحيح فهم بالفعل كانوا يقرون ولا يؤمنون، ولكن إطلاق توحيد الربوبية غير صحيح، بل يقال ببعض مسائل الربوبية حتى يكون الكلام دقيقاً.

وقال الشيخ محمد ابن الحسن ولد الدودو ³ وفقه الله: (ولهذا فإن المشركين الذين كانوا في زمان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كثير منهم يؤمن بتوحيد الربوبية، فكانوا يقولون في تليبتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك... أنت تملكه وما ملك.

وكذلك فإن الله تعالى أثبت عليهم هذا التوحيد في القرآن في كثير من الآيات، كما في قوله تعالى: { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } ⁴ ، { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } ⁵

¹ السلسلة الصحيحة (24 / 13) في الرد على الكوثري حديث 3161 .

² دروس صوتية للشيخ أبو إسحاق الحويني قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (104 / 6) و (43 / 6) بترقيم الشاملة .

³ محمد الحسن ولد محمد الملقب بـ"الدودو" الشنقيطي ، نزيل المملكة العربية السعودية .

⁴ [سورة لقان:25]

⁵ [سورة الزخرف:87]

{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ }¹ ، فلم يكونوا يخالفون في هذا التوحيد إلا نادراً.² أقول : وهذا إطلاق من الشيخ غير صحيح بأن المشركين علي عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكونوا مشركين بالرُّبُوبِيَّة بل كانوا يؤمنون بها ، وهذا ما ننقمه علي من يقول هذه الكلمة . ومع ذلك فقوله (فلم يكونوا يخالفون في هذا التوحيد إلا نادراً) يخالف تقريره سابقا بأن (المشركين الذين كانوا في زمان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كثير منهم يؤمن بتوحيد الرُّبُوبِيَّة) لأن من يخالف في القليل من الرُّبُوبِيَّة يرجع إلي نقض الرُّبُوبِيَّة كلها . كمن أنكر معلوما من الدين بالضرورة وقامت عليه الحجة فيكون كافرا بالدين كله وإن استكماله إلا ما أنكره .

وقال الشيخ علوي ابن عبد القادر السقاف حَفِظَهُ اللَّهُ في الموسوعة العقديّة : (وهذا النوع من التَّوْحِيد لم يخالف فيه كفار قريش ، وأكثر أصحاب الملل والديانات)³ أقول : بل خالفوا فيه أي في بعض مسائله ، ولكنهم لم يخالفوا في الخلق والرزق والتدبير ، وليس ذلك - فقط - بالرُّبُوبِيَّة إلا إذا لم ينقضوا مسائلا أخرى هي من الرُّبُوبِيَّة أيضا .

وقال الشيخ سعيد ابن مسفر⁴ حَفِظَهُ اللَّهُ : (هذه المسألة تأتي لبيان وتقرير ، ثم لمفاصلة ، ومن ثم يبدأ التوجيه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه المواجهة ، مواجهة المشركين الذين يعرفون أن الله هو الخالق ، وما كان مشركو العرب ينكرون هذه الحقيقة: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ }⁵ فما كانوا يشركون في الرُّبُوبِيَّة ، فقد كانوا يعرفون أن الخالق هو الله ؛ لكنهم

¹ [سورة العنكبوت:63]

² دروس صوتية للشيخ مُحَمَّد بن الحسن ولد الددو قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (8 / 30) وكذا (8 / 24) بترقيم الشاملة .

³ الموسوعة العقديّة 1 - 161

⁴ سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني .

⁵ سورة لقمان : 25 .

لا يتبعون هذه الحقيقة -حقيقة الرُّبُوبِيَّة- بالحقيقة الملازمة لها، وهي حقيقة الألوهِيَّة، فما دام أنه الرب فإنه المعبود لوحده، لكنهم كانوا يفصلون بينهما، ويعبدون آلهة مع الله. ¹ أقول: فليس معرفتهم بأن الله هو الخالق دليلاً على إيمانهم بالرُّبُوبِيَّة أو عدم إشراكهم فيها، بل مَسَائِلُ الرُّبُوبِيَّة كلها تجتمع معنا لنستخرج حكماً واحداً منبني علي مجموع مَسَائِلِ الرُّبُوبِيَّة، فلا يقال مؤمن بالرُّبُوبِيَّة علي من ينكر مسألة واحدة منها .

وقال الدكتور سعد البريك وفقه الله: (وهذا الإيمان أيتها الأخوات الذي اسمه: الإيمان بتوحيد الرُّبُوبِيَّة، هل تظنن أن أبا لهب وأبا جهل وعبد المطلب، وكفار قريش كانوا ينكرونه؟ لا. كانوا **يؤمنون به**، قال الله جل وعلا: {وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ} ² فكفار قريش **يؤمنون بتوحيد الرُّبُوبِيَّة**.

إذاً: فهل هذا هو التوحيد المطلوب منا؟ لا.

مطلوب منا مع توحيد الرُّبُوبِيَّة توحيد أسمائه وصفاته وتوحيد الألوهِيَّة، وهذا التوحيد يعني: أن نصرف جميع العبادة لله، لا نخلف إلا بالله، فلا نخلف: بالنبي والأمانة والكعبة والشرف، ولا نذبح إلا لله، لا يمكن أن نذبح للساحر أو الكاهن أو الشجرة أو الأثلة الفلانية، لا نتوكل إلا على الله، لا نستعين إلا بالله، لا نصلي إلا لله، لا ننحر إلا لله، فكل عبادة صغيرة كانت أو كبيرة لا يجوز صرفها إلا لوجه الله جل وعلا. ³

أقول: فتصریح الدكتور بأن كفار قريش كانوا يؤمنون بتوحيد الرُّبُوبِيَّة - المظلة الكبيرة التي تحوي مَسَائِلَ عظيمة وكثيرة - مجرد أنهم أقرروا ببعض مَسَائِلِها من الخلق والرزق والتدبير تعميم في غير محله وخطأً ظاهرًا ونسبةً إيمانٍ لهم وليسوا كذلك .

¹ دروس صوتية للشيخ سعيد بن مسفر القحطاني قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (21 / 3) بترقيم الشاملة .

² [سورة لقان:25].

³ دروس صوتية للشيخ سعد البريك قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (80 / 6) .

قال الشيخ الحازمي¹ وفقه الله : (الأشاعرة ومن سار على من نهجهم يقولون : التوحيد هو اعتقاد أن الله واحد في أفعاله لا شريك له . وبعضهم ينتقد هذه العبارة ونقدها لا بد من التفصيل فيه ، لأنها ليست باطلة من حيث هي العبارة ، لو قيل : اعتقاد أن الله واحد لا شريك له في أفعاله هذا حق ، لكن يفصل في النقد فيقال : إن جعل هذا اللفظ هذا المعنى هو توحيد الإلهية ، قلنا : هذا لا بد من نقده ، لا بد من نقده باعتبار زيادة ما يوضح المعنى يعني : لا نغلطها ، نقول : هذه غلط ، لا ، هذا حق وهو نوع من أنواع التوحيد ، وإنما نقول : لا بد من تصحيح العبارة ، فإن جعل هذا اللفظ هو المعنى المراد من لا إله إلا الله بأن الله واحد في خلقه ورزقه ، **نقول : هذا توحيد أبي جهل .** وأما إن أريد بأنه واحد في أفعاله جل وعلا وكونه معبوداً مألوهاً نزيد عليها هذه العبارة من أجل تصحيحها نقول : هذا حق . فاعتقاد أن الله واحد ، تعتقد أن الله واحد في ذاته وأفعاله ،)²

فقد ذكر الشيخ غلطا يقع فيه - في ظنه - الأشاعرة في اعتقاد حقيقة معني لا إله إلا الله ، ومحل شاهدنا من كلامه هو قوله عفا الله عنه " هذا توحيد أبي جهل " والسؤال هو هل التوحيد يتجزأ؟! من حيث القبول والرد ! وهب أنه تجزأ نظريا هل ستضبط تلك المسألة عمليا بأن تفند الأعمال فتصنف من يعمل بعض الأعمال مؤمنا وبعضها الآخر مؤمنا؟! هذا عجب عجاب .
فمثل هؤلاء جعلوا إقرار المشركين غير الكامل وغير المقتضي للوازمه ببعض مسائل الربوبية إيمانا؟! وهو غلط فادح ، والحق أن يقال بإقرارهم ببعض المسائل وليس إيمانا وتوحيدا كما قال الشيخ .

¹ هو أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي.

² شرح كشف الشبهات للحازمي ، الشريط الثاني صفحة 6 بترقيم الشاملة .، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي .

فصل في الرد علي من شبه بدع بعض المسلمين بشرك الأولين .

ومن المؤسف والمحزن أن يصل الحال ببعض أهل العلم في زماننا إلى تشبيه بعض القصور في توحيد الألوهية - كجهل بعض الجهلة بالدين ما يؤول بهم إلى تقليد في مسائل خلافية كالتوسل وزيارة النبي وما إلى ذلك مما اختلفت فيها الأمة من قديم - عند بعض المسلمين بحال الكفار الأقدمين ، وتشدد البعض منهم بأن هذا إيمان مثل إيمان قريش وهو لا يدخل في دين الله تعالى ، وهذا تكفير صريح لفئام من المسلمين بالشبهة ، وعدم الثبوت والدراية ، فكم رمي أمثال هؤلاء بالجهل آلاف المسلمين بالكفر ؟ وكم حكموا علي طوائف من المسلمين بأنهم في توحيدهم مثل توحيد كفار قريش ولم يدخلوا في دين الله بهذا القدر من التوحيد ؟

ومن عجب ! هل كان في قلب أبي جهل توحيد وإيمان ؟! وهل يجتمع في قلب إنسان نقيضان ؟! والله إنه لأمر عجيب ! .

وإن رحمت تتبّع فتاوي وكتابات فصيل من المعاصرين التي تُسَطَّر لإرضاء أناس تارة أو تكتب بجهل تارة أخرى لا شك أنك ستصاب بالهلع من هول ما تقرأ ومن جرأة الكتاب ، نسأل الله تعالى السلامة .

وعلي كل حال فبدع المسلمين في توحيد الألوهية لا تصل بحال إلى شرك الأولين البتة فشرك مشركي الجاهلية كان كفرا بالله وبألوهيته واعتراض على الاستسلام له والانتقاد لأمره ورد كامل لحكمه وشرعه وحرب ضروس لنبيه ولأتباع دينه وبغض شديد لرسالته وعبادة صريحة للأصنام وسجود وركوع ودعاء واعتقاد - في وقت الرخاء - للأوثان ومقارفة لكل الموبقات والكبائر عن

اعتقاد حلها !! هل يستوى شرك هؤلاء مع المسلمين - حتى وإن وقعوا في بعض الأخطاء - !?
، اللهم إلا الغلاة منهم فهؤلاء لا يدافع عنهم ولا ينافح ، فافهم الحق ترشد.

الخاتمة :

وبعد هَذَا البيان السابق ذكره يحسن بنا أن نلخص للقارىء ما قدمناه في نقاط حتى لا يتكاثر الكلام علي القارىء أو يلتبس عليه مراد الكاتب ، وربما يكون علي بعض الإخوة - ممن لا دراية لهم بدقائق العقيدة - فتنة ، فيظن البعض أن الخلاف شديد والهوة واسعة فيترتب عليه ظن سيء في أهل العلم قديما وحديثا ، والأمر علي خلاف ذلك البتة ، إذ المسألة محكمة منذ عهد النبوة ثابتة الأركان والمبادئ والتفريعات ، لم يستجد فيها حكم باستنباط لم يكن علي العهود الفاضلة ، وبذلك يتبين للإخوة القراء أن الخلاف في الرسالة خلاف لفظي أو اصطلاحِي محض لا علاقة له بالمضمون ، ومن زعم أننا مختلفون في المضمون فقد جرّ الحوار - متعمدا - إلى خارج سياقه وجعله خلاف تضاد لا يقبل فيه اختلاف ، إذ مضمون المسألة محكم ولا خلاف فيه بين أهل السنة والحديث والأثر ومن خالف فيه فهو خارج عن السنة إن سلم من الخروج عن الإسلام علي حسب مخالفته .

واعلم أننا - نعلم - لن نسلم من تهم من فصيل عريض من المسلمين ، فسيرمينا البعض بالبدعة والمناخعة عنها ، والبعض سيتهمنا بالجهل ، وهناك من سيتهمنا بالقبورية ومخالفة أهل السنة ، وقد تخرج الأكتوبات لترد على رسالتنا هذه ، وسوف أبين اعتقادي في ذلك في نقاط حتى لا يتيه القارىء وسط الصفحات وليكون تصريحى بعقيدتى هنا راد - مفحم - لكل من سيرد على قولى أو يرمينى بأى تهمة والله حسبنا ونعم الوكيل . فأقول مختصرا ما في هَذَا البحث وبالله التوفيق :

1. أعلم رَحِمَكَ اللهُ أننا - طه بن إبراهيم القلموشي - نشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسول الله ونعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله تَعَالَى ، ولا متبوع بحق إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونعتقد اعتقاد صالح السلف وعلي رأسهم سيد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين صَلَّى اللهُ

- اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ كَمَا
 اعْتَقَدُوا مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَأْوِيلٍ وَلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ . وَكُلُّ مَا ثَبَتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُوْمَنَ بِهِ عَلَيَّ مَا ثَبَتَ بِهِ فَهْمُ سَلَفِ الْأُمَّةِ .
2. وإعلم - علمك الله - أن الله تعالى هو خالق هذا الكون وما فيه وبارئه والمتصرف فيه وحده
 لا شريك له ولا عديل له ولا كفؤ ولا نصير .
3. ولأنه الرب الجليل الأكبر ، اتصف بصفات لا يماثله فيها أحد ولا يشاركه في شيء منها
 مخلوق ، فله صفات الجمال والجلال والكمال ، فلا يتصف مخلوق بصفته ولا يتسمي باسمه ،
 ولا يتأول شيئاً من علم الغيب وفق هواه بل ما ثبت عن طريق الشرع في هذا الباب يؤمن
 به علي وجه التسليم والاستسلام .
4. وهُوَ الإله المستحق للعبادة وحدة دون ما سواه فليس له شريك في ملكه وليس له شريك
 في عبادته .
5. وكما أنه سبحانه الخالق للكون بما فيه ، فهو الحاكم فيه بما أراد وفق ما يشاء ، لا يملك مخلوق
 في حكمه شيئاً ولا يصح لمخلوق علي حكمه استدراكا ولا قولاً .
6. ولا يقبل من عبد في أمة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّوْحِيدَ إِلا إِذَا آمَنَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّد صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَالِإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ شَرْطٌ لِقَبُولِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَبِغَيْرِ الثَّانِي لا يَكُونُ
 الْأَوَّلُ . وَهَذَا هُوَ تَمَامُ التَّوْحِيدِ فِي شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ (لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) .
7. وكل ما سبق من المسائل أصول من أصول دعوة التَّوْحِيدِ ومكملات لبعضها ، فلا يقبل
 أصل دون أصل ومن رد واحداً منها فقد رد الشرع كله. وكلها ثبت بها الشرع ووردت بها
 الأدلة ، وكل أصل من هذه الأصول باب عظيم من أبواب التَّوْحِيدِ يندرج تحته مسائل
 كثيرة يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا لِيَكْمَلَ التَّوْحِيدُ .

8. فالْتَوْجِيد هو أساس دعوة الرسل جميعاً ، وما بُعثوا إلا ليقرروا هَذَا الأمر العظيم الذي ضلَّت عنه الأُم الكثرية .
9. ومن آمن بشيء مما بُعث به وكفر بشيء فهو في الحكم كمن كفر الرسالة بأكملها ومجد الإسلام كله .
10. وَيَجُوزُ الاجتهاد في فهم النصوص - لأهل العلم المتأهلين لذلك المحصلين ملكته - واستخراج ما فيها من معاني قد تخفي علي عوام المسلمين ، ولا يُجوزُ الاجتهاد في تأويل نص شرعي ورد فهمه المحكم عن السلف الصالح بخلاف ما ورد عنهم . ويسمي في الشرع " لا اجتهاد مع نص " . وأي اجتهاد احدث مفهوماً جديداً أو ابتدع مسألة شرعية اتخذها الناس ديناً ساروا عليه أو خالف سنة ثابتة فهو اجتهاد باطل مردود لا يحل اتباعه .
11. كل ما ثبت في الشرع بألفاظه ومعانيه يَجِبُ علي كل مسلم إثباته واعتقاده ، وإن كان يحل له أن يجتهد في فهم النصوص وتقريبها إلي الناس فلا يحل له أن يجعل فهمه للنصوص شرعاً متبعاً وديناً منتشراً .
12. لا يُجوزُ لمسلم أن يرد مفهوماً شرعياً ثبت في دين الله تَعَالَى ، ولا أن يرد لفظاً شرعياً ثبت في كتاب أو سنة ، ولا أن يحدث مفهوماً لم يرد في دين الله تَعَالَى ، ولا بأس بإحداث ألفاظ مرادفة للألفاظ الشرعية الثابتة مع عدم ترك الأصل أو التعصب للحادث واعتباره شرعاً متبعاً وديناً منزلاً .
13. خير الهدى هدي مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكل ما كان فيه سنة عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحدث في عصرنا ما يشابهها ، فمع أن هَذَا الحادث يشمل خيراً كثيراً ونفعاً عمياً يناسب عصره ، غير أن الخير كل الخير فيما كان علي عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهو ما اختاره الله تَعَالَى لنبيه .

14. تعلم الإيمان والتوحيد يكون بالمحاكاة والعمل والأفعال والقدوة كما يكون بالكلام والنصيحة والشرح والتقويم والوجيه والتأليف ، بل الأول أُولي من الثاني لفعله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَهُوَ مقدم علي كل العلوم الشرعية فضلا عن غيرها من العلوم العصرية .
15. قَالَ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) ¹ فلا يزعم عاقل منتم للإسلام استخراج كلمة جديدة لم يقلها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها زيادة فهم عن فهمه ولا شعيرة لم يسبق إليها ، ومن زعم ذلك فقد خالف عن أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي الفتنة وقع ويُحْشَى عليه العذاب الأليم إن مات علي ذلك ، وكل اجتهادات المجتهدين وأقوال العلماء العارفين هي في فهم ما ثبت من أبواب ومسائل الدين وتقريبه للناس وليس لابتدائه أو زعم السبق إليه.
16. قسم العلماء التوحيد إلى أقسام عدة ، من جهات مختلفة ، كل حسب ما يترأى له ، بمعطيات عصره وبيئته ، مستقرئين مجموع أدلة الكتاب والسنة استقراء تاما ، فوصلوا إلى إحداث تقسيمات لم تكن معهودة علي أسلافهم ، وليسوا بذلك بدعا من القول لأنهم قصدوا تيسير العلم للناس ولم يخالفوا في اجتهادهم نص ولا سنة .
17. منشأ تلك التقسيمات ابتداءً على هذا النحو لم يرد به آية محكمة أو سنة متبعة ولم يتعارف عليها الصحابة والتابعون ، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني ، وليس بالألفاظ والمباني ، وهي تقسيمات اصطلاحية محضة ، إنما ظهر ذلك التقسيم متأخرا عن صدر هذه الأمة ، وعليه فلا يقال إنه شرعي ، بمعنى انه يجب قبوله ويحرم رده ، وإن قصد بشرعي ان مستمده ومضمونه موافق للشرع فلا يخالف في ذلك أحد وليس هذا محل البحث .

¹ سورة المائدة 3

18. قسم العلماء التَّوْحِيدَ إلى قسمين ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام وبعضهم قسمه إلى أربعة أقسام وبعضهم إلى قسمه إلى خمسة ، وكما قدمنا ، فكل هذه اجتهادات مقبولة ما لم تتدع بدعة في الدين أو مفهوما لم يكن علي عهد السَّلَفِ أو تُنكر ثابتا من الدين . وقد يتطلب العصر تقسيما خماسيا أو سداسيا أو أكثر حسب ما يراه العالم المجتهد .
19. والخلاف الحاصل بين المستقيمين علي السُّنَّةِ السَّائرين علي درب النَّبُوَّةِ في الاصطلاح المحدث الذي تكلم به العلماء بعد عهد النَّبُوَّةِ وَالصَّحَابَةِ وليس اختلافهم في المضمون مطلقا، أي في التقسيم ذاته لا في مضمونه ، أما من خالف في المضمون فقد خالف في أصل مَنَهَجِ اهل التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ ، ومن كان هَذَا حاله نقول :
 فدع عنك نهبا صحيحا في حجراته وهات حديثا ما حديث الرواحل¹
20. لا يَجُوزُ تضليل مجتهد في فهم نص ولا مستنبط لفهم ما لم يخالف بذلك فهم سلف الأمة الذي هو فهم مَنَهَجِ النَّبُوَّةِ .
21. لا يَجُوزُ تضليل أو تبديع من اجتهد وقسم التَّوْحِيدَ للتيسير علي الناس ، وكذلك لا يَجُوزُ تضليل أو تبديع من لم يقسم التَّوْحِيدَ تلك التقسيمات الحادثة وإن جري عليها دهورا وعصورا . والحق أن يكون المسلم منصفًا للمحق ناصحا للمبطل وقافا عند حدود الله تَعَالَى .
22. لا يَجُوزُ أخذ اجتهادات العلماء علي وجه القبول الجازم الذي لا يَجُوزُ مخالفته ، ولا يَجُوزُ عقد الولاء والبراء علي اجتهاداتهم ، فهذا رفع لهم عن المكانة التي أنزلهم الله تَعَالَى إياها ، ومن فعل ذلك يخشي عليه أن يقع في الغلو المفرط الذي قد يصل بهم إلي حد يشبه عبادتهم أو قريبا مِنهَا .

¹ من كان هَذَا حاله نقول له أثبت الأصل ثم فرغ عنه ، لا يحسن بك أن تناقش في اصطلاح وأنت للأصل مضيع .

23. ولا تجوز الموالاتة ولا المعاداة علي قول صحابي عدل اجتهد برأيه في مسألة ولم يجمع عليها الصَّحَابَةُ فضلا عن عالم مقدم أو فقيه مجتهد أو طالب علم علي طريق نجاة .
24. لا يَجُوزُ لمسلم فضلا عن طالب علم أن يقع في العُلَمَاءِ والمشايخ بالثلب ولا أن يتعرض لهم بالنقيصة ، فهم مصايح الدجي وهداة الأنام وورثة الأنبياء ، ناهيك عن العُلَمَاءِ الذين يقعون في تلك المدحضة المزلّة .
25. التَّوْحِيدُ الذي يقبله الله تَعَالَى هو التَّوْحِيدُ الكامل الخالي من الشرك ، فما من توحيد كان فيه ذرة شرك إلا رد علي صاحبه والله أغني الأغنياء عنه . وأما تقسيات العُلَمَاءِ لذلك التَّوْحِيدِ فمن حيث النظر العقلي الفكري لا من حيث القبول والرد .
26. لا يُؤْمَنُ بالله تَعَالَى من يكفر بمسألة واحدة من مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ والإِيمَانِ ، وإن أقر بباقي المَسَائِلِ كلها وفعالها ، فضلا عن يكفر بأكثر من ذلك ، كمن يكفر بنبوة نبي واحد يعد كافرا بنبوة كل الأنبياء وعمله مردود عليه .
27. والكفر بِمَسَائِلِ التَّوْحِيدِ قد يكون بتأويله علي وجه مضاد للتوحيد الخالص ، فقد يكون في ظاهره اجتهاد ولكنه يؤدي إلي خروج عن الجادة ووصول إلي الكفر في المسألة ، وهنا لا يُقَالُ أن صاحبه مجتهد معذور ! لأنه لم يفرغ وسعه في اجتهاده ، وأول خطوة في إفراغ الوسع أن يتقفي الأثر ويتبع الدليل بالفهم الأول ثم يجتهد في فهم ما لم يكن علي عهدهم ليفهموه .
28. واعلم أن أقسام التَّوْحِيدِ معروفة منذ القرون الأولى في الإسلام بعد عهد النُّبُوَّةِ ، ولكنها لم تكن بالتفصيل الذي هي عليه اليوم ، وبهذا لم يكن ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أول من قسمها ، فضلا عن أن يُقَالُ إن ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ هو أول من ابتدعها ! .

29. واعلم أن أقدار العلماء من أهل السنة محفوظة ، لا يتناول عليهم سني ولا يقع في أعراضهم متبع ، ومن تكلم فيهم بما ليس فيهم فقد ولج بابا عظيما من أبواب الفتن ولا يقع فيهم إلا أهل البدع والأهواء المخالفين لطريقهم.

30. واعلم أن كل بشر يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعليه فكل اجتهاد لعالم قد يرد باجتهاد عالم آخر والحجة في الدليل ، فأيهما كان دليله أقوى وحجته أقوم فاجتهاده مقدم علي غيره .

31. وليس كل القائلين بقول ، فهم علي نفس المنهج ، فقد يتفق علي مسألة صحيحة خصمان بينهما كما بين المشرق والمغرب ، وعليه فليس من وافق قولاً لأهل السنة من المبتدعة فهو سني وليس السني بمتدع لأن قوله الذي استفرغ فيه وسعه وبذل فيه طاقته وجهده قد وافقه فيه مبتدع ، فالحق لا يعرف بالرجال .

32. ووجب قبول كل قول وافق الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ، ولا يحل رد الحق لأن قائله علي غير الجادة ، فقد وردت السنة بذلك ، وهو غاية الإنصاف .

33. واعلم أن الله تعالى أرسل كل رسله بالتوحيد الكامل ، أي بكل أقسامه ، ولم يبعث نبي بقسم دون قسم أو لتأصيل مسألة دون مسألة ، فلا يقال إن فلانا من الأنبياء أرسل بتوحيد الألوهية دون توحيد الربوبية أو أن فلانا أرسل لترسيخ توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية .

34. وليس معني أن الأنبياء أرسلوا لإفراد الله تعالى بالعبادة أنهم لم يرسلوا لإفراد الله تعالى بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والأسماء والصفات والأفعال ! بل أرسلوا بكل ما كان من مسائل التوحيد ، ولكن بألويات في نشر تلك المسائل ، فبيئة آمنت بمسألة لا يحسن بك أن تكثر الكلام بما أقروا به وآمنوا وتهمل مسألة أخرى قصروا فيها ! بل

الحكمة تقتضي أن تكلمهم عن المسألتين مع إطناب فيما غلطوا فيه . وهكذا كانت سنة المرسلين .

35. واعلم أن كل أمة من الأمم أرسل إليها نبيا أو رسولا كانت مخالفة في جانب من جوانب الدين ، فكانت مهمة النبي أو الرسول إحياء ما اندثر من الدين - أي من رسالة من سبقه من رسل - ودعوته لإصلاح ما درس من الشريعة ، هذا بالإضافة لمهمته بإقامة الدين كاملا .

36. واعلم أن توحيد الربوبية هو أفراد الله تعالى بأفعاله - ومن لوازمها تنزيهه عن النقائص في الباب - ، وهو أشمل التعريفات للربوبية ، فكل ما كان من أفعال الله تعالى وجب أفراد الله تعالى به ، وعليه فلا يؤمن بالربوبية إلا من آمن بكل مسأئلهما .

37. ومن مسأئل الربوبية علي سبيل المثال لا الحصر الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والتصرف في الكون والقدرة علي إعادة الخلق وبعثهم مرة أخرى وسماع المخلوقين بالسمع المحيط بكل المسموعات وإبصارهم إبصارا محيطا بكل المبصرات وعدم نسبته إلي العجز بحال وغير ذلك كثير .

38. ومن القصور في فهم الربوبية أن يظن بعض الإخوة أن الربوبية هي الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة . دون مراعاة باقي مسأئل الربوبية .

39. فقد أقر أكثر مشركي العرب ببعض مسأئل الربوبية مثل إقرارهم بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والقدرة ، وأشركوا بالله في بعض مسأئل الربوبية مثل : إنكارهم البعث والمعاد واستسقاءهم بالأنواء ونسبتهم إلي الله تعالى الولد وأن الملائكة بنات الله ونسبتهم لله العجز عن سماع المخلوقين وتحكيمهم غير حكم الله تعالى وغير ذلك من مسأئل الربوبية . وعليه فقد أقروا ببعض مسأئلهما وأشركوا ببعضها .

40. وعليه فلا يصح أن يقال عن مشركي العرب أنهم آمنوا بالرُّبُوبِيَّةِ أو وحدوا الله تَعَالَى في ربوبيته بإطلاق من غير تفصيل كما فصلنا لأن هَذَا نَقُولُ علي الله تَعَالَى بل ولا يقال **أقروا**، وإنما يُقَالُ أنهم **أقروا ببعض مسَائِلِهَا** وأشركوا ببعضها .
41. واعلم أن توحيد الأُلُوهِيَّةِ هو إفراد الله تَعَالَى بأفعال المخلوقين ، وَهُوَ أَشْمَلُ تعريفاته ، فكل ما كان من أفعال العبد وجب إفراد الله تَعَالَى به ، وعليه فلا يؤمن بالأُلُوهِيَّةِ إلا من آمن بكل مسَائِلِهَا .
42. ومن مسَائِلِ الأُلُوهِيَّةِ : الصلاة والدعاء والسجود والخوف والرجاء والإنابة والذبح والنذر والحكم بما أنزل الله والطواف وغير ذلك من العبادات .
43. ومن القصور في فهم شرك الجاهلية في الألوهية أن يظن بعض الإخوة أن مشركي العرب كانوا منكرين لألوهية الله تعالى جملة وتفصيلا.
44. فقد أقر مشركوا العرب ببعض مسَائِلِ الأُلُوهِيَّةِ علي عوار فيها مثل : ألوهية الله تَعَالَى عموما وجهم إلي بيت الله العتيق وطوافهم حوله وصلاتهم فيه ودعائهم الله تَعَالَى وقت الشدة وصياهم واستيقانهم بصدق نبوة مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأشركوا بالله تَعَالَى في أكثرها مثل : شركهم في العبادة والتقرب والشفاعة والطاعة والاتباع والمحبة والنصرة والولاء والسجود وغير ذلك ، فلم تدخلهم تلك العبادات في الإسلام ولا يُقَالُ عنهم مؤمنين ولا موحدين ، لأن فعلهم هَذَا مشوب بالشرك في أكثر مواضعه .
45. وعليه فقد كفروا بالأُلُوهِيَّةِ قولا واحدا ، ولا يشفع لهم إقرارهم ببعض مسَائِلِهَا ، كما أنهم كفروا بالرُّبُوبِيَّةِ ولم يشفع لهم إقرارهم ببعض مسَائِلِهَا ، فهذه كتلك . ومن زعم أنهم وحدوا أو آمنوا في الرُّبُوبِيَّةِ بإقرارهم ببعض مسَائِلِهَا لزمه القول بتوحيدهم في الأُلُوهِيَّةِ لإقرارهم ببعض مسَائِلِهَا . والحق أنهم كفروا في الرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ معا غير مؤمنين .

46. وتوحيد الله تَعَالَى في أسمائه وصفاته هو الإيمان بكل ما وصف الله تَعَالَى به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل ، مع تنزيهه تَعَالَى عن جميع النقائص .

47. وقد كان أهل الجاهلية يعلمون الله تَعَالَى ببعض أسمائه وصفاته مثبتينها له تَعَالَى ويكفرون ببعض الأسماء والصفات الأخرى . وهم بشركهم في بعض الأسماء والصفات كفروا في الباب كله ولا يشفع لهم إقرارهم ببعضها ، كما أن من يكفر بنبي واحد من الأنبياء يكفر بنبوة الأنبياء جميعا .

48. ومما سبق يتبين أن الكلام على عموم مشركي العرب أنهم كانوا كفار في أنواع التوحيد الاصطلاحية الثلاثة مع إقرارهم ببعض مسأله . فلا يقال عنهم مؤمنين ولا موحدين في قسم من الأقسام لأنهم لم يستكملوه لأن الإيمان لا يتجزأ إلا نظريا وهذا الإيمان النظري لا يبنى عليه حكم ولا يترتب عليه جزاء ، بل ولا يقال أيضا مقرين بقسم من أقسام التوحيد ! - أى لا يقول أنهم مقرين إقرارا كاملا بمسائل قسم كامل من أقسام التوحيد - إذ إنهم كانوا مقرين ببعض مسائل في كل قسم من أقسامه ومنكرين أو جاحدين لبعض مسائل وقد بينا ذلك في أثناء البحث.

49. واعلم أن فعل الكفر بصرف العبادة لغير الله يُخرج من الملة سواء اعتقد في ذلك المصروف له نوعا من العبادة صفات الرب أو لا . فالعبرة بوقوع الذنب ولو من جهة واحدة ولا يستلزم استكمال جهات الكفر كلها .

50. وختاماً ، اعلم أن مسألة تقسيم التوحيد نظريا إلى أقسام مسألة اصطلاحية لا يبنى عليها عمل ولا يترتب عليها اعتقاد ، إنما هي مسألة علمية استقرائية من نصوص الكتاب والسنة ، وعليه فلا يصح أن تأخذ أكبر من حجمها ولا أن يبدع من قسم التوحيد من رد

الأقسام ، ولا أن يبديع من رد الأقسام من قسم التوحيد ، بل توضع المسألة في نصابها ولتقبلها على أنها مسألة خلاف تنوع تتسع صدورنا له ، هذا لمن لا يخالف في إنكار شعيرة من شعائر الدين أو مسألة من مسائله ، وأما من يخالف في التقسيم أو يقسم ثم يلج من هذا الباب إلى إنكار مسألة أو شعيرة فهذا يرد عليه ويجذر من خطئه ولا تكون مخالفته في باب خلاف التنوع أو الخلاف السائغ إنما مخالفته هنا تكون خلاف تضاد ، نعوذ بالله تعالى من مضلات الفتن ، ونسأله تبارك وتعالى السداد والرشاد .

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ ، نَفَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْعِلْمِ ، وَعَصَمَنَا بِالتَّقْوَى مِنَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالَةِ بِمَنْنِهِ
وَرَحْمَتِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ .

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّم
تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَنَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا بَصَّرَنَا بِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ،
وَيَجْشُرَنَا مَعَهُمْ تَحْتَ لِوَاءِ سَيِّدِ الْخَلْقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم وَأَنْ لَا يَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَانَا، وَنَسَأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الْمُوَحِّدِينَ الصَّالِحِينَ الْعَامِلِينَ فِي سَبِيلِهِ؛ إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ،
وَهُوَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أبو إلياس طه بن إبراهيم القلموشي المصري

بدين - المنصورة - الدقهلية - مصر

هاتف مصرى رقم (00201012387084)

Zamazm_net2010@yahoo.com

فهرس الفصول والمباحث

- إضاءة- 2
- مقدمة 3
- فصل في بيان حرمة تقديس آراء الرجال وتقديم أفهامهم علي الدليل الصريح والسنة الصحيحة . 10
- فصل في ذكر التوحيد والإيمان الذي كان عليه خير القرون . 14
- فصل في ذكر تعليم النبي الإيمان والتوحيد ، وبيان الطرق المضاهية لطريقته ، وبيان أن أكمل الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم . 24
- مبحث في ذكر السنة الثابتة في تعليم الإيمان ونشر التوحيد : 26
- مبحث في ذكر مغبة تنكب هذه السنة : 29
- مبحث في بيان كيف نتعلم الإيمان؟! 30
- فصل في ذكر استقراء العلماء لأدلة الإيمان من الكتاب والسنة وتسميته وتفريعه وتقسيمه 33
- فصل في ذكر شيء من تسميات العلماء للتوحيد واختلافهم في استقراءهم النصوص : 36
- فصل في ذكر التفرقة بين التقسيم الاصطلاحي والمضمون الشرعي ، ورفع الإلتباس عن يخلط بينهما : 39
- فصل في ذكر الموقف الشرعي من ذلك التقسيم الاستقرائي الاصطلاحي . 43
- فصل في ذكر ورود مضمون أقسام التوحيد - الاصطلاحية - في القرآن والسنة ، وعدم وجود التسميات المصطلح عليها . 44
- فصل في ذكر بعض أقوال من استعمل تلك التسميات الاصطلاحية من العلماء المتقدمين . 47
- فصل في الرد علي من زعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - أو الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله - أول من قسم هذه التسميات . 55
- فصل في الرد علي من زعم أن هذا التقسيم الاصطلاحي غير محدث . 59
- فصل في ذكر بعض من قال من أهل العلم باصطلاحية تقسيم التوحيد ، وبيان جواز قبوله وعدمه إذا كان راده متفقاً علي مضمونه الشرعي 61
- فصل في الرد علي من اشتد نكيره علي قول القائل باصطلاحية التقسيم ورماه بالبدعة . 75
- مبحث في الرد علي الشيخ العباد وبيان مخالفته في رده علي الشيخ الصاوي . 77
- مبحث في بيان ما في كلام الشيخ الفوزان من مخالفة . 86
- فصل في الرد علي من ضلل أو وبدع من زاد قسماً رابعا أو خامسا للتوحيد . 92
- فصل في ذكر مكانة الحاكمية في الإسلام وبيان أنها من أصول التوحيد . 94
- فصل في بيان حمل قول من قال " بإفراد توحيد الحاكمية في قسم منفصل " علي وجه مقبول وأن ذلك أولي من رده وتبديع قائله وتضليله ما لم يخالف في مضمون التوحيد . 96
- مبحث في مسألة : فإن زعموا أن هذا النوع من التوحيد الرابع أو الخامس لم يقل به السلف . 97
- مبحث في ذكر مسألة : فإن قالوا " قسمنا التوحيد لضرورة التفصيل للحاجة والرد علي المخالف في هذا الباب " . 98

- مبحث في ذكر مسألة : فإن قالوا " إن هذه الصيغة ؛ وهي الفاعلية لم ترد في باب الأسماء وَالصِّفَات فليس من أسائه الحاكم
98 . "
- فصل في الرد علي من زعم أن انتقاد المخالفات دافعة انتقاد لنوات العلماء وأشخاصهم أو بغض لناهجهم .
100
- فصل في ذكر مسألة : ليس كل من ينتقد مسألة انتقدها مبتدع فهو مبتدع .
103
- فصل في وجوب قبول كلمة الحق وإن قالها المخالف مع بيان ما تتضمنه من بطلان .
106
- فصل في الرد علي زعم وجوب الأخذ بما اصطلاح عليه بعض العلماء وبيان آثاره .
108
- فصل في ذكر ماخذ علي تعريف أقسام التوحيد وتصويبها .
113
- فصل في ذكر بعض الآثار عن إقرار بعض مشركي العرب ومعرفتهم لبعض مسائل في الربوبية .
115
- مدخل :
115
- مبحث في ذكر القصور في تعريف الربوبية بالخلق والرزق والتدبير :
116
- مبحث في ذكر إقرارهم بالربوبية لله تعالى إجمالا :
117
- مبحث في ذكر إقرار بعض مشركي العرب ببعض مسائل الربوبية :
117
- مبحث في ذكر إقرارهم بالخلق لله تعالى :
118
- مبحث في ذكر إقرارهم بالرزق والتدبير لله تعالى :
119
- مبحث في ذكر إقرار بعضهم بالإحياء والإماتة لله تعالى :
120
- مبحث في ذكر إقرارهم بالقدرة لله تعالى :
120
- فصل في ذكر معنى الإيمان في قول الله تعالى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) ودفع توهم تحقيقهم الإيمان في شيء من
التوحيد وبيان تأويل العلماء له .
121
- مبحث في ذكر معنى الإيمان في الآية " وما يؤمن أكثرهم " وبيان أن المقصود تقريرهم بما يزعمون وليس توصيفهم علي وجه
الحقيقة بالإيمان في بعض التوحيد .
134
- فصل في ذكر أمثلة من إقرار بعض مشركي العرب لله تعالى بالألوهية :
136
- مبحث في ذكر معرفتهم بأن الله هو الإله المستحق للعبادة وإقرارهم له ببعض مسائل الألوهية .
137
- مبحث في ذكر قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في معرفة المشركين للألوهية .
138
- مبحث في ذكر قسم بعض المشركين بالله تعالى .
140
- مبحث في ذكر معرفتهم الألوهية في الشدة وشركهم في الرخاء .
143
- مبحث في ذكر صلاة المشركين حول البيت .
145
- مبحث في ذكر حج المشركين بالبيت وطوافهم .
146
- مبحث في ذكر حج بعض قبائل المشركين بيت الله الحرام تعبدا :
149
- مبحث في ذكر تلبية المشركين حول البيت ودعائهم لله تعالى .
149
- مبحث في ذكر شيء من صيام أهل الجاهلية .
153
- مبحث في ذكر دعاءهم الله تعالى في الشدة وكفرهم في الرخاء :
153

- 155 مبحث في ذكر دعاء مشركي العرب في حادثة أبرهة الحبشي ورجاءهم لله وحمدهم له تعالى.
- 157 مبحث في ذكر معرفة بعض مشركي العرب الدعاء في غزوة أحد.
- 160 مبحث في ذكر اختتان أهل الجاهلية .
- 164 مبحث في ذكر معرفة بعض مشركي قريش قدرة الله ورجاءهم إياه.
- 165 مبحث في ذكر معرفة بعض كفار الجاهلية صدق نبوة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- 167 مبحث في ذكر إقرار مشركي العرب ببعض مَسَائِلِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ :
- 170 **فصل في ذكر طرف من تناقض مشركي العرب في اعترافهم بالرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ وَالصِّفَاتِ.**
- 171 مبحث في ذكر إقرار بعض العرب ومعرفتهم لبعض أنواع التَّوْحِيدِ الثلاثة .
- 171 مبحث في بيان خطأ من يُطْلِقُ أن العرب أقرّوا بتوحيد الرُّبُوبِيَّةِ وبيان وجوب تقييدها بقوله (ببعض مَسَائِلِ) .
- 175 مبحث في بيان أن نقد الإقرار بالربوبية واقع بإنكار صفة واحدة من صفاتها فضلا عما هو أكثر من ذلك .
- 177 مبحث في الرد علي من زعم أن الأنبياء بعثوا من أجل توحيد الألوهية ولم يعثوا من أجل توحيد الربوبية .
- 190 مبحث في ذكر الجزء المردود من قول المتأخرين ووجه التوفيق بين القولين.
- 193 مبحث في الرد علي زعم أن مدلول كلمة الإيمان مختلف ، وبيان الإيمان الذي أرادَه اللهُ تَعَالَى من خلقه
- 195 مبحث في ذكر مقالة للأخ أبي عمر السمرقندي في تصحيح خطأ مشهور انتشر بين طلبة العلم .
- 202 **فصل في ذكر دعوة الرسل إلي توحيد الرُّبُوبِيَّةِ وبطلان زعم من يزعم أنهم لم يعثوا من أجله**
- 207 فصل في ذكر من قالَ بِشَرِكِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ والرد على من زعم أن مقصد الأنبياء هو الألوهية دون الربوبية .
- 213 فصل في بيان تناقض القائل - بأن شرك مشركي العرب كان في العبودية وأنهم كانوا مؤمنين بالرُّبُوبِيَّةِ - مع لازم قوله.
- 217 مبحث في الرد علي من زعم أن الرسل لم يعثوا من أجل توحيد الربوبية .
- 222 مبحث في ذكر الرد علي من تعصب لقوله وزعم أن المشركين كانوا مؤمنين بالرُّبُوبِيَّةِ بعدما تبين له كفرهم بالأدلة .
- 231 مبحث في بيان معني قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك ورفع الالتباس عنه .
- 233 فصل في ذكر شرك القرشيين في بعض مسائل من الرُّبُوبِيَّةِ :
- 234 مبحث في ذكر نوع من الفهم القاصر لشرك الرُّبُوبِيَّةِ :
- 234 مبحث في ذكر أن شركهم في لازم من لوازم الربوبية يوجب شركهم في الربوبية .
- 236 مبحث في ذكر شيء من ظنِّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ السَّيِّءِ بِاللَّهِ تَعَالَى .
- 237 مبحث في ذكر إنكارهم البعث والمعاد
- 243 مبحث في الكلام علي قوله تَعَالَى : (وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ)
- 248 مبحث في ذكر الاستسقاء بالأنواء وبيان مناقضته للربوبية .
- 253 مبحث في ذكر نسبتهم إلي الله تَعَالَى الولد .
- 254 مبحث في ذكر قولهم أن الملائكة بنات الله وإنكار الله تَعَالَى عليهم ذلك .
- 258 مبحث في ذكر نسبتهم العجز عن سماع المخلوقات في آن واحد للرب جل وعلا :
- 259 مبحث في ذكر شرك الجاهلية في الحكم وبيان أنه شرك في الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ والصفات .

- 261----- مبحث في ذكر حكاية الله تعالى لنوع من شركهم في الرواية .
- 263----- مبحث في ذكر تكفير الله تعالى لأكثر المشركين لإنكارهم نعمة الله بعد معرفتها.
- 266----- مبحث في بيان شرك الجاهلية في التشريع وأن الألوهية من الأزوم لوازم الرواية ، وأن التشريع شرك في الرواية.
- 269----- ذكر كفر من لم ينسق لحكم الله تعالى وحكم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- 270----- ذكر بعض الأدلة علي كفر من رد حكم الله ورسوله وبيان أن مشركي العرب كفر من هذا الجانب .
- 273----- فصل في ذكر شرك أهل الجاهلية في الألوهية .
- 275----- مبحث في ذكر أول من جلب الأصنام إلي الجزيرة العربية ودعا العرب إلى عبادتها
- 277----- فصل في ذكر بعض أنواع شرك الألوهية عند العرب .
- 277----- مبحث في ذكر شركهم في الدعاء :
- 279----- مبحث في ذكر شرك العباداة والتقرب:
- 279----- مبحث في شرك الشفاعة:
- 280----- مبحث في شرك الطاعة والاتباع:
- 283----- مبحث في شرك المحبة والنصرة أو الولاء:
- 284----- فصل في ذكر فرق من المسلمين تعدد الإقرار إيماناً .
- 288----- فصل في ذكر طرف من شرك أهل الجاهلية في الأسماء والصفات :
- 289----- مبحث في ذكر إحداد المشركين في الصفات واشتقاقهم لألتهم أسماء مضاهاة لله :
- 290----- مبحث في ذكر إنكارهم اسم الله الرحمن وكفرهم به :
- 293----- فصل ذكر مسألة " فعل الكفر بصرف العباداة للمخلوق مع عدم اعتقاد صفات الرب لذلك الند المعبود " .
- فصل في الرد علي دعوي أن : (الشيخ ابن عبد الوهاب بنى دعوته على أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما قاتل عرب الجاهلية لشركهم في الألوهية، ولم يقع لهم شرك في الربوبية)
- 296-----
- 298----- فصل في ذكر طرف من أقوال بعض العلماء في شرك الجاهلية وذكر المؤاخذة عليه .
- 298----- مبحث في ذكر اعتراض البعض وإنكارهم أن بعض أهل العلم يزعم إيمان أو توحيد مشركي العرب في الربوبية .
- 299----- مبحث في ذكر من التمس عذرا لمن أخطأ في التعبير عن إقرار المشركين بالإيمان والتوحيد .
- 301----- مبحث في ذكر أقوال المتأخرين في شرك الجاهلية في الربوبية وبيان مخالفة المتقدمين في التعبير عن الفهم المتفق عليه .
- 310----- فصل في الرد علي من شبه بدع بعض المسلمين بشرك الأولين .
- 312----- الخاتمة :
- 324----- فهرس الفصول والمباحث